جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

تأثيرات الجدار الفاصل على التنمية السياسية في الضفة الغربية

إعداد
بلال عبد الرحيم عثمان جبر

إشراف
أ. د. عبد الستار قاسم

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التخطيط والتنمية السياسية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2005



تأثيرات الجدار الفاصل على التنمية السياسية في الضفة الغربية

إعداد

بلال عبد الرحيم عثمان جبر

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2005/2/15 م وأجيزت

أعضاء اللجنة	التوقيع
1. أ. د. عبد الستار قاسم/ مشرفا ورئيسا	....
2. د. نايف أبو خلف/ ممتحنا داخليا	....
3. د. حمّاد حسين/ ممتحنا خارجيا	....

الإهداء

إلى الذين جاهدوا فيَّ حق الجهاد.. أمي وأبي.

إلى حبيبتي وسكني الأبديّ.. زوجتي.

إلى كل من علمني حرفا أو غرس فيَّ فكرة خير.. أساتذتي الأعزاء.

إلى المعذبين في الأرض.. أبناء شعبي.

إلى الذين انجبلت حبات عرقهم بتراب الأرض, وتلألأت قطرات دمهم بين رمالها.

إلى الذين لازالواعلىالحق ظاهرين,يدافعون عن قدسية الإنسان,وكل معان الحرية.

إلى نوار

فهرس المحتويات

فهرس الجداول

فهرس الملاحق

تأثيرات الجدار الفاصل على التنمية السياسية

في الضفة الغربية

إعداد

بلال عبد الرحيم عثمان دويكات

إشراف

أ. د. عبد الستار قاسم

الملخص

تتكون الدراسة من مقدمة وخمسة فصول. المقدمة توضح مشكلة الدراسة المتمثلة بتأثير الجدار على التنمية السياسية في الضفة الغربية, من خلال تأثيره على مدخل هذه التنمية التي تبدأ بوجود دولة ومجتمع قوي ومتماسك. هذا بالإضافة إلى تأثير الجدار على المقومات التي تدعم ذلك المدخل كالأرض والمياه, الخ.

الفصل الأول من الدراسة يتكون من خمسة مباحث. أتناول خلالها مفاهيم الدراسة, وهي الجدار الفاصل, حيث أبين التسميات المختلفة للجدار. كما أبين مساره وأقسامه وأبعاده وبنيته ومكوناته. أما المبحث الثاني فقد تناولت به مفهوم التنمية السياسية. وقد أوردت اتجاهات فكرية مختلفة حول هذا المفهوم. المبحث الثالث أوضحت خلاله مفهوم الضفة الغربية. ما هي الظروف التي أدت إلى ظهور هذا المصطلح, وبينت حدود الضفة من خلال تتبع مسار ما يسمى بالخط الأخضر. كما بينت المحطات الرئيسية التي مرت بها الضفة وصولا إلى الوضع القائم. إضافة إلى ذالك تناولت العناصر الجغرافية, وأهم المؤثرات على الأوضاع السكانية. المبحث الرابع تناولت به مفهوم الدولة. تطرقت إلى ذلك في أزمان مختلفة, ومدارس فكرية مختلفة. المبحث الأخير في هذا الفصل تناولت به مفهوم المواطنة. هذا المفهوم يعتبر من أسس الدولة الديمقراطية الحديثة.

الفصل الثاني يتحدث عن خلفيات بناء الجدار الفاصل ويتكون من ثلاث مباحث الأول منها يتناول علاقة الجدار بالاستيطان الإسرائيلي داخل الضفة، حيث نركز على الأجزاء المستهدفة ببناء الجدار ونتتبع واقع الاستيطان في هذه المناطق. أما المبحث الثاني فيتناول الخلفية الفكرية للاستيطان الإسرائيلي الذي أسس لبناء الجدار الفاصل، والاتجاهات الفكرية الاستيطانية بعد

احتلال الضفة سنة 67. المبحث الثالث فانه يتناول الخطط والمشاريع الاستيطانية التي أسست لبناء الجدار الفاصل ومنها مشروع ألون.

الفصل الثالث يتناول تأثير الجدار على أهم المقومات الداعمة لمدخل التنمية السياسية. تأثيره على الأرض والمياه والسكان. يأتي هذا في مبحثين، الأول يتناول تأثير الجدار على الأرض في الضفة الغربية. كما يتناول المساحات التي يقتطعها الجدار. في نفس المبحث تتحدث الدراسة عن تأثير الجدار على التواصل الإقليمي والسكاني في الضفة. أما المبحث الثاني فانه يتناول تأثير الجدار الفاصل على المياه في الضفة الغربية. كما يتناول هذا المبحث الأطماع الإسرائيلية في المياه الفلسطينية التي تتضمن مسلسل الإجراءات الإسرائيلية للسيطرة على المياه العربية عبر تاريخ وجودها في هذه المنطقة ولغاية الآن. هذا المبحث يبرز أيضا كيفية تأثير الجدار على المياه في الضفة من خلال تتبع وجود المياه في المناطق التي يفصلها الجدار.

الفصل الرابع يتناول اثر الجدار على الأنشطة الإنسانية في الضفة الغربية نظرا لترابط التنمية في مختلف المجالات مع بعضها بعضا.هذا الفصل يتكون من مبحثين المبحث الأول تناولت من خلاله اثر الجدار على حرية الحركة في الضفة الغربية كون حرية الحركة تعتبر عاملا مشتركا لكافة الأنشطة التي يقوم بها الإنسان. كذلك تناولت الإجراءات التي فرضتها إسرائيل على الفلسطينيين ليتمكنوا من ممارسة أنشطة حياتهم في المناطق التي تتأثر مباشرة ببناء الجدار خاصة العمل بنظام التصاريح وكيف مارست إسرائيل هذا النظام على الفلسطينيين.

المبحث الثاني من هذا الفصل تناولت من خلاله تأثير الجدار الفاصل على الاحتياجات الاقتصادية والتعليمية والصحية في الضفة الغربية. أبرزت التأثير في البعد الاقتصادي من خلال تناولي لتأثير الجدار على أهم القطاعات الاقتصادية الفلسطينية الذي يتمثل في قطاع الزراعة. أما فيما يتعلق بالتأثير على التعليم فقد تناولت ذلك من خلال الحديث عن المدارس التي يفصلها الجدار عن السكان التي تخدمهم إضافة إلى تناولي للمعاناة التي يلاقيها الطلاب والهيئات التدريسية أثناء توجههم إلى مدارسهم أو جامعاتهم التي يؤثر عليها الجدار. فيما يتعلق بتأثير

الجدار على الأوضاع الصحية في الضفة فقد أبرزت تأثير الجدار على مـدى تمكـن السـكان الفلسطينيين من الحصول على الخدمات الصحية في الوقت الذي يلزمهم ذلك.

الفصل الخامس والأخير في الدراسة فقد جاء في ثلاث مباحث الأول تناولـت خلالـه أهـداف الجدار الفاصل حيث بدأت بمناقشة الهدف المعلن من قبل إسرائيل لبنـاء الجـدار ثـم تناولـت الأهداف الإستراتيجية للجدار والتي تتجلى بقطع الطريق على إقامة دولة فلسطينية قابلة للحيـاة والتطور. إضافة إلى التأثير على التوزيع السكاني في الضفة الغربية ما بين العرب واليهود. ثم تناولت هدف الجدار بحسم قضايا المفاوضات النهائية المتمثلة بالحـدود والميـاه والاسـتيطان واللاجئين والقدس، المبحث الثاني في الفصل الخامس وضعت خلاله استنتاجات الدراسة. بعـد ذلك تناولت توصيات الدراسة.

مقدمة

أبحث خلال هذه الدراسة في تأثيرات بناء الجدار الفاصل على التنميــة السياســية فــي الضفة الغربية، ذلك الجدار الذي تقوم " إسرائيل" ببنائه على أراضي الضفة. وتقــول أن بنــاءه يعود لأسباب أمنية, حيث سيؤدي إلى منع الفدائيين الفلسطينيين من شن هجمات عسكرية علــى المدن الإسرائيلية. إلا أن المعطيات المتوفرة تؤكد عدم صحة هذه الأقــوال, وتشــير إلــى أن "إسرائيل"استغلت الظروف الدولية والإقليمية والمحلية لتبدأ تنفيذ مخططات قديمة لديها, وســابقة لكافة الظروف والأحوال القائمة في هذه المرحلة ومن ضمنها الظروف الأمنية.

يمتد الجدار على طول المناطق الشمالية والغربية للضفة الغربية, ويأخذ شكلا متعرجــا, ويدخل في أراضيها لأعماق مختلفة, تصل في بعض الأحيان إلى 10كم.ونلاحظ أن المعطيــات الأولية التي رافقت بدء إسرائيل ببناء الجدار, عكست مخاطر كبيرة جدا على التنمية السياســية. قد تصل هذه المخاطر لتشمل كافة نواحي الحياة للمواطنين الفلسطينيين. لذلك فقــد ارتأيــت أن أبحث في تفاصيل هذه التأثيرات, وتداعياتها على التنمية السياسية في الضفة الغربيــة، وعلــى المقومات التي من شأنها إسناد وتقوية تلك التنمية بالنسبة إلى هؤلاء المواطنين، والمتمثلــة فــي الأرض والمياه والانعكاسات على الجوانب الاقتصادية والأنشطة الإنسانية التــي تلــزم, حتــى يستطيع الإنسان أن يمارس حياته بشكل طبيعي. ويتمكن من تطويرها علــى مختلــف الصــعد, وخاصة على الصعيد السياسي, حيث أن تلك المقومات تؤثر مباشرة على التنمية السياسية.

مشكلة الدراسة

إن مدخل أي تنمية سياسية يتمثل في وجود دولة ومجتمع قوي ومتماسك. إضافة إلى أن بقاء هذا المدخل وتطوره يعتمد على العديد من المقومات الأخرى. وقد لاحظــت مــن خــلال دراستي الأولية للموضوع, أن بناء الجدار يلحق الضرر الكبير بهذا المدخل والمقومات. فعمليــة بناء الجدار بالشكل والواقع الذي يتم فيه وما هو مخطط له تجعل من المستحيل إمكانيــة إقامــة دولة فلسطينية ذات خصائص ومقومات دولة حقيقية كباقي دول العالم. لأن الجدار سيؤدي إلــى فصل 43.5% من أراضي الضفة تقريبا, وسيبقى للفلسطينيين 56.5% فقط من أراضيها. سيتبع

بناء الجدار إجراءات أمنية أخرى حتى يؤتي جـدواه. منهـا تجزئـة الأراضـي التـي تظـل للفلسطينيين وعدم إبقائها ذات وحدة إقليمية, وستتحكم إسرائيل في ذلك حسب رغبتها ومصالحها من خلال إجراءاتها التي تصفها بالأمنية.

مما سبق ذكره ندرك بشكل جلي أن المساحة التي ستبقى في الضفة الغربية لن تكـون كافية إلا لجعلها سجنا يحوي تكتلات سكانية فلسطينية مجردة من حقوق المواطنة. وبالتـالي لا يمكن إطلاق صفة دولة على تلك المساحة والسكان مطلقا، إذ أن واقع الحال سيحوّل المـواطنين الفلسطينيين إلى مجرد سكان يستجدون لقمة العيش ويلهثون خلفها, وليس لهم أي حق من حقوق المواطنة, وسيحيل التجمعات السكانية إلى سجون.

وفي موضوع آخر, سيكون للجدار انعكاسات وتداعيات خطيرة على التواصل والتماسك السكاني والاجتماعي للمواطنين الفلسطينيين, وسيؤدي إلى عزل وحصـر أعـداد كبيـرة مـن المواطنين عن بعضهم بعضا, وعن محيطهم الفلسطيني. حيث أنه لغاية شـهر آذار 2004, تـم عزل 60 تجمع سكاني تحوي 336000 نسمه, أي ما نسبته 13% من سكان الضـفة الغربيـة. وإذا استمرت إسرائيل ببناء الجدار كما هو مخطط له فستزداد أعداد المدن والقرى التـي سـيتم عزلها, لتصل إلى 91 تجمعا سكانيا تحوي ما نسبته 15% من سكان الضفة الغربية. وفي حالة أردنا أن نعتبر المواطنين الذين تم عزلهم عن أراضيهم ومزارعهم وأماكن أعمالهم, منـدرجين في إطار ما يعرف بالعزل السكاني, فإن علينا إضافة 522000 نسمه, أي 22.6% من سـكان الضفة, إلى الأرقام السابقة، وبهذا سيصل عدد المواطنين الفلسـطينيين المعـزولين فعليـا, أو معزولين عن أراضيهم وأماكن عملهم بفعل الجدار, إلى 865300 مواطن, أي ما نسبته 37.5% من مجموع سكان الضفة الغربية.

إن هذه الآفاق السياسية التي يعكسها بناء الجدار, تعبر عن مشكلة كبيرة سيكون لهـا تـداعيات طويلة المدى على إمكانية إحداث تنمية سياسية في الضفة الغربية, وخاصة فيما يتعلـق بإقامـة دولة فلسطينية, وبناء مجتمع قوي ومتماسك, يستطيع أن يستغل مقدراته المختلفة لإحداث التنمية

السياسية التي أرى أنها تشكل أساسا للتنمية في مختلف المجالات, لكنها أيضا تتأثر بتلك المقدرات.

أهمية الدراسة

إن بناء إسرائيل للجدار يخلق وقائع جديدة على الأرض من شأنها قطع الطريق على بعض التطورات السياسية الخاصة بالفلسطينيين في هذه المنطقة. حيث نجد أن إسرائيل تقوم ببناء الجدار على أراضي الضفة الغربية, متجاوزة بذلك حدود الرابع من حزيران 1967. حسب ما تبين لغاية الآن من مخططات إسرائيلية, فأن إسرائيل تهدف إلى مصادرة ما يقرب من نصف مساحة الضفة, وهذا ينسف فرص التنمية السياسية فيها.

من ناحية أخرى, لم يقتصر تأثير الجدار على المدخل الأساسي لإحداث التنمية السياسية المتمثل في وجود دوله ومجتمع قوي ومتماسك فحسب, بل إن المعطيات المتوفرة بين أيدينا تؤكد أن الجدار له تأثير سلبي على المقومات التي من شأنها تقوية ذلك المدخل. بناء الجدار بالشكل والواقع الذي يتم فيه ومخطط له سيحدث تأثيرات سلبية على مجمل حياة الفلسطينيين في الضفة الغربية. فعملية بناء الجدار تسفر عن تدمير كبير لمساحات واسعة من الأرض الزراعية، سواء كان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة. الجدار فصل الآلاف من السكان الفلسطينيين عن أراضيهم ومزارعهم التي كانوا يعملون ويعتاشون من خلال العمل بها، وسيؤدي هذا حتما إلى عدم مقدرة الإنسان الفلسطيني على متابعة العمل، والاعتناء بأرضه ومزارعه. خاصة أن الإجراءات التي تمارسها إسرائيل على الفلسطينيين تهدف إلى التضييق عليهم والحد من حركتهم. هذا يؤدي إلى صعوبة كبيرة جدا في إمكانية مزاولة الإنسان الفلسطيني على جانبي الجدار لكافة الأنشطة الإنسانية الضرورية لاستمرار حياته، وبهذا يضطر الفلسطينيون إلى إهمال أراضيهم ومزارعهم بشكل قسري.

كما أشرت سابقا، فإن الإجراءات الإسرائيلية التي هي جزء لا يتجزأ من عملية بناء الجدار ووجوده فوق الضفة الغربية لا يقتصر تأثيرها على الحد من حركة الإنسان الفلسطيني وإمكانية تنقله، بل أنها تصل في كثير من الأحيان إلى درجة التنكيل ومنع الحركة والتنقل كليا على

جانبي الجدار وخلاله بغض النظر عن مدى وشدة الضرورة التي تستلزم الحركة والمرور للإنسان الفلسطيني. وبالطبع فإن لهذه التصرفات انعكاسات غاية في الخطورة حيث أن تلك الممارسات المرتبطة أصلا بوجود الجدار ستؤدي إلى نوع من أنواع الهجرة القسرية. فكم من قصة تروى عن مريض كان بحاجة ملحة جداً إلى العلاج مات وهو ينتظر أن يفتح له الجنود الإسرائيليون بوابة الجدار، وكم من قصة تروى عن الطلاب الذين يعانون الأمرّين وهم يحاولون الوصول إلى مدارسهم على جانبي الجدار. هناك الكثير من الأنشطة الإنسانية والاحتياجات الضرورية التي تلزم الإنسان الفلسطيني، لكنه لا يستطيع القيام بها أو الحصول عليها.

إن الضيق –مختلف الأشكال ومتعدد الأوجه– الذي يحدثه الجدار في حياة الفلسطينيين له تأثير مباشر على أوضاعهم الاقتصادية. حرية التنقل محدودة جدا ما دام الجدار قائما، ليس للعمل فقط، بل ولأي هدف مهما كان ملحا أو ضروريا، ولا حرية في استخدام عناصر الإنتاج الرئيسية, بعد مصادرة الأرض وعزل المزارع عن أصحابها وتدمير أو عزل المنشآت المائية. إذا والحال هذه فكيف يمكن للإنسان أن يبني ويطور حياته؟ وكيف يمكن للمجتمع أن يبني ويطور أنظمته المختلفة؟

لا تقتصر المخاطر والآثار التي تحدثها عملية بناء الجدار على ما سلف، بل إنها تمتد لتشمل المياه التي تعتبر مقوما اقتصاديا حيويا. يؤدي بناء الجدار إلى تدمير كبير في المنشآت المائية الفلسطينية، إضافة إلى أنها تعزل كثيراً من تلك المنشآت عن أصحابها وعن إمكانية استخدامهم لها. كما يؤدي إلى تجسيد عملي لسيطرة إسرائيل على أهم الأحواض المائية في الضفة الغربية، وهو الحوض الغربي. كما أقدمت على تدمير العديد من آبار المياه للفلسطينيين أثناء المرحلة الأولى من عملية بناء الجدار, كما أنها فصلت آباراً أخرى عن التجمعات السكانية التي تستفيد منها, وأصبح من المستحيل على السكان استعمالها لأي مجال من مجالات الاستخدام حتى للشرب، كما أنها عزلت بعض هذه الآبار عن الأراضي الزراعية التي كانت تعتمد عليها في الاستخدامات الزراعية. وقامت بتدمير وتخريب أكثر من ثلاثين كم من أنابيب الري التي

تعود إلى المزارعين الفلسطينيين خلال المرحلة الأولى من بناء الجدار، على اعتبار أنها تقع في طريق بنائه.

يؤثر بناء الجدار بشكل سلبي على النظام البيئي القائم في منطقة البناء والمناطق التي يعزلها الجدار عن أصحابها ويحد من عملهم فيها. أن عمليات التجريف واقتلاع الأشجار وإتلاف المزروعات والنباتات المختلفة وتدمير الكثير من خزانات المياه، تعني قضاءً مباشراً على عناصر رئيسة في أي نظام بيئي، وبالطبع فإن القضاء على هذه العناصر الرئيسة سيتبعه اختفاء لعناصر أخرى داخل النظام، وكلها معا تعني تدمير نظام بيئي متكامل في تلك المناطق التي يؤثر عليها بناء الجدار بشكل مباشر.

إن إطلاعنا على المخاطر التي أشرت إليها سابقا، تؤكد أهمية الدراسة. لأن ذلك يمكننا من العمل على الحد من تلك المخاطر والتقليل منها. فالتعرف على تفاصيل الواقع الجديد الذي يفرضه بناء الجدار, سيوفر لنا قاعدة بيانات ومعلومات تكون مرتكزا لوضع الخطط والبرامج التي من شأنها أن تحد من التأثيرات التي يحدثها بنائه. لذلك فإني أعتبر أن إجراء دراسة علمية في هذا الموضوع يعتبر أمرا هاما وضروريا, كون ذلك يعود بفائدة أكيدة على إمكانية وضع خطط تنموية, وخطط وقائية تقلل أو تمنع الآثار السلبية الناجمة عن عملية البناء.

كذلك فإن إجراء دراسة علمية في موضوع لا زالت أحداثه تتبلور سيجعلنا قادرين على إبراز المخاطر التي تواجه التنمية السياسية في الضفة الغربية قبل أن تستفحل. وبسبب البعد العالمي للقضية الفلسطينية فإن إبراز تلك المخاطر قد يجسد بضغوط على إسرائيل تجعلها تتوقف عن البناء وإزالة ما بني.

مفاهيم الدراسة

هناك عدد من المصطلحات بحاجة إلى تعريف وسأتناول في هذه الدراسة ما يلي:

- الجدار الفاصل:

هو الجدار الذي تقوم إسرائيل ببنائه حاليا على أراضي الضفة الغربية، ويأخذ هذا الجدار صورا عدة من حيث الامتداد والشكل والطبيعة, ويعزل التجمعات السكانية الفلسطينية عن بعضها بعضا وعن أجزاء واسعة من الأرض المحتلة سنة 1967.

- التنمية السياسية:

هي تفاعل العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بشكل يؤدي إلى تحسن وزيادة معدلات النمو في المجالات المختلفة داخل المجتمعات الإنسانية. ومن المهم أن نشير هنا إلى أن تفاعل تلك العوامل بصورة غير مناسبة, يؤدي إلى التخلف والتراجع وليس التنمية، ويعتبر الاستعمار وأنشطته, عاملا حاسما ومهما من عوامل إعاقة التنمية السياسية. خاصة أن التنمية تعتبر مفهوما يرتبط بالنشاط الإنساني ولا تتم بصورة تلقائية

- الضفة الغربية:

على الرغم من أن عبارة الضفة الغربية تحمل أكثر من معنى, إلا أني أستخدم في هذه الدراسة المعنى الجغرافي وهو المعنى الذي يحدد الضفة على أنها الجزء الأوسط من المناطق الشرقية لفلسطين الانتدابية

- الدولة:

جماعة من الناس يعيشون بصورة دائمة فوق إقليم جغرافي محدد ويخضعون لسلطة سياسية منظمة ويترتب على هذا التشكيل تفاعل مستمر تتحدد من خلاله الاتجاهات والعلاقات والواقع في هذه الدولة.

- المواطنة:

يعتبر توضيح هذا المفهوم مهما في هذه الدراسة, لكونه يشكل أحد أُسس التنمية السياسية. كما أن الإجراءات التي تقوم بها إسرائيل من خلال بناء الجدار وما ينجم عن ذلك من فصل سكاني, يؤثر مباشرة على التماسك والتواصل الاجتماعي الذي يعتبر أحد دعائم التنمية السياسية. تؤدي إلى تحويل المواطنين الفلسطينيين إلى مجرد سكان يبحثون عن لقمة العيش, بحيث تصبح الاحتياجات الفسيولوجية سقف مطالب وحقوق هؤلاء السكان. في حين أن المواطنة تعني وجود رابطة قانونية بين الفرد والدولة التي يقيم بها بشكل دائم وثابت. وعلى أساس هذه الرابطة والعلاقة, تتحدد حقوق الإنسان في الدولة وواجباته تجاهها. وفي تعريف آخر تكون المواطنة تمثل عضوية الفرد التامة والمسئولة في الدولة. وعلى هذا الأساس تترتب مجموعة من العلاقات المتبادلة ما بين الفرد والدولة, وتسمى هذه العلاقات بالحقوق والواجبات التي يتبادلها كل من الطرفين.

فرضيات الدراسة:

سأنطلق في إجراء هذه الدراسة العلمية بافتراض أن بناء الجدار الفاصل سيكون له تأثيرات وانعكاسات سلبية على التنمية السياسية في الضفة الغربية, وأنه قد يقضي على فرص إقامة دولة فلسطينية. وأن هدف"السياسة الإسرائيلية" هو تحويل الفلسطينيين إلى سكان يكونون بقبضتها اجتماعيا واقتصاديا وبخدمتها أمنيا. سأقوم بفحص هذه الفرضيات من خلال إجراء دراسة علمية تتبع حقائق تأثيرات الجدار على عدة عوامل لها أهمية في إحداث التنمية السياسية في أي مكان أو دولة. تتمثل هذه العوامل في الأرض والمياه والمجتمع والاقتصاد والسياسة. سأحاول الإجابة من خلال دراستي هذه على تساؤل: هل لبناء الجدار الفاصل أثر على التنمية السياسية في الضفة الغربية؟ كما سأعمل على تحديد اتجاه ذلك التأثير، إضافة إلى تقييم المدى الذي يصل إليه وذلك من خلال تتبع الحقائق التي تحصل فعلا نتيجة بناء الجدار.

حدود الدراسة:

ستشكل الضفة الغربية الميدان والحد الجغرافي للدراسة, حيث أرى أن بناء الجدار سيؤثر في التنمية السياسية في الضفة الغربية بشكل عام وليس على أجزاء منها, كالمناطق الملاصقة للجدار مثلا.

أما الحد الزمني للدراسة: فإنه سيتسع إلى ما هو أكثر من اللحظة التي بدأت إسرائيل بها ببناء الجدار الفاصل ولغاية الآن. سأرجع إلى الخلفيات التي جاء بناء الجدار في سياق تفاعلها وتطورها سواء كان ذلك من حيث الصراع العربي الإسرائيلي –على اعتبار أن بناء الجدار الفاصل جاء في سياق تفاعل وتداعيات أحداثه– أو من حيث الإطلاع على الخلفيات لتي دلت بوضوح أن مسألة بناء الجدار لم تكن وليدة لحظة أو مرحلة من اللحظات أو المراحل، وإنما كانت أفكار تعتمل في عقلية " القادة الإسرائيليين", قبل سنين عديدة من البدء بتنفيذ بناء الجدار الذي يتم تنفيذه حاليا.

منهجية الدراسة

لقد اخترت أن أقوم بإجراء بحثي ودراستي باستخدام المنهج ألوصفي التحليلي، كما سيتم استخدام المنهج التاريخي أيضا عندما أتناول بعض الحقائق. سأقوم بوصف تفصيلي للجدار الفاصل ضمن الإطار النظري والمفاهيمي للدراسة، وهذا سيشكل تعريفا واضحا للمصطلح الذي أبحث في موضوعه. ستحتوي دراستي هذه على خمسة فصول.

الفصل الأول: سأتناول في هذا الفصل الإطار ألمفاهيمي الذي سأوضح من خلاله مفاهيم ومصطلحات الدراسة التي سبق وأن تحدثت عنها.

أما **الفصل الثاني** فسأتناول به خلفيات بناء الجدار، والإطار العام الذي جاء خلاله والمتمثل في "الصراع العربي الإسرائيلي", حيث يمكن النظر إلى الجدار كآلية من آليات التحكم في مسار وتفاعلات ونتائج ذلك الصراع من قبل أحد أطرافه وهي إسرائيل.

سأتحدث في **الفصل الثالث** عن تأثيرات الجدار الفاصل علـــى الأراضـــي والميـــاه كاحتيـــاجين أساسيين، ومقومين هامين من مقومات التنمية، بل والحياة ذاتها. كما سأقوم بتنـــاول انعكاســـات تأثير بناء الجدار الفاصل على الأوضاع الاقتصادية للفلسطينيين، تلـــك الانعكاســـات المرتبطـــة بتأثيراته على عاملي الأرض والمياه.

أما **الفصل الرابع** فسأوضح من خلاله الآثار التي يحدثها الجدار على الأنشطة الإنسانية المختلفة للإنسان الفلسطيني، حيث أرى أن بناء الجدار وما يرافقه من إجراءات أثناء عملية بنائه، ومـــا يستمر معه من إجراءات لضمان فاعليته وإدارته بالشكل الذي يحقق الغرض منه, ستؤثر مباشرة على مختلف أنشطة الإنسان الفلسطيني, وبالتالي سيترتب على ذلك الكثير من الآثار السلبية على هذا الجانب الهام لتطوير الحياة، كما سأركز على الانعكاسات الاقتصادية أيضا التي تتأثر نتيجة تأثر مختلف أنشطة الإنسان الفلسطيني بسبب بناء الجدار الفاصـــل وخاصـــة بالنســـبة للســـكان المحاذين لذلك الجدار والذين يتأثرون بشكل مباشر بهذا الجدار.

أما **الفصل الخامس** فسأتناول به أهداف بناء الجدار. إضافة إلى أني سأقوم بعرض ما توصـــلت أليه من نتائج استقيتها من بحثي ودراستي في هذا الموضوع. كما سأقوم بوضع التوصيات التي أرى أنها تخدم هدف الدراسة المتمثل في التقليل أو الحد من الآثار السلبية للمشكلة.

في سياق عملية البحث والدراسة التي أجريتها في هذا الموضوع الهام، فإني ســـأقوم بـــالإطلاع على ما كتب من دراسات أو مقالات أو أبحاث تتعلق بموضوع الجدار، إضافة إلى المراجع التي تتناول المفاهيم التي ذكرتها.

إشكاليات الدراسة:

أهم الإشكاليات التي واجهتها في كتابتي لهذه الدراسة, عدم وجود مراجـــع كثيـــرة متكاملة تناولت هذا الموضوع. أكثر ما كتب في الموضوع جاء على شكل تقـــارير تتناول بعض الجزئيات منه, أو على شكل مقالات تحدثت عن بعض جوانبه, أو من خلال منشورات صغيرة أو نشرات متخصصة. بعض ما كتب عن الجـــدار كـــان ينشر في بضع وريقات تصدر من هذه المؤسسة أو تلك, وكانت أحيانا دون تـــرقيم,

مما يؤثر في عملية التوثيق. بعض التقارير التي تناولت موضوع الجـدار, كانـت تنشر من قبل المؤسسة المصدرة لها على أكثر من شكل, مثل التقارير التي صدرت عن منظمة العفو الدولية وغيرها. هذا يؤدي إلى اختلاف بعض عناصر التوثيق من شكل لآخر, مثل أرقام الصفحات. بعض ما نشر عن الموضوع أو عـن مواضـيع تتعلق به, جاءت على شكل نشرات مكتوبة. وفي نفس الوقت تم نشرها الكترونيـا من خلال شبكة الانترنت.هذا أيضا يؤثر على بعض عناصر التوثيق. لهذا ارتأيـت من الضروري الإشارة إلى هذه الإشكاليات التي واجهتها في كتابتي لهذه الدراسـة. وقد عملت على تجاوزها ما أمكنني ذلك. كما قمت بالتوثيق من أكثر مـن مرجـع لنفس المعلومة أحيانا, حتى أتوخى الدقة في التوثيق, وصحة المعلومات الواردة في دراستي هذه.

الفصل الأول

الإطار ألمفاهيمي

المبحث الأول

الجدار الفاصل

هذا المبحث يلقي الضوء على تعريف الجدار الفاصل الذي تقوم "إسرائيل" حاليا ببنائـــه فوق أراضي الضفة الغربية، والذي بدأت العمل الفعلي ببنائه في شهر حزيـــران ســـنة 2002، حيث أنه يشكل المحور ألأساسي في دراستي هذه. سأقدم تعريفا مفصلا له, وأبين مراحل إنشائه المختلفة حسب التخطيط والتنفيذ، كما أبين طوله الإجمالي وخط سيره، والبنية المادية والأمنيـــة التي يتكون منها. سأبين الأسماء التي أطلقت عليه، كونها تحمل مدلولات سياسية تهـــدف إلـــى التأثير على القارئ أو السامع فيما يتعلق بطبيعة الجدار والهدف من إنشائه.

1:1:1 التسميات المختلفة للجدار ومدلولاتها

تم إطلاق العديد من التسميات على الجدار الفاصل الذي نتحدث عنـــه. فالجانـــب الإســـرائيلي الرسمي يطلق عليه اسم الجدار الأمني، في محاولة لخلق انطباع لدى السامع أو القـــارئ بـــأن هدف هذا الجدار ينحصر في القضايا الأمنية. إذ تقول إسرائيل أن الغاية من بنائه تتمثل في منع الفلسطينيين من العبور سرا إلى داخل إسرائيل من أراضي الضفة الغربية، وهذا يـــأتي لحمايـــة الإسرائيليين ومنع الفدائيين الفلسطينيين من شن هجمات استشهادية داخـــل إســـرائيل[1]. الســـلطة الفلسطينية أطلقت عليه اسم جدار الضم والتوسع[2]، ذلك على اعتبار أن الجدار يؤدي إلى توســـع إسرائيل على حساب الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية، وضم أراضـــي فلســـطينية إلـــى إسرائيل بفعل واقع الحال الذي يفرضه بناء الجدار. منظمة العفو الدولية اســـتخدمت حـــاجز أو سياج أو جدار في تقاريرها، وذكرت أنه عادة ما يسمى بحاجز الفصل[3]. مجموعة من المنظمات الأهلية الفلسطينية تطلق عليه اسم جدار الفصل العنصري، على اعتبار أن الجدار يأتي لفصـــل الإسرائيليين عن الفلسطينيين، بطريقة تؤدي إلى تدمير مقومات وجود الشعب الفلسطيني فـــوق

---

[1] منظمة العفو الدولية.**إسرائيل والأراضي المحتلة- العيش تحت الحصار- تأثير القيود المفروضة على التنقل على حق العمل**. وثيقة رقم MDE 15 /001/2003. أيلول 2003. ص37

[2] مجلس الوزراء الفلسطيني. **القرار رقم(09/01/م.و/ ا. ق) لسنة 2004**. رام الله 2004

[3] منظمة العفو الدولية. ص 37. مصدر سابق

أرضه. في دراستي هذه استخدمت اسم الجدار الفاصل على اعتبار أن هـذه التسـمية حياديـة المدلول، في حين أن الموقف من الجدار يتبين من خلال التأثيرات المختلفة التي ينشئها الجدار، والتي لا تتبين إلا من خلال الإطلاع ودراسة ما يحدثه بناء الجدار من آثار على أرض الواقـع، وهذا ما سأتناوله في فصول لاحقة، لما له من أثر على التنمية السياسية في الضفة الغربية.

2:1:1 مسار وأقسام الجدار بالنسبة للخط الأخضر

حسب المخططات الإسرائيلية التي أعلنت عنها إسرائيل, فإن الجدار سيمتد على محيط الضـفة الغربية بشكل متعرج ومتداخل في أراضيها لمسافات متفاوتة[4]. تقدر إسرائيل أن العمل في بنائه سينتهي في نهاية سنة 2005 م.

يتكون الجدار العازل من قسمين رئيسين. أحدهما يمتد على محيط المناطق الشـمالية والغربيـة والجنوبية للضفة الغربية. تتخلله أجزاء تحيط بمنطقة القدس ضمن ما يسمى بغـلاف القـدس، والذي يهدف إلى عزل مدينة القدس ومحيطها عن امتدادها الطبيعي مع بـاقي منـاطق الضـفة الغربية[5]. يمتاز هذا القسم من الجدار بكثرة تعرجاته، الأمر الذي يجعل طوله أكثر بكثير مـن طول الخط الأخضر الذي يفصل إسرائيل عن الضفة الغربية حسب اتفاقية الهدنة الموقعة سـنة 1949بين الأردن وإسرائيل[6].

في بعض المناطق يسير الجدار على الخط الأخضر، وقد يدخل لمسافات قصيرة إلى إسـرائيل ولا يدخل في مناطق الضفة، وتبلغ نسبة الجزء غير المبني في أراضي الضفة 10% تقريبا من الطول الكلي للجزء الغربي من الجدار، في حين ان90% من هذا الجدار مبني علـى أراضـي الضفة[7]. تختلف أطوال المسافات التي يدخلها الجدار في أراضي الضفة الغربية من منطقة إلـى أخرى. ففي المرحلة الأولى من بناء هذا الجدار في مناطق شمال الضفة، تم بناء 41كم على بعد

---

[4] منظمة العفو الدولية. **العيش تحت الحصار**. ص37 مصدر سابق

[5] مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة" بتسيلم" . **الجدار الفاصل: خارطة الطريق وتقدم التنفيذ**. ص 1-2.

[6] منظمة العفو الدولية . **إسرائيل والأراضي المحتلة - وضع السياج/ السور في القانون الدولي**. وثيقة رقم 2004/ 016/ MDEIO . شباط 2004. ص 4.

[7] المصدر السابق . ص 2.

من صفر – 100 متر من الخط الأخضر، وبنيت 3كم على بعد 100–200 مترا، كمـــا بنيــت 17كم على بعد 200–1000 متر في حين بنيت المسافة الأطول والبالغة 124كم علـــى مســـافة تبعد1–8 كم عن الخط الأخضر[8]. في مناطق أخرى يدخل بناء الجدار الفاصل لمسافة تصل إلى 22كم، وذلك ليشمل المستوطنات المبنية في عمق الضفة الغربية مثل أريئيل التي تقـــع جنـــوب مدينة نابلس وقدوميم التي تقع جنوب غرب نابلس، وغيرها من المستوطنات التي تقـــع شـــرق مدينة قلقيليه[9].

لا تقتصر مدلولات امتداد الجدار داخل الضفة الغربية لمسافات طويلة على ضم المســـتوطنات وجعلها على تواصل مع إسرائيل فقط، بل هناك مدلولات وأسباب إستراتيجية أخـــرى، خاصـــة فيما يتعلق بالأرض والسكان والدولة، ومقومات أخرى لها تأثير مباشر على التنمية السياسية في الضفة الغربية[10]. سأقوم بتوضيح ذلك من خلال الفصول اللاحقة من هذه الدراسة.

3:1:1 أقسام الجدار الفاصل

الجزء الغربي من الجدار العازل يتكون من بنيتين. الأولى تتمثل بجدار رئيس يعمل على فصل التجمعات الفلسطينية عن إسرائيل، ومعظم المستوطنات المبنية في الطرف الغربي وعمق الضفة الغربية، أما البنية الثانية فتتمثل في جدار ثانوي يعمل على عزل تجمعات سكانية فلسطينية فـــي جيوب معزولة, ويتكون كل جيب من عدة قرى فلسطينية يحيط بها الجدار مـــن كـــل جانـــب، ويتخلل ذلك الجدار بوابة تتحكم القوات الإسرائيلية في عملية فتحها وإقفالها لمرور سكان تلـــك التجمعات التي أصبحت داخل معازل . يتكون الجدار الثانوي من خندق علـــى حافتيـــه أســـلاك شائكة مما يجعل من الصعب جدا المرور من خلالها. حسب إسرائيل يهدف الجدار الثانوي إلى توفير رقابة شديدة على حركة الفلسطينيين في المناطق التي يعتبرها الإسرائيليون حساسة مـــن

---

[8] دائرة شؤون المفاوضات- منظمة التحرير الفلسطينية . **النشاطات الإسرائيلية المتعلقة بالجدار الفاصل منذ أن تقدمت الجمعية العامة بطلب المشورة من محكمة العدل الدولية بشان الجدار**. تقرير 2004/2/19. ص4.

[9] مركز المعلومات الإسرائيلي " بتسيلم" . **الجدار الفاصل- خارطة الجدار الجديدة وأبعادها**. ص 2.

[10] ملحيس، غانية : *جدار الفصل العنصري*. **مجلة المراقب الاقتصادي .** رام الله . عدد 10 سنة 2003. ص 101.

الناحية الأمنية، وقد صادقت الحكومة الإسرائيلية على إنشاء خمسة عوائق خلفية ضمن الجـدار الثانوي[11].

تم تقسيم بناء الجدار الغربي إلى مرحلتين الأولى تبدأ من قرية زبوبا أقصـى شـمال الضـفة الغربية في محافظة جنين، المحاذية لقرية سالم داخل الخط الأخضر، وتنتهي عند قرية مسـحه المحاذية لمستوطنة الكانا جنوب شرق مدينة قلقيلية وغرب مدينة سلفيت. المرحلة الثانية تمتـد من قرية مسحه متجهة جنوبا لغاية منطقة أم الدراج بالقرب من بلدة يطا، القريبة من مسـتوطنة الكرمل إلى الجنوب من مدينة الخليل. كما يوجد جزء آخر من هذه المرحلة يبدأ من قرية زبوبا متجها شرقا، لينتهي عند قرية تياسيرعلى بعد عدة كيلومترات شمال شرق مدينة طوباس، مـاراً في قرية المطلة أقصى شرق محافظة جنين، ومنها يتجه بملاصقة الخط الأخضر إلـى الشـرق واصلا منطقة عين البيضا أقصى شمال شرق الضفة الغربية على نهر الأردن[12]

تقسيم أجزاء بناء الجدار الغربي في بنيتيه الرئيسة والثانوية حسب الجدولين التاليين:

جدول رقم(1): أجزاء وأطوال القسم الغربي من الجدار

من	إلى	الاتجاه	الطول/ كم
زبوبا	المطله	غرب/ شرق	31
المطله	نهر الأردن	غرب/ شرق	15
زبوبا	مسحه غرب سلفيت	شمال/ جنوب	126
مسحه	رام الله مرورا بأريئيل	غرب/شرق وبالعكس ثم جنوب	132
رام الله	القدس	شمال/جنوب	9
بيت ساحور	جنوب القدس	جنوب/شمال	10
ابوديس	العيزريه	جنوب/شمال	15
المطلة	تياسير	شمال/ جنوب"من جهة الشرق"	14
بيت جالا	أم دراج "جنوب الخليل"	شمال/ جنوب	129

[11] مركز المعلومات الإسرائيلي " بتسيلم" **. التغيرات على مسار الجدار الفاصل**. ص 3

[12] م.ت.ف. السلطة الوطنية الفلسطينية . **تقرر فلسطين في محكمة العدل الدولية**. لاهاي 2004.

غلاف القدس	بير نبالا		17
غلاف القدس	الولجه		5
غلاف القدس	الرام/ عناتا		17

تقرير فلسطين في محكمة العدل الدولية. لاهاي سنة 2004.

جدول رقم (2): أجزاء القسم الغربي من الجدار

القرية	الطول/ كم
رنتيس يحيط بها جدار مزدوج	5
قبيه يحيط بها جدار مزدوج	25
بيت عور يحيط بها جدار مزدوج	42

تقرير فلسطين في محكمة العدل الدولية. لاهاي سنة 2004.

4:1:1 أطوال الجدار الفاصل

الجدار عبارة عن قسمين رئيسين شرقي وغربي، هناك عدة روايات تستند إلى مصادر معلومات مختلفة عن أطوال الجدار لذلك ظهرت أرقام مختلفة فيما يتعلق بأبعاد الجدار وحجم تأثيراته، وقد يكون ذلك بسبب التغيرات التي كانت تحدث بين ما يعلن عنه وما تم تنفيذه فعلا على الأرض، إذ انه سبق أن تم إجراء بعض التعديلات في مسار الجدار أدت إلى اختلاف أطواله[13]، إضافة إلى أن المصادر الإسرائيلية الرسمية لم تكن توضح كافة التفاصيل المتعلقة بالجدار. حتى أتجنب عدم الدقة في تحديد أبعاد الجدار، فقد تناولت البيانات التفصيلية التي وردت في تقرير فلسطين، المقدم إلى محكمة العدل الدولية التي تنظر في قانونية الجدار. حيث أرى أن بها تفصيلات تجعلها أكثر دقة، إضافة إلى أنها قريبة جدا لما أوردته مصادر إسرائيلية. كما إنني سأشير إلى بيانات مختلفة ذكرتها مصادر مختلفة حول أبعاد الجدار.هذه البيانات تشير إلى أن طول القسم الغربي من الجدار يصل إلى 592كم، وعرضه ما بين 40-100 متراً وارتفاعه يصل أحيانا إلى 8 أمتار. مركز بتسيلم الإسرائيلي بين معلومات تشير إلى أن طول ذلك القسم

[13] مركز المعلومات الإسرائيلي" بتسيلم" . **تغييرات على مسار الجدار الفاصل.** ص 1.

من الجدار يصل اللى569 كم، مقسمة من حيث خطة البناء إلى عدة أجزاء يبلغ طول الجزء الأول 138كم ويمتد من قرية سالم القريبة من الخط الأخضر في منطقة شمال الضفة الغربية، والمحاذية إلى قرية زبوبا الفلسطينية إلى مستوطنة الكانا بالقرب من قرية مسحه. الجزء الثاني 60 كم ويمتد من قرية سالم إلى قرية تياسير شرق بلدة طوباس ومنها إلى نهر الأردن. الجزء الممتد من مستوطنة الكانا إلى معسكر عوفر بالقرب من رام الله يبلغ186كم' والجزء الممتد من مستوطنة هارجيلو القريبة من بيت لحم جنوب القدس إلى مستوطنة الكرمل جنوب الخليل يبلغ 135كم، والجدار الذي يسمى غلاف القدس يبلغ 50كم. إذا ما أضفنا الجدران الثانوية التي تحيط بالتجمعات الفلسطينية والبالغة 91 كم فإن كامل الجزء الغربي ببنيتيه الرئيسية والثانوية يبلغ 660كم[14]. في تقرير منظمة العفو الدولية ذكر أن طول الجدار يبلغ 650كم وعرضه من 60 – 80 م[15].وفي تقرير آخر لنفس المنظمة ذكر أن طول الجدار يبلغ 400كم، وعرضه مابين 30–100 متر[16]. في نفس السياق ذكرت مجلة المراقب الاقتصادي أن طول الجدار الغربي يبلغ 360كم[17].

من بين القراءات المتعددة لأبعاد الجدار، فاني اعتقد أن البيانات التي جاءت في تقرير فلسطين المقدم إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي، هي الأقرب إلى الدقة كونها جاءت مفصلة وواضحة وقريبة جدا من مصادر إسرائيلية.

القسم الرئيسي الثاني من الجدار، هو الجزء الذي تم الحديث عن بنائه ليحيط بالضفة الغربية من الجهة الشرقية، ويبدأ من منطقة تياسير شرق طوباس وينتهي في منطقة أم الدراج جنوب محافظة الخليل، وامتداده مكون من الأطراف الشرقية، ويبنى على عمق 15–20كم من نهر الأردن داخل أراضي الضفة الغربية، ويصل طوله إلى 196 كم[18]. لم يتم المباشرة في تنفيذ هذه المرحلة من مراحل بناء الجدار، والتي تسمى بالمرحلة الثالثة، لكن تم تقديم توصية ببنائه من

[14] مركز المعلومات الإسرائيلي " بتسيلم" . **الجدار الفاصل: ملخص المعلومات حول الجدار الفاصل**. ص 1.
[15] منظمة العفو الدولية. **وضع السياج / السور في القانون الدولي** . تقرير شباط 2004. رقم الوثيقة 2004 / 016 / 15 MDEIO . ص 2.
[16] منظمة العفو الدولية. **العيش تحت الحصار .** ص 38. مصدر سابق.
[17] *ملحق جدار الفصل العنصري* . **مجلة المراقب الاقتصادي** عدد 11 / ص101. سنة 2003.
[18] منظمة التحرير الفلسطينية- دائرة شؤون المفاوضات. **تقرير فلسطين لمحكمة العدل الدولية**. لاهاي 2004.

قبل الجيش ومجلس المستوطنات الأعلى. قدم رئيس الحكومة الإسرائيلية الحالية ارييل شـــارون اقتراحا في آذار 2003، يقضي ببناء هذا القسم من الجدار ليضم المستوطنات الإسرائيلية المقامة في مناطق الغور[19]. إذا ما تم تنفيذ بناء هذا القسم من الجدار، فان طول الجدار الكلـــي ســـيبلغ 788كم تقريبا حسب ما أورت دائرة شؤون المفاوضات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، مما يجعله أطول من ضعفي طول الخط الأخضر[20]. كما أشرت سابقاً هناك مصادر أخرى ذكـــرت أرقاماً مختلفةً حول طول الجدار. في وقت لاحـــق بتـــاريخ 2004/6/30 أصـــدرت المحكمـــة الإسرائيلية العليا قراراً يقضي بضرورة إجراء تعديلات على مسار الجدار في منطقـــة شـــمال غرب القدس، وإلغاء 30 كم منه. ذلك من أجل أن يتم الأخذ بالاعتبارات الإنسانية لسكان القرى الواقعة في تلك المنطقة دون المساس بالاعتبارات الأمنية. هذه القرى هي بيت دقو وبيت إجـــزا وبيت سوريك وبدّو وغيرها. في حالة تم تنفيذ القرار فإن طول الجدار سيقل 30 كـــم المشـــار إليها, وسيصبح طوله استناداً إلى ما سبق وأوردته دائرة شؤون المفاوضات في منظمة التحرير حوالي 758 كم[21]. هناك من يرى بالتعديلات الإسرائيلية أنها جاءت استباقا لقرار محكمة العدل الدولية بهدف إظهار أن للجدار أبعاد أمنية ويأخذ بالحسبان الاعتبارات الإنسانية. رغم ذلك فـــإن التعديل لن يحل مشكلة تلك القرى, إذ ستبقى مسافات واسعة من أراضـــيها داخـــل الجـــدار ولا يمكنهم الوصول إليها، في حين ستبقى المسطحات السكنية لهذه القرى خارج الجدار[22]

4:1:1 الجدار حول مدينة القدس

بالنسبة للقدس يؤدي الجدار الفاصل إلى إحكام السيطرة على المدينة وإغـــلاق كافـــة منافـــذها المؤدية إلى محيطها العربي في الضفة الغربية، مع إبقاء نقاط عبور وكأنها نقاط حدودية يتواجد بها الجيش الإسرائيلي بشكل دائم، ويتحكم بكل الأنشطة التي تحدث من خلالها. تم بناء أجـــزاء من الجدار الغربي لتحيط بالقدس من الجهات الشمالية والجنوبية والشرقية، أما الجهـــة الغربيـــة

---

[19] حمدي، رشا: *الدولة الفلسطينية القادمة بين الجدار الأمني والمستوطنات*. **مجلة السياسة الدولية**. ع 55. ص190 يوليو 2003

[20] دائرة شؤون المفاوضات - م. ت. ف. **حقائق عن الجدار . رام الله /** آذار – نيسان2004, ص13.

[21] حملة مقاومة جدار الفصل العنصري, بنجون. **نظام الفصل العنصري يخلقه الجدار لا مساره** . 2004/7/4. موقعهم على الانترنت WWW.STOPTHEWALL.ORG

[22] المرجع السابق، ص 2- 3.

فهي بطبيعة الحال محتلة منذ سنة 1948. يصل طول هذه الأجزاء إلى أكثر من 40 كم[23] كما تقول دائرة شؤون المفاوضات في منظمة التحرير الفلسطينية. حسب مركز المعلومات الإسرائيلي بتسيلم يصل إلى 50 كم[24]. الفرق بين المصادر قد يكون ناجم عن التغيرات التي حصلت بعد قرار المحكمة الإسرائيلية في هذا الشأن. يبلغ طول الجزء الشمالي 8 كم وعرضه 40-100متر، وقد تم بناء هذا الجزء على عمق 6 كم شمال الخط الأخضر أي داخل أراضي الضفة. الجزء الجنوبي يصل طوله إلى 20كم تقريبا، بني منها لغاية الآن 14.5كم، وبني هذا الجزء على عمق يصل إلى 3كم داخل الضفة، مما يعني انه يقطع مدن بيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا الواقعة جنوب القدس. أما الجدار الشرقي فيتم بناؤه على عمق 5كم داخل أراضي الضفة ويبلغ طوله 17 كم تقريبا[25]. الملحق رقم (1) يبين خارطة الجدار حول القدس.

5:1:1 بنية الجدار ومكوناته

يتكون الجدار من مجموعة خطوط بمحاذاة بعضها مبنية من مكونات مختلفة تسمى مجمع الجدار. تبنى هذه الخطوط على مقطع يبلغ عرضه ما بين 40- 100متر، ويصل ارتفاعها ما بين 2.5- 8 متر، في حين يبلغ طول الجدار ألكلي 788كم تقريبا[26]. يبدأ الخط الأول من الجدار من الجهة الشرقية بوضع أسلاك شائكة اسطوانية الشكل، حيث يبنى سياج شائك بشكل هرمي عرض قاعدته 5 متر، وارتفاعه عن سطح الأرض يصل إلى 3 متر. يليه إلى الغرب خندق بعمق 3-4 متر. ثم يلي هذا الخندق طريق معبد مخصص لسير الدوريات والآليات العسكرية الإسرائيلية التي ستعمل على حماية وإدارة كفاءة الجدار، ويبلغ عرض هذه الطريق 6متر. يلي الطريق المعبدة طريق أخرى ترابية مغطاة بالرمل من أجل كشف أية آثار لأي كائن يسير عليها. بعد ذلك يتم بناء سياج كهربائي على قاعدة إسمنتية يصل ارتفاعها إلى 0.6 متر، وارتفاع السياج الكهربائي المقام عليها يصل إلى 2.5 متر. يتم تزويد هذا السياج بالتيار

---

[23] م. ت.ف- دائرة شؤون المفاوضات. **جدار الفصل العنصري- القدس** . رام الله / أيلول 2003, ص 3.

[24] مركز المعلومات الإسرائيلي " بتسيلم" : **ملخص المعطيات حول الجدار الفاصل** . موقعهم على الانترنت www.btselem.org.

[25] م.ت.ف- دائرة شؤون المفاوضات. **جدار الفصل العنصري- القدس**. مرجع سابق. ص3.

[26] م.ت.ف- دائرة شؤون المفاوضات. **تقرير فلسطين المقدم إلى محكمة العدل الدولية**. لاهاي2004.

الكهربائي بواسطة مولدات كهربائية معدة لذلك. في بعض المناطق من السياج تم تركيب ونشـــر أسلحه أتوماتيكيه تطلق النار ذاتيا بمجرد استشعارها لمرور أي جسم تلتقطه وسائل استشـــعارها من خلال تقنيه حديثه جدا. يتخلل هذا الخط من البناء، إنشاء جدران إسمنتية بارتفـــاع 8 م فـــي كثير من أجزاء هذا الخط، وعاده ما تبنى الأجزاء الإسمنتية في المناطق المأهولة بـــالمواطنين، والمناطق التي يتعذر فيها بناء كامل خطوط الجدار[27]. تم بناء أبراج مراقبة محصنة كجزء مـــن الجدار, وتم نشرها على طول الجدار بواقع بناء برج كل 400 م تقريبا. تكون الأبراج مـــزوده بدوائر تلفزيونية وأجهزة مراقبة أخرى متصلة بمجسات استشعار عن بعد، وذلك لكشف ما يمكن أن يحدث خلال الجدار, أو في محيطه[28]. بعد هذا الخط الهام يتم إنشاء طريق ترابي آخر مغطى بالرمل إلى الغرب منه، ثم طريق معبد مزدوج لاستخدام دوريات المراقبة العسكرية. بعد ذلـــك توضع أسلاك هرمية أخرى على شكل سياج هرمي كالذي بدأت الحديث عنه في معرض حديثي عن البنية المادية والأمنية للجدار[29]. انظر الملحق رقم(2) الذي يبين رسما لمقطـــع عرضـــي للجدار. النظام الأمني الملحق بالجدار، يتضـــمن أنظمـــة مراقبـــه متطـــورة، ونقـــاط تفتـــيش، ومعسكرات للجيش, ومناطق عسكريه مغلقه تمتد داخل الضفة الغربية وتحـــيط بالجـــدار مـــن جانبيه[30].تم إنشاء بوابات خلال الجدار من أجل المرور، لكن الجيش الإسرائيلي يتحكم في فـــتح وإغلاق هذه البوابات. هناك مصادر ذكرت أنه سيتم فرض رسوم مالية على كـــل شـــخص أو سيارة تمر خلال تلك البوابات، حيث ستفرض 10 شيقل (2.25) دولار تقريبا على كل شـــخص يمر من البوابات، ويفرض 160 شيقل (35) دولار تقريبا على مرور كل سيارة[31] . العديد مـــن المصادر تؤكد أن مسار ومكونات الجدار تتأثر بعوامل سكانية وتشغيلية، كالموقع والتضاريس. إضافة إلى العامل الأمني ومواقع المستوطنات الإسرائيلية المبنية في الضفة الغربية[32].

---

27 المصدر السابق.
28 شبكة المنظمات البيئية الفلسطينية غير الحكومية (بنجون). **الجدار في فلسطين**. رام الله سنة 2003
29 م.ت.ف- دائرة شؤون المفاوضات. **تقرير فلسطين لمحكمة العدل الدولية**. مصدر سابق
30 المصدر السابق ص121
31 **جريدة الأيام. رام الله.** 2003/12/28 *تقرير خاص ومقابله مع خليل التفكجي حول جدار الفصل.*
32 حمدي، رشا: *الدولة الفلسطينية القادمة بين الجدار الأمني والمستوطنات*. **مجلة السياسة الدولية**. ع153. تموز 2003 ص190

المصادر الإسرائيلية تذكر أن تكلفة بناء الجدار تصل إلى 1.5 مليار دولار أمريكي تقريبا، وهي تكلفة عالية جدا إذا ما قورنت بالأهداف التي تعلنها إسرائيل، والوضع الذي أنشأته وتقول انه مؤقت[33]. الملاحق من (4 - 5) تبين صورا لأشكال مختلفة للجدار.

[33] دائرة شؤون المفاوضات- م.ت.ف. **حقائق عن الجدار**. ص5. مصدر سابق.

المبحث الثاني

التنمية السياسية

ليس من السهل تحديد معنا حصريا وشاملا للتنمية السياسية. فقد لاحظت من خلال قراءاتي في هذا المجال، أن الباحثين حاولوا تقديم تعريفات لتوضيح هذا المصطلح من خلال زوايا مختلفة، ولذلك جاءت تعريفاتهم مختلفة. نرى أن الخلفية الثقافية والبيئة الفكرية التي ينتمي إليها الباحثون تؤثر في صياغتهم وتحديدهم لهذا المفهوم[34]. لذلك أرى من المفيد أن أتناول تعريفات تمثل مختلف الاتجاهات التي تناولت هذا الموضوع.

هناك عدد كبير من الباحثين الغربيين يميلون إلى وضع توصيفات لمفهوم التنمية السياسية بشكل يجعلها تتطابق مع الديمقراطية الليبرالية، في حين أن الماركسيين يرون أن هدف التنمية السياسية هو الوصول بالمجتمع إلى مرحلة الشيوعية[35].

بعض الباحثين الغربيين وضع مواصفات اعتبروها تشكل مقومات للتنمية السياسية، إذ اعتبروا أنها تفترض وجود أهداف محدده تسعى إليها، وأن التغيير في المجال السياسي يرتبط بالمجالات الأخرى داخل المجتمع. تتمثل هذه المجالات بمدى امتداد القوه الحكومية ومركزيتها، مع وجود تنوع وتخصص داخل النسق السياسي بشكل يؤدي إلى التكامل وعدم التعارض. إضافةً إلى ضمان المشاركة الشعبية في صنع السياسة، وصولا إلى حالة التوحد الشعبي مع النسق السياسي القائم، ومقدرته على حل المشاكل والتحديات التنموية المختلفة. كذلك الاستمرار في رسم سياسات جديدة يستطيع المجتمع من خلالها أن يؤسس أنساق جديدة، أو إصلاح ما هو قائم، والقدرة على تعلم أحسن لكيفية القيام بالوظائف السياسية وإرساء بُناها المختلفة.[36] تتجلى التنمية السياسية عندما ينجح النسق السياسي في التعامل مع التحديات التنموية لبناء الدولة والأمة، ومواجهة المشاكل الأخرى التي تظهر داخل المجتمع، مثل مشكلة التوزيع وغيرها. على هذا

---

[34] س. ه . دود: **التنمية السياسية**. القاهرة. مكتبه نهضة الشرق. جامعه القاهرة. صفحة 16

[35] المرجع السابق ص 22-23

[36] المرجع السابق ص 20

الأساس يمكنني أن أدرج التعريف الذي يرى أن التنمية السياسية تتحقق عندما يصبح النسق السياسي قادرا على حل المشاكل التنموية التي تظهر من خلال عملية التحديث السياسي [37].

قدم باخنهام في بداية ستينيات القرن العشرين، تصنيفا لتعدد معاني التنمية السياسية، بحيث عالج في كل معنى مجالا من مجالات التنمية [38]. فقد عرف التنمية السياسية فيما سماه الاقتراب القانوني الرسمي، بأنها دالة الدستور القانوني الرسمي الذي يبين القواعد القانونية، مثل الحماية المتساوية في ظل القانون، والانتخابات الدورية السرية، وفصل السلطات. أما ما أسماه بالاقتراب الاقتصادي فقد أشار التعريف إلى مستوى التنمية الاقتصادية الكافي لخدمة الحاجات المادية للشعب، ودعم الانسجام بين الطموح والإشباع الاقتصادي. من الناحية الإدارية كان المعنى يتمثل في القدرة الإدارية على حفظ القانون، والانتظام بفعالية وكفاية للقيام بوظائف الخدمات الحكومية بشكل محايد. في الجانب الاجتماعي فإن التنمية السياسية تدل على سهولة المشاركة الشعبية في الأنشطة السياسية على كل المستويات، وتجاوز المشاكل الإقليمية والدينية واللغوية والطائفية، الخ. فيما يتعلق بالثقافة السياسية، تناول التعريف الخصائص الاتجاهية والشخصية التي تجعل عناصر النظام السياسي تقبل الامتيازات وتتحمل المسئوليات الناجمة عن العملية الديمقراطية. [39]في فترة لاحقه قدم لوشيان باي عشرة تعريفات للتنمية السياسية حيث بدأها باعتبار أن التنمية السياسية متطلب سياسي للتنمية الاقتصادية. ثم أنها نمط أصيل للحياة السياسية في المجتمعات الصناعية. وأنها تحديث سياسي لذا فإنها تتطلب دراسة البلاد الغربية المتقدمة والحديثة، وعرفها أيضا على أنها تشكيل الدولة القومية، وأنها تنمية إدارية قانونية، لأن العلاقة تبادلية ما بين التنمية السياسية والتنظيم الإداري والقانوني للمجتمع. وأنها تعبئة ومشاركة جماهيرية تحدد دور المواطنة ومعايير الولاء والانخراط. وأنها بناء الديمقراطية ومؤسساتها. كذلك استقرار سياسي وتغيير منتظم وهادف، إضافة إلى تعبئة وقوة. خلص باي في تصنيفاته إلى أن التنمية السياسية تعتبر من عملية التغيير متعددة الجوانب، وأنها تقوم على ثلاثة عناصر تتمثل في المساواة والقدرة والتخصص.

---

[37] المرجع السابق ص 19
[38] د.غانم،السيد عبد المطلب: **دراسة في التنمية السياسية**. القاهرة. مكتبه نهضة الشرق بحرم جامعة ألقاهرة 1981. ص 68
[39] المصدر السابق ص 71، 73، 74

يلاحظ أن معظم من تناولوا التنمية السياسية من خلفية الفكر الغربي يتفقون بدرجة كبيرة علـــى المواصفات الرئيسة التي تمثل مظاهر التنمية السياسية، [40]والتي تتمثل في بناء الدولـــة القوميـــة الحديثة بما يعني ذلك من خصائص تقتضي التغلب على مشكلة الهوية وإرساء مفهوم المواطنـــة والتركيز على معايير الإنجاز بما يتطلب من بنى متخصصة ومتكاملة داخل النسق السياسي. ثم بناء الحياة الديمقراطية، بما تحوي من خصائص التعددية والمساواة في توزيع السلطة والتنافس، الخ. دوائر الفكر الأمريكي تذهب إلى تعريف التنمية السياسية على أنها التغييرات التي تحـــدث باتجاه مزيدٍ من توزيع السلطة وتبادلها. إضافة إلى التركيز على تعبئة المجتمع من خلال ثقافـــة المشاركة. في هذا المجال يرى رستو أن التنمية السياسية تمثل مزيداً مـــن الوحـــدة السياســـية القومية وقاعدة واسعة من المشاركة السياسية. [41]رغم ذلك نرى أن هنتنجتـــون خـــالف الـــرأي السابق فيما يتعلق بالمشاركة, إذ يرى أن التنمية السياسية تتضمن تأسيس المؤسسات السياســـية. في حين أن التعبئة والمشاركة هما جانبان سياسيان في عملية التحديث، وأن الزيـــادة الســـريعة فيهما تؤدي إلى تقويض المؤسسات السياسية. [42]هذا لا يعني أن هينتجتون لم يهتم بالمشاركة بل اعتبرها إحدى مقومات التحديث السياسي. ويرى أن الزيادة في معدلات مشاركه الجماهير في الحياة السياسية، وعملية صنع القرار السياسي، مهمة في عملية التحديث، لـــذلك مـــن الضروري إيجاد قنوات شرعية، لتمكين المواطن من المشاركة السياسية. أما المجموعة الأخيرة من مظاهر التنمية السياسية فإنها تتناول أكثر من بعد من أبعاد تلك التنمية, ويرى كولمان بهـــذا الشأن أن عمليه التنمية السياسية تتمثل في وجود تفاعل مستمر بين عمليات الاخـــتلاف البنـــائي داخل النسق السياسي، والاتجاه نحو المساواة والقدرة التكاملية والإستجابية والتكيفية لذلك النسق، وأن تفاعل هذه الأبعاد يشكل أعراضا للتنمية. هذا يتطلب قيام النسق السياسي بحيـــازة قـــدرات سياسية متزايدة بشكل مستمر, يوظفها في بناء أنساق جديدة تعمـــل علـــى التكامـــل والتغلغـــل والتوزيع والمشاركة من أجل احتواء التوترات والصراعات التي تحدث نتيجة الاختلافات، هـــذا

---

[40] إسماعيل, محمد أحمد: **دور المثقفين في التنمية السياسية**. ج 1. ص 156- 158

[41] المرجع السابق ص 158

[42] وهبان، احمد: **التخلف السياسي وغايات التنمية السياسية**. مصر سنة 2000. دار الجامعة الجديدة للنشر 38 شارع سوتير الاسكندريه. ص 108، 109

يؤدي إلى حل أزمتي الهوية والشرعية.[43] حسب المفاهيم الغربية للتنمية السياسية أجد أن فصـــل السياسات المختلفة عن الأهداف الدينية يشكل أحد أعراض عملية التحديث، وهي جزء لا ينفصل عن متطلبات التنمية السياسية، وبهذا فإن مباديء العلمانية تشكل أحد أسس التنمية السياسية.

من زاوية أخرى فأن تعدد المعاني والمقومات التي تحدث عنها الكثيرون من المفكرين الغربيين على سبيل توضيح مفهوم التنمية السياسية، لم يقابله نفس التعدد والتعقيد في الفكر الماركسي. فقد حدد هذا الفكر هدف التنمية السياسية بوضوح، وهو الوصول بالمجتمع إلى مرحله الشـــيوعية.[44] لكن المشكلة التي ظهرت تمثلت في الكيفية التي يطرحها الفكر الماركسي للوصول إلى تلـــك المرحلة. فالتنمية السياسية حسب هذا الفكر، مستمدة أساسا من التفسير المادي للتاريخ، وبالتـــالي فإن الوصول إلى هذه التنمية لابد أن يتلاءم مع مراحل حركة وتطور التـــاريخ حســـب رؤيـــة الماركسيين. فأي نسق اجتماعي يظهر، ينمو من خلال النسق القائم، لكنه يكون معارضـــا لـــه. فالرأسمالية تنمو من المرحلة الإقطاعية، والاشتراكية تنمو من الرأسمالية. في المرحلة الأولـــى تكون البرجوازية أداة التغيير، أما في المرحلة الثانية فان الطبقة العاملة تكون أداة التغيير، وفي الحالتين فان الصراع الطبقي يكون آلية هذا التغيير.[45] في الدول النامية حدثت تعديلات علـــى النظرية الماركسية لتنسجم مع واقع الحال القائم، بسبب أن البنى الاجتماعية في تلك الـــبلاد لـــم تنسجم مع متطلبات تلك النظرية، وقد حدثت تلك التعديلات استنادا إلى أفكار لينين.فقد تم طرح إمكانية تحالف طبقة العمال مع طبقة الفلاحين، كي يتمكن التحالف من إحداث التغيير المطلوب، كما أكد لينين على دور المثقفين في إحداث التغيير من خلال تشكيل الأحزاب الشيوعية، كأدوات لإحداث ذلك التغيير المنشود، والذي يتمثل في التنمية السياسية، ويعني بذلك بنـــاء ديمقراطيـــة قائمة على سيطرة الفلاحين والبروليتاريين الصناعيين، مع ضبط وسائل الإنتاج تحت ســـيطرة هذا التحالف [46].

---

[43] س. ه. دود: **التنمية السياسية**. ص 18. مرجع سابق

[44] المرجع السابق ص24

[45] المرجع السابق/ ص 25، 26

[46] وهبان، أحمد: **التخلف السياسي وغايات التنمية السياسية**. دار الجامعة الجديدة للنشر، 38 شارع سوتير الاسكندريه، سنة2000/ ص 106، 103

في ناحية أخرى أجد أن أحمد وهبان أستاذ العلوم السياسية في جامعة الإسكندرية يرى أن التنمية السياسية لا تعدو عن كونها العملية التي تستهدف تخليص المجتمع من حالة التخلـف السياسـي الناجمة عن سبع أزمات. هذه الأزمات تتمثل في أزمة الهوية والشرعية والمشـاركة والتغلغـل والتوزيع والاستقرار السياسي وتنظيم السلطة. [47]أزمة الهوية هي تعبير عن غياب مبدأ المواطنة داخل المجتمعات الإنسانية، وبالتالي لا يصبح هناك ترابط بين أفراد المجتمع الواحد، الأمر لذي سيؤدي إلى فشل الجهود التي تبذل لإحداث التنمية. [48]أما أزمة الشرعية فتتمثـل بمبـدأ قبـول المحكومين بالسلطة التي تحكمهم. فرضا المحكومين بهذه السلطة هو الذي يسبغ عليهـا صـفة الشرعية، وعدم رضاهم عنها يجردها من تلك الصفة[49]. بالنسبة إلى أزمة المشـاركة السياسـية ليس هناك مدلول موحد لهذه العبارة، وعلى سبيل المثال فإن هنتجتون يعرفها بأنها نشاط يقوم به المواطنون بهدف التأثير في عملية صنع القرار السياسي، لذلك فان أزمة المشاركة تظهـر فـي حالة وجود أي عراقيل أو معوقات تمنع المواطنين من المشاركة السياسية، وهـذا يسـتند إلـى المفهوم الذي ذكرته، كون كافة التعريفات الأخرى لا تخرج في تعريفها للمشاركة السياسية عن هذا المدلول. أزمة التغلغل ترتبط مباشره بقدرة النظام السياسـي، خاصـة قدرتـه التنظيميـة، والمقصود بالتغلغل: هو الحضور الفعال للحكومة المركزية على كافة أرجاء الدولة وعناصـرها المختلفة. من هنا أرى أن أي معوقات تحول دون سيطرة الحكومة المركزية علـى مواطنيهـا وإقليمها تؤدي إلى أزمة التغلغل. [50]أزمة التوزيع ترتبط بقدرة الحكومات المركزية على توزيـع الموارد والمنافع على مواطنيها. فكلما كان هذا التوزيع عادلا وكانت تلك الموارد والمنافع كافية، كان ذلك يسهم في الاستقرار السياسي، وعلى العكس من ذلك فإن عدم كفاية الموارد والمنـافع التي تقدمها الحكومة إلى شعبها، وسوء توزيعها يؤديان إلى عدم الاستقرار، خاصة إذا كان سوء التوزيع ناجم عن الفساد السياسي. [51]بالنسبة إلى الاستقرار السياسي فإنني أجد انه يشكل أرضية لنجاح الجهود التنموية، وفي ذات الوقت نجده هدفا لها. هناك بعدين لازمة الاستقرار السياسـي،

[47] المرجع السابق ص 20
[48] المرجع السابق ص 32
[49] المرجع السابق ص 38، 41
[50] المرجع السابق ص 63، 67
[51] المرجع السابق ص 74-80

الأول يتعلق باستقرار الدولة نفسها، حيث يرى احمد وهبان أستاذ العلوم السياسية فـي جامعـة الإسكندرية، أن أكثر ما يهدد هذا الشكل، هو التنوع العرقي إذا لم يتم صهره في إطـار الدولـة القومية، وصولا إلى حالة التجانس القومي الذي يعتمد مبدأ المواطنة في التعامل مع كافة أفـراد المجتمع[52]. أكثر ما يهمنا في هذه الدراسة مما ذكرته في توضـيح مفهـوم التنميـة السياسية, هو ما يتعلق بالقضايا التي يؤثر عليها الجدار الفاصل, وهي عديدة فيمـا أوردته آنفا. من أهمها ما يتعلق بالمجال السياسي الذي سأبين من خلال هذه الدراسة اثر الجدار عليه. إضافة إلى المعنى الذي يفسر القدرة الإدارية للنسـق السياسـي. سأقوم في هذه الدراسة بتناول مدى تأثير الجدار على قدرة النسق السياسي بالقيـام بالوظائف الحكومية في المناطق التي يؤثر عليها بناء الجدار. كما سـأتناول تـأثير الجدار على البعد الاجتماعي والمشاركة السياسية خاصة في المناطق التي يفصـلها الجدار. كذلك سأتناول تأثير الجدار على مدى إمكانية التغلغل الحكومي في المناطق التي يفصلها الجدار. إضافة إلى إني سأتناول تأثير الجدار على البعـد الاقتصـادي الذي له أهمية في إحداث التنمية السياسة. من كل هذا يمكن ملاحظة التـرابط بـين التنمية السياسية ومسألة بناء الجدار.

[52] المرجع السابق ص 87

المبحث الثالث

الضفة الغربية

أقدم هنا تعريفا سياسيا وطبوغرافيا للضفة الغربية، حيث سأتناول تداخل السياسة مع الجغرافيا مبينا الأحداث السياسية التي كان لها الأثر الأكبر في تكييف معالم وحدود الضفة الغربية كما هي عليه الآن. كما أبين العناصر الجغرافية الأساسية التي تتسم بها الضفة الغربية. هذين المحددين لهما أثر كبير مباشر على رسم الحدود وتوزيع السكان في هذه المنطقة طيلة العقود الماضية.

1:3:1 التداعيات والظروف التي أدت إلى ظهور مصطلح الضفة الغربية

لقد أدت الأحداث والقرارات السياسية التي مرت على فلسطين الانتدابية في نهايات النصف الأول من القرن العشرين، وما تلا ذلك من أحداث، إلى شيوع مصطلح الضفة الغربية وظهور مدلول جيوسياسي لهذا المصطلح. ففي سنة 1948 انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين، بعد أن هيأت بريطانيا كافة الظروف لقيام" دولة إسرائيل". تفجر" الصراع العربي الإسرائيلي" واستطاع اليهود بما هُيّءَ لهم من إمكانيات أن يستولوا على 77% من مساحة فلسطين الانتدابية تقريبا، وأنشئوا دولتهم عليها بعد أن طردوا معظم مواطنيها الأصليين[53] . بقي من فلسطين 23% تحت السيطرة العربية، وكانت المساحة المتبقية مقسومة إلى جزأين منفصلين عن بعضهما. أحدهما يعرف بقطاع غزه وهو شريط ساحلي مساحته 365كم مربع تقريبا, ويقع على الساحل الجنوبي لفلسطين ويصل إلى الحدود المصرية. خضع هذا الجزء للحكم المصري حتى سنة 1967 عندما قامت إسرائيل بانتزاعه من المصريين.

الجزء الآخر الذي بقي تحت السيطرة العربية من فلسطين هو ما يطلق عليه الضفة الغربية، وهي المنطقة الممتدة على الجزء الشرقي من وسط فلسطين الانتدابية، وتبلغ مساحتها حسب

---

[53] بركات، نظام: **الاستيطان في فلسطين بين النظرية والتطبيق**. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية .1988، ص78.

المصادر الإسرائيلية 5505كم مربع[54] وحسب الجهاز المركـزي الفلسـطيني للإحصـاء فـإن مساحتها تصل إلى 5845كم مربع، بأقصى طول 130كم وأقصى عرض 50كم[55]. خضعت هذه المنطقة للحكم الأردني بعد حرب 1948, واستمر هذا الحكم قائما عليها لغايـة قيـام إسـرائيل باحتلالها وانتزاعها من الحكم الأردني سنة 1967.

أثّرت الأحداث والقرارات السياسية في الفترة ما بين 1948-1951 بشكل حاسـم فـي رسـم الحدود الحالية لهذه المنطقة مع إسرائيل. فقد جاء اتفاق الهدنة الموقع بتاريخ 1949/4/4 بـين الأردن وإسرائيل، لرسم الحدود التي اتّفق عليها بين الطرفين لتفصل بين الضفة الغربية الواقعة تحت الحكم الأردني، وبين إسرائيل بخط يسمى خط الهدنة، وسمي فيما بعد بـالخط الأخضـر. أصبحت الضفة الغربية تحدد من خلال امتداد ذلك الخط وتلاقي طرفه الشمالي مع نهر الأردن، وطرفه الجنوبي مع البحر الميت، و يعتبر نهر الأردن والجزء الشمالي من البحر الميت حدودا شرقية لهذه المنطقة، وهي الحدود الدولية التي حددت سنة 1922 بين الأردن وفلسطين. الملحـق رقم (5) يبين خارطة الضفة الغربية.

2:3:1 خط الهدنة "الخط الأخضر"

لقد تم ترسيم الخط الأخضر بين الضفة الغربية وإسرائيل اسـتنادا إلـى اعتبـارات عسـكرية، ارتكزت على المواقع والخطوط التي تموضعت بها قوات كل طرف بعـد حـرب 1948, مـع بعض التعديلات التي جاءت لتتناسب مع خطوط المواصلات. وقد تم تجاهـل كافـة العوامـل الجغرافية الطبيعية والسكانية والفيزيائية عند ترسيم ذلك الخط، وعند التنفيذ لم يتم ألالتـزام إلا بالتعديلات التي اتفق عليها وكانت لصالح إسرائيل, في حين لم يتم تنفيذ التعديلات التـي اتفـق عليها وكانت في صالح الأردن. برزت العديد من الإشكاليات في هذا الخط عند البـدء بتعليمـه فعليا على أرض الواقع, بسبب الالتزام بالاعتبارات العسكرية وخطوط المواصلات فقط أثنـاء ترسيم خط الهدنة، وتجاوز الاعتبارات والعوامل الجغرافية والإنسانية. كان هناك صعوبة فنيـة

[54] جازيت، شلومو: **العصا والجزرة: الحكم الإسرائيلي في الضفة الغربية**. ملحق1. مؤسسة بيسان. نيقوسيا- قبرص. ص1.
[55] الجهاز المركزي الفلسطيني للإحصاء. **المعلومات الجغرافية . رام الله** سنة 2000.

كبيرة في وضع نقاط الحدود في بعض المناطق، وفي مناطق أخرى كان الوضع أكثر حساسية، إما بسبب الموقع الاستراتيجي، أو بسبب الكثافة السكانية وفصل المواطنين عن بعضهم بعضا، أو بسبب احتواء تلك المناطق على مقدرات هامة كالماء. استمرت تلك الإشكاليات التي عطلت ترسيم الخط في بعض المناطق إلى أواسط الخمسينات، الأمر الذي أتاح للإسرائيليين الاستيلاء على آلاف الدونمات الجديدة من الضفة الغربية واعتبارها داخلة ضمن حدودها[56].

تم ترسيم الخط الأخضر بدءا من نقطة على البحر الميت بالقرب من عين جدي، ثم يتجه غربا مارا بجنوب جبل الخليل، ويستمر حتى المنحدرات الشرقية لجبال فقوعه. يمر الخط عبر جبال وسط فلسطين، واصلا إلى طريق الخليل- بئر السبع. بعد قطع هذه الطريق ينحرف باتجاه الشمال الغربي ثم الشمال حتى يصل إلى طريق الخليل-بيت جبرين. بعدها يبدأ انحراف الخط باتجاه الشمال الشرقي نحو بوابات القدس الجنوبية، وهنا تم تعديل الخط لصالح إسرائيل ليبقى خط سكة الحديد الذي يربط القدس مع الساحل تحت السيطرة الإسرائيلية. يواصل خط الهدنة امتداده بمحاذاة قرية بتير وصولا إلى القدس قاطعا سهل وادي شورك، وعند ترسيم الخط في هذه المنطقة تم تجاهل انتشار أراضي الفلسطينيين ومصادر رزقهم، حيث فصل الكثير من المواطنين عن أراضيهم. بعدما يصل الخط إلى البوابات الجنوبية للقدس, ينحرف نحو الشمال ثم الغرب باتجاه المرتفعات الجبلية, ثم القطاع الساحلي بدءا من قرية قطنه وحتى قرية بودرس. ينقسم الخط إلى خطين يحيطان بمنطقة يبلغ عرضها 500متر- 3كم وتسمى المنطقة المحصورة بين الخطين بالمنطقة الحرام، ويستمر امتداد الخطين ليصلا إلى كنيسة اللطرون. ثم يتجه الخط نحو الشمال منحدرا من ارتفاع 800 متر ليصل إلى 200 متر بالقرب من الكنيسة، ويستمر باتجاه الشمال وصولا إلى مدينة قلقيلية، حيث يقطع مساحات سهلية ويسير بنفس الاتجاه حتى بداية سهل عاره. بعد أن يقطع الخط قرية برطعة، يتجه نحو الشمال الشرقي بمحاذاة وادي عاره والطريق الذي يمر فيه، ويواصل سيره عبر جبال أم الفحم لمسافة 3-4 كم جنوب سهل عاره حتى يصل إلى سهل مرج بن عامر بجانب قرية زبوبه، وهناك ينحرف إلى الجنوب الشرقي ثم إلى الشرق على المرتفعات الشرقية لأم الفحم، قاطعا الطرف الجنوبي لسهل مرج بن عامر.

[56] البابا، جمال: *خط الهدنة بين الضفة الغربية وقطاع غزة وإسرائيل.* ص 5- 7 **www. google.net**

وبعد ذلك يسير باتجاه مرتفعات جلبوع، وفوق هذه الجبال يغير اتجاهه نحو الجنوب الشرقي ثـم نحو الشرق، وبالقرب من قرية المغير شرق جنين يتجه الخط إلى المنحدرات الشـرقية لجبـال جلبوع، ويسير بمحاذاة وادي بزق لمسافة 3كم تقريبا، وبالقرب من قرية كعون يتخلى الخط عن محاذاته للوادي، ويقطع منطقة سنجة ليصل إلى نهر الأردن عند المنطقة التي يبلغ بها ارتفـاع ضفته عن سطح البحر 252متر[57].الملحق رقم (6) يبين امتداد الخط الأخضر الـذي يحـيط بالضفة الغربية.

لم يستمر خط الهدنة قائما طويلا من الناحية السياسية، إذ قامت إسرائيل بشن حرب في الخامس من حزيران سنة1967 نتج عنها احتلال ما كان متبقي تحت السيطرة العربيـة مـن أراضـي فلسطينية، وتحديدا الضفة الغربية وقطاع غزة، إضافة إلى أجزاء واسعة من أراضـي عربيـة أخرى، شملت سيناء المصرية والجولان السورية. لازالت إسرائيل تسيطر على الضفة الغربيـة وقطاع غزة والجولان، بعد أن أعادت سيناء إلى مصر باتفاقات سلام وقعت بين البلدين.

3:3:1 محطات سياسية رئيسة مرت بها الضفة الغربية

بالنسبة إلى الضفة الغربية، بقيت أحد أهم محاور وميادين الصراع العربي الإسرائيلي. فقد قامت إسرائيل بتنفيذ العديد من المخططات الاستيطانية التي كانت ولا زالت تهدف إلى إحكام سيطرتها عليها، وسآتي على توضيح تلك المخططات خلال الفصل الثاني من هذه الدراسـة. فـي نفـس الوقت استمرت مقاومة الشعب العربي الفلسطيني لاحتلال إسرائيل هذه المنطقة وغيرها بمختلف الأشكال. حدثت في إطار هذا الصراع العديد من الأحداث السياسية الهامة، التي كان وسـيكون لها تأثير واضح على مصير الضفة الغربية وشكلها الجيوسياسي. فبعد حـرب 1948 وتحديـدا سنة 1951 تم ضم الضفة الغربية وسكانها إلى ما يعرف بالمملكة الأردنيـة، واسـتمر الحكـم الأردني على الضفة لغاية قيام إسرائيل باحتلالها وانتزاعها من أيدي الأردنيين في الخامس مـن حزيران سنة 1967. على إثر الاحتلال الإسرائيلي أخذ المواطنين الفلسطينيين بمقاومـة هـذا

57 المرجع السابق.

الاحتلال داخل الضفة الغربية وقطاع غزة في وقت مبكر جدا من الاحتلال[58]. في نفس الوقت سعى الاحتلال إلى محاصرة هذه المقاومة بوسائل قمعية وسياسية معا[59]، وحاول إيجاد قيادات سياسية محلية تكون تابعة للاحتلال لكنها تقوم بإدارة شؤون المواطنين بإشراف وتوجيهات من قبل إسرائيل[60].

بعد زيارة الرئيس المصري السابق أنور السادات إلى إسرائيل، أعادت هذه الأخيرة محاولة إيجاد قيادات محلية مرتبطة مع الإسرائيليين مجددا، إلا أن ذلك الخيار فشل فشلا ذريعا. في الثامن من كانون سنة 1987 اندلعت الانتفاضة الأولى داخل الأرض الفلسطينية المحتلة" الضفة وغزه"، واستمرت عدة سنوات، ثم جاءت على أثرها مفاوضات بين الأطراف العربية ومنها الفلسطينيين مع إسرائيل، وكان الهدف إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية على أساس قرارات الأمم المتحدة 242، 338 وهما اللذان يتعلقان بالوضعية القانونية للضفة الغربية في إطار سعي الأطراف المختلفة لإيجاد تسوية للمشكلة الفلسطينية.

تم الاعتراف المتبادل ما بين م.ت.ف ممثلة للفلسطينيين وإسرائيل, ثم عقدت اتفاقيات مرحلية بينهما، عرفت باتفاقيات أوسلو الأولى والثانية. بموجب هذه الاتفاقيات تم تقسيم الضفة الغربية إلى ثلاث مناطق هي أ، ب، ج حيث تبلغ مساحة منطقة(أ) 18.2% من مساحة الضفة، وقد خضعت هذه المنطقة من الناحيتين الأمنية والمدنية إلى السلطة الفلسطينية. منطقة (ب) بلغت مساحتها21.8% من مساحة الضفة الغربية، وقد خضعت هذه المنطقة من الناحية المدنية فقط إلى السلطة الفلسطينية، وبقيت السيادة الأمنية عليها للإسرائيليين. أما منطقة (ج) وهي المنطقة الأكبر والبالغة مساحتها 60% من مساحة الضفة فقد بقيت خاضعة بالكامل إلى إسرائيل[61]، علما أن منطقتي أ، ب كانت عبارة عن جيوب متفرقة وليست متواصلة جغرافيا مع بعضها بعضا. سنرى في الفصول اللاحقة كيف أن بناء الجدار الفاصل أخذ بالحسبان هذه التقسيمة. الملحق رقم (9) يبين خارطة اتفاقية طابا " أوسلو 2 "

---

58 جازيت، شلومو: مصدر سابق ص 327-331.
59 المصدر السابق ص 327-331.
60 المصدر السابق ص 191-205.
[61] منظمة العفو الدولية. **إسرائيل والأراضي المحتلة**. رقم الوثيقة 2003/ 100 / MDEIO, أيلول 2003,ص 14.مرجع سابق

استمر الوضع السابق قائما حتى أيلول عام 2000 عند اندلاع الانتفاضة الثانية "الحالية"، وفي إطار هذه الانتفاضة أقدمت إسرائيل على إعادة احتلال كامل الضفة الغربية مجددا في ربيع 2001، ولم تعد السلطة الفلسطينية قائمة إلا بالشكل فقط، حيث لم تعد تسيطر حتى على أبسط الأمور، وذلك لأسباب عديدة ليس هذا مكان توضيحها.

4:3:1 العناصر الجغرافية الرئيسة للضفة الغربية

بالنسبة إلى العناصر الجغرافية، فإن معظم الضفة الغربية تتشكل من سلاسل جبلية، مع شريطين أحدهما شبه ساحلي والآخر غوري ينخفض عن سطح البحر، ومنطقة رابعة شبه قاحلة. تقسم الضفة الغربية من الناحية الجغرافية إلى أربعة مناطق هي:

أ/ منطقة الجبال الوسطى: تمتد هذه المنطقة من جنين شمالا إلى بلدة الظاهرية جنوبا، مرورا بجبال نابلس والقدس والخليل. يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر ما بين 300- 1000 متر، ويصل طولها إلى 120كم وأقصى عرض لها50 كم، وهي أكبر منطقة طبوغرافية في الضفة الغربية، ويبلغ معدل هطول الأمطار فيها 400ملم، سنويا وتحتوي هذه المنطقة على المدن الرئيسة ومعظم سكان الضفة الغربية.

ب/ منطقة شبه الساحل: وهي شريط ضيق من الأراضي المستوية الخصبة، ويصل طولها إلى 60كم وعرضها يتراوح ما بين 2-12كم. ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ما بين100-300مترا. يصل المعدل السنوي لهطول الأمطار فيها إلى 600ملم[62]. سوف نرى لاحقا أن الجدار الفاصل موضوع هذه الدراسة يأتي على كامل هذه المنطقة، ويؤدي إلى فصلها عن أصحابها الفلسطينيين، وبالتالي منعهم من الاستفادة منها على الرغم من أهميتها لهم، نظرا لجودتها ومواردها المختلفة كما يظهر بصورة أولية من خلال البيانات الجغرافية التي تتسم بها[63]

---

[62] وزارة الزراعة الفلسطينية. **إستراتيجية وزارة الزراعة- المصادر الطبيعية**. رام الله 1999.

[63] المرجع السابق

ج/ منطقة المنحدرات الشرقية: تمتد هذه المنطقة من شرق محافظة جنين في الشمال إلى غرب البحر الميت في الجنوب، ويتراوح عرضها ما بين 10-20 كم لتصل مساحتها إلى 1500كـم مربع. ترتفع عن سطح البحر ما بين صفر-80 متر، وتمتاز هذه المنطقة بانحـدارها الشـديد، وقلة أمطارها التي يصل معدلها ما بين 250-300ملم، وتفتقر إلى الغطاء النباتي، ممـا يجعـل تصنيفها ضمن المناطق شبه الصحراوية أو القاحلة[64].

د/ منطقة غور الأردن: وهي عبارة عن شـريط طولـه 70كـم ينحصـر بـين نهـر الأردن والمنحدرات الشرقية، ومساحته 400كم. تنخفض هذه المنطقة عن سـطح البحـر مـن 200-300متر مما يكسبها مناخاً متميزاً عن باقي المناطق، ورغم أن معدل هطول الأمطار مـنخفض في هذه المنطقة، إذ تتراوح ما بين 100-200 ملم سنويا، إلا أنها تعتبر غنية بالمياه الجوفيـة، ومياه الينابيع، وهذا يجعلها من أهم المناطق الزراعية المروية في الضفة الغربية، لما تمتاز بـه من مناخ حار صيفا دافئ شتاء[65]. هذه المنطقة تعتبر مستهدفة أيضا حسب الخطط الإسـرائيلية لتطويقها وعزلها بالجدار الفاصل، وهذا ما سأوضحه لاحقا خلال هذه الدراسة. الملحـق رقـم (10) يبين خارطة توزيع المناطق الطبوغرافية في الضفة.

إن التوضيح السابق ركز على العناصر الجغرافية, إضافة إلى الأحداث السياسية التي لهـا أثـر كبير في رسم ملامح الضفة الغربية، وقد اعتبرت أن هذا مهما لكونـه يلقـي الضـوء علـى خصائص وميزات كل منطقة, والتي تمثل البيئة الجغرافية الخاصة للمقدرات المتوفرة فيها. هذه المقدرات يمكن أن تؤثر بشكل مباشر في التنمية السياسية على اعتبـار أنهـا تسـاعد السـلطة السياسية في إحداث تنمية شاملة، ولما كان الجدار الفاصل موضوع هذه الدراسة، يؤثر مباشـرة على المرتكزات الجغرافية التي توفر تلك المقدرات، كان لا بد من إلقاء الضـوء عليهـا. فـي الفصول اللاحقة أوضح التأثير المباشر للجدار على تلك المرتكزات الجغرافية, والمقدرات التـي تحويها. إضافة إلى ما يحدثه من آثار سياسية هامة, تجعل من المستحيل قيام وحـدة وتواصـل جغرافي على أراضي الضفة الغربية، يمكن أن تقوم عليها سلطة سياسية مستقلة.

---

[64] المرجع السابق

[65] المرجع السابق.

5:3:1 أهم المؤثرات على الوضع السكاني في الضفة الغربية

بالنسبة للسكان فقد بلغ عدد سكان الضفة الغربية سنة 1997من الفلسطينيين 1.8 مليون نسمه تقريبا، استنادا إلى التعداد الذي تم في نفس السنة، وقام به الجهاز المركزي الفلسطيني للإحصاء. وتشير تقديرات نفس المركز استنادا إلى معايير إحصائية أن العدد يصل في نهاية 2003 إلى 2.3مليون نسمه[66].

في دراستنا هذه ليس من المهم معرفة تعداد السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية ومعدلات نموهم، بقدر ما هو مهم أن نعرف المؤثرات التي تؤثر على هذا النمو وعلى حركتهم الديموغرافية. نجد من خلال الإطلاع على دراسات تناولت هذا الموضوع أن الفلسطينيين بشكل عام كانوا مستهدفين من قبل إسرائيل بالتهجير والطرد من وطنهم[67]، واستخدمت إسرائيل الكثير من السياسات المختلفة لتحقيق ذلك. بعد حرب عام 1967 شهدت المناطق المحتلة في الضفة وغزة موجات هجرة واسعة للفلسطينيين، مثلما حصل في حرب 48. فنتيجة للحرب هاجر أكثر من 20% من سكان الضفة، وغادرها خلال الأشهر الثلاثة التي تلت الحرب ما يقرب من 200 ألف مواطن، وفي السنة التالية غادرها 150 ألف[68].

خلال إطلاعي على العديد من التقارير والدراسات التي تناولت أبعاد هجرة الفلسطينيين لوطنهم، أجد أن السياسات والأساليب التي استخدمتها إسرائيل بهدف تهجير الفلسطينيين لعبت دوراً رئيسا في دفع مئات الآلاف من الفلسطينيين لمغادرة وطنهم[69]، فقد استخدمت إسرائيل الضغوط الاقتصادية لدفع المواطنين لمغادرة وطنهم، وعمدت إلى عرقلة عودتهم حتى لزيارة أهلهم، وكان يصل الأمر إلى مساومتهم على لقمة العيش من خلال التلويح بمنع السفر عند موعد انتهاء إجازات العمل للعاملين خارج المناطق الفلسطينية، وعملت على التضييق عليهم في مختلف شؤون حياتهم مما كان يضطر الإنسان لمغادرة وطنه بحثا عن عيش أقل ضغوطا ونكدا . في الفصول اللاحقة سوف نرى كيف يؤثر الجدار الفاصل على مختلف العناصر، التي كانت فيما

---

[66] السلطة الوطنية الفلسطينية- المركز الوطني للمعلومات. **المؤشرات السكانية**. رام الله ص 2

[67] بنفيستي، ميرون: **الضفة الغربية وقطاع غزه بيانات وحقائق أساسية**. ط1. عمان 1987. دار الشروق للنشر. ص25.

[68] المصدر السابق ص6، ص 29.

[69] د. إبراهيم.يوسف كامل: **التحول الديموغرافي ألقسري في فلسطين**. www.google.com

سبق تشكل عوامل طاردة للسكان الفلسطينيين، وبالتالي سيكون له تأثيرات سلبية على الوضـــع السكاني للمواطنين الفلسطينيين في الضفة الغربية.

المبحث الرابع

مفهوم الدولة

سأوضح من خلال هذا المبحث, المعاني التي يمثلها مفهوم الدولة خلال فترات زمنية واتجاهات فكرية مختلفة، حيث سأعود إلى الخلفيات الفلسفية التي ناقشت مفهوم الدولة ونشأتها وطبيعتها. لن يكون هناك توسع في هذا الموضوع, كونه لا يشكل الموضوع الأساسي الذي أبحث فيه خلال هذه الدراسة، وإنما سأكتفي بتناول ما يمكن أن يوضح للقاريء مفهوم الدولة.

قديما اعتبر أرسطو أن العائلة في كونها تشكل الخلية الأولى في بناء المجتمع، إضافة إلى وجود نظام الرق الذي اعتبره نتيجة طبيعية للحياة، واعتبر أن هذان التجمعان يشكلان تجمعان بدائيان يساعدان في إشباع حاجات الإنسان الطبيعية والأساسية. نتيجة لاتجاه الإنسان إلى تحقيق حياة أسمى فانه سعى إلى التجمع، فتجمعت العائلات معا ولهذا تشكلت القرية، ومن تجمع عدة قرى نشأت المدينة، ومن تجمع عدة مدن نشأت الدولة[70] . من خلال رؤية أرسطو لكيفية نشوء الدولة, نلاحظ أن العنصر الإنساني شكل عنصرا أساسيا في تكوين الدولة, وأن نظام الرق بما يشكل من نظام يحكم العلاقة بين السيد والعبد مثل عنصراً آخر، ونستطيع أن نقول أن المكان أيضا مثل عنصراً آخر، حيث نرى أن مجرد تجمع القرى مثلا لم يؤد إلى تشكيل الدولة, وإنما اتساع هذه المنظومة الاجتماعية الجغرافية هو الذي اعتبره أرسطو يشكل دولة.

خضعت مبررات وجود الدولة ومكانتها بالنسبة للإنسان إلى نقاشات فلسفية انطلقت من غايات وجودها بالنسبة للإنسان. نرى أن فلاسفة ومفكرين مختلفين في الخلفية الفكرية والثقافية وحتى في الفترة الزمنية التي عاشوا خلالها، من الرواقيين وأتباع القانون الطبيعي ومفكرين مسلمين، يرون أن الدولة وجدت لخدمة هدف وجداني أخلاقي للإنسان، يتمثل في وصوله إلى حياة السعادة الأبدية في الحياة الآخرة[71]. وهذا الهدف قائم على وجود حياة أخرى لا نهائية وهي غير

---

[70] الرواس, عثمان وبركات, نظام. مبادئ العلوم السياسية. ط3. الرياض 1989م.

[71] العروي، عبد الله: **مفهوم الدولة**. ط 5 . المركز الثقافي العربي، 1993، ص 13.

خاضعة لحسيات الحياة الدنيا التي هي ليست سوى تجربة وامتحان يتقرر على أساســه مصــير الإنسان في الحياة الآخرة.

هذا الاتجاه الفكري يعتبر أن الدولة تنظيم اجتماعي مصطنع, وهو مؤقت كباقي الكائنات، وإذا ما عملت هذه الدولة على خدمة الفرد بالشكل الذي يمكنه من تحقيق غايته المتمثلة في تهيئة نفســه ليتمكن من العيش بسعادة أبدية في الحياة الأخرى، فإنها تكون شرعية, أما إذا لم تعمل على ذلك فإنها تكون غير شرعية, وبالتالي فهي سيئة ومرفوضة, وتكون صنيعة الطبيعة الحيوانيــة فــي الإنسان. عند أصحاب هذا الاتجاه الفكري نجد أن مبرر وجود الدولة يتمثل في قيامها بالماديات التي تخدم الفرد ليصل إلى الغاية الأسمى التي يحيى من أجلها، ونجد أنهم يقدمون الأخلاق على السياسة دائما، جاعلين من الدولة مجرد وسيلة لخدمة المنظومة الأخلاقية التي توصل الإنســان إلى السعادة الأبدية في الحياة الآخرة، ونجدهم يعتبرون أن الدولة الجيدة هي التي تربــي الفــرد على الاستغناء عنها وتوجهه إلى خدمة ما هو أسمى منها[72].

من زاوية أخرى نجد اتجاها آخر من الفلاسفة السفسطائيين والطبيعيين الرومان, وفلاسفة القرن الثامن عشر وليبراليي القرن التاسع عشر في أوروبا, وبعض الفلاسفة المسلمين- مثــل إخــوان الصفا- يرون أن غاية الإنسان هي المعرفة والسعادة والرفاهة, وأن الإنســان وليــد الطبيعــة ويسعى إلى سد حاجاته البدنية والفكرية من خلالها، وأنها تمده بالوسائل الضرورية التي تمكنــه من ذلك، ومن أهم تلك الوسائل هو التعاون. ويرون أن قوة الإنسان قوة جماعيــة تنشــأ عــن التعاون, وتتراكم داخل المجتمعات في العادات والثقافة واللغة. ويعتقــدون أن المجتمــع نظــام طبيعي ضروري، والدولة ظاهرة من ظواهر الاجتماع الطبيعي, نتجت بموجب قانون طبيعــي, وإذا استمرت خاضعة للقانون الذي انبثقت عنه فإنها ستبقى طبيعية" معقولة"، لــذا لا ينشــأ أي تناقض بينها وبين المجتمع أو الفرد. إذا حصل تناقض فانه يكون بسبب خطأ إنســاني متعمــد, وهنا تنشأ الدولة غير الطبيعية ويتغير شكلها إلى ما يسمى بالدولة الاستبدادية الظالمة. من هــذا تقسم الدول إلى دولة طبيعية وحتما تكون صالحة, ودولة غير طبيعية وتكــون فاســدة. الدولــة الطبيعية تخدم المجتمع بقدر ما يخدم المجتمع الفرد. فهي تنظم التعاون وتشجع العلم والكســب،

---

72 المرجع السابق ص 12-13.

ومهمتها حفظ الأمن في الداخل والسلم في الخارج. وبقدر ما تتقدم الإنسانية عن طريق العلم والسعادة والرفاه بقدر ما تخف ضرورة اللجوء إلى الدولة للحفاظ على السلم والأمن. الدولة الفاسدة مناقضة للمجتمع والفرد وتبنى على العنف. نتجت تاريخيا عن قيام النبلاء والكهنة باغتصاب السلطة وطرح أفكار مغلوطة عن طبيعة الإنسان, حيث اعتبروها شريرة من أجل أن يبرروا استبدادهم واستعمالهم للقمع والعنف في بقائهم على سدة الحكم[73].

بالرغم أن الاتجاهين اللذين أبرَزتُ أهم أفكارهما حول غاية الإنسان ونشأة الدولة ومبررات وجودها، تمثلان تناقضا فلسفيا داخليا في الفكر اليوناني والإسلامي والغربي الحديث، إلا أنهما يلتقيان في نفي وجود تناقض داخل الفرد وداخل المجتمع، ويريان أن التناقض يحصل بين الفرد والمجتمع من جهة, والدولة من جهة ثانية. الدولة الصالحة الشرعية الطبيعية، تتجانس مع الفرد والمجتمع في كونٍ لا يعرف التناقض أبدا. والدولة الفاسدة اللاشرعية اللاطبيعية تمثل الشر كله وتحتضن الفئات الشريرة اللا إنسانية. الاتجاهان يريان أن الدولة الفاسدة تتعارض مع وجدان الفرد الذي يسعى إلى الفضيلة والقيم الأخلاقية. ولا يمكن للدولة أن تتمثل القيمة إلا إذا انغرست في المجتمع, وخدمت أغراض الفرد العاقل، وعندها تصبح الدولة أخلاقية. إن التفكير بالمنطق في مسالة الدولة يقود إلى الاعتماد على الفرد الحر, والنظر إلى الدولة باعتبارها كيان اصطناعي أبدعه الفرد ليكون في خدمته[74].

في الفكر السياسي الأوروبي الحديث يرى هيجل أن الدولة تمثل فكرة الألوهية على الأرض, لأن الكلي هو الذي يوجد في قوانينها وتنظيماتها العقلية، وفيها تبلغ الحرية مرتبة الموضوعية، لأن القانون بمثابة الروح الموضوعية, وهو الإرادة الحقيقية, ولهذا فان الدولة حرة. عندما تخضع إرادة الإنسان الذاتية للقوانين يزول التعارض بين الضرورة والحرية، وبين المجتمع والدولة، وهذا يعني تحقق الشرطان الأساسيان لتحقيق الحرية. الدولة تجريد عام لا يوجد إلا في نفوس مواطنيها، لكنها وجود فعلي، وبالدستور تكتسب الدولة حياة حقيقية، وهي حياة أخلاقية تحققت بالفعل[75].

---

[73] المرجع السابق، ص 14.-15.
[74] المرجع السابق، ص 15-16
[75] المصدر السابق، ص 114.

على جانب آخر نرى اتجاهاً ثانياً يذهب إلى ضرورة فصل الأخلاق عن السياسة، ومن اشـــهر من نادى بذلك ميكافيلي وهوبز وذانتريف وآخرين. انطلق هذا الاتجاه مقترحـــا أن الإنســـان ذو طبيعة شريرة وكل ما يقوم به لا بد أن يخدم مصلحته الخاصة, وبالتالي فان كل إنسان ينظر إلى الآخر على أنه منافساً له, ولذلك فهو في حرب دائمة معه, وهذا يجعل استمرار الحياة مستحيلةً، حيث أن قانون القوة سيعطل أي إمكانية للحياة. للخروج من هذه الحال لا بد من الالتزام بقوانين الطبيعة التي يمكن للجميع أن يتفاهموا عليها, لأنها تلائم عقولهم وحساباتهم. لهـذا قـام النـاس الطبيعيون بإيجاد كيان اصطناعي وهو الدولة من أجل حماية أنفسهم من الهلاك والاندثار[76].

يشبه هوبز الدولة بالإنسان الطبيعي, ويقول: أن الفن هو الذي ينشئه, والسـيادة تعتبـر نفسـه, والحكام والموظفين مفاصله, أما الحساب المرتبط بالسيادة فتمثل أعصابة, وحماية الشعب هـي قضيته, والقوانين عقله وإرادته، والوئام صحته، والاضطرابات المدنية دوائه، والحرب الأهليـة موته وفنائه. يرى هوبز أن الدولة تنشأ بموجب عقد لا رجعة فيه، يتنازل بموجبه الأفراد عـن بعض حقوقهم للكيان المتمثل في الدولة، حفاظا على أمنهم. ويكون للحاكم فيها مطلق السـلطة, وهذا العقد يفرضه العقل وقانون الطبيعة وغريزة البقاء، لان منطق القوة هو الذي يسـود فـي النهاية[77]. جون لوك يحدد عدة مباديء للدولة, أهمها أن الناس أحرار ومتساوين فـي حقـوقهم, وأن الحقوق الطبيعية من خصائص الإنسان وليست منحة من أحد، وأن السـلطة قامـت علـى أساس عقدي, وكل تجاوز لشروط العقد مرفوض, ويمثل استيلاء الشخص على مـا لـيس لـه، ولهذا فان لوك يجيز للشعب الثورة على الأمير أو السلطة التشريعية, إذا تصرفا بمـا ينـاقض رسالتهما.[78].

من جانب فكري آخر أستعرض باختصار ما جاء به ابن خلدون من نظرية عن الحياة السياسـية كنموذج عن هذا الجانب. وهنا لا بد أن أشير إلى وجود تناقض فلسفي ظهر أيضـا فـي هـذا الجانب من الفكر الإنساني, والذين يريدون الاستزادة حول هذا الموضوع هنـاك الكثيـر مـن

---

[76] طالب، محمد سعيد: **الدولة الحديثة والبحث عن الهوية**. ط 1. عمان الأردن. دار الشروق للنشر والتوزيع. أيلول 1999. ص 182.
[77] المصدر السابق، ص 113-115.
[78] المرجع السابق, ص 117-118.

الفلاسفة والمفكرين المسلمين الذين تناولوا هذا الموضوع مثل ابن تيمية والمودودي والمعــري, الخ.

يرى ابن خلدون أن المُلك غاية طبيعية لا خيار فيها, وإنما هي بضرورة الوجود وترتيبــه. ولا بد للملك من قوانين تكبح الحاكم. يميز ابن خلدون ثلاثة أنظمة للملك: الملك الطبيعـــي ويعرفــه على أنه حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة. الملك السياسي وهو حمــل الكافــة علــى مقتضى النظر العقلي في طلب المصالح الدنيوية ودفع المضار. والنظام الثالث هو الخلافة التي هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية. وهي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به[79]. يقسم ابن خلدون السياسة العقليــة والتــي تستند إلى عقل الإنسان إلى نوعين: الأول يهدف إلى مراعاة المصالح علــى عمومهــا. الثــاني يهدف إلى مراعاة مصالح السلطان فقط. يرتب ابن خلدون أنظمة الحكم حســب أخلاقيتهــا، إذ يعتبر أن النظام الأدنى هو الملك الطبيعي وهو يناسب العمران البدوي. يليه الملك السياسي الذي يهتم بمصلحة الحاكم، وهذا قد لا يخلو من العدل كون العدل يؤدي إلى استقرار الحكــم وغنــى الرعية, وبالتالي رفاهية وبقاء الحاكم. ثم يأتي الملك السياسي الذي يهتم بمصلحة العموم, وهــو الأقرب إلى الكمال لولا أنه ينقصه نور الهداية حسب ابن خلدون، ولذلك اعتبر أن الخلافة تشكل أعلى أنظمة الحكم في المرتبة الأخلاقية كونها تسعى إلى السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة[80].

استعرضت في السابق بعض الأفكار الفلسفية المختلفة عن نشوء الدولــة ومكانتهــا وأهميتهــا للإنسان خلال فترات زمنية متفاوتة، وبيئات ثقافية مختلفة. والدارس لتلك الأفكــار يســتطيع أن يرسم تصور مبسط عن التشكيل الذي يطلق عليه اسم دولة. حيث يمكن القول أن الدولة عبــارة عن جماعة من الناس، يعيشون بصورة دائمة مع بعضهم فوق إقليم جغرافي محدد، ويخضــعون لسلطة سياسية منظمة. [81] يترتب على ذلك التشكيل وجود تفاعل مســتمر تتحــدد مــن خلالــه الاتجاهات والعلاقات والواقع في هذه الدولة. الدكتور ثروت بدوي يــرى فــي كتابــه الــنظم

---

[79] العروي، عبد الله: **مفهوم الدولة**، مرجع سابق, ص 48.
[80] العروي، عبد الله: مرجع سابق, ص 93-94
[81] عبد الله. عبد الغني بسيوني: **النظم السياسية والقانون الدستوري**، الدار الجامعية للطباعة والنشر 1993. ص 21.

السياسية، أن وجود الدولة لا يتحقق إلا بوصول الجماعة السياسية إلى درجة معينة من التنظيم تسمح باستقلالها عن شخصية الحاكم، وإذا ما كان الحاكم مهيمنا على كافة مقاليد الأمور في الدولة، فإنه لا يمكن اعتبار وجود دولة عندئذٍ. [82] أما ماكس ويبر فإنه خلص إلى تعريف للدولة باعتبارها مشروع سياسي ذو طابع مؤسساتي، تطالب قيادته الإدارية بإحراز النجاح، وعند تطبيقها للأنظمة فإنها تحتكر الإكراه البدني الذي يعتبر مشرعا بالنسبة لها[83]. هناك من عرف الدولة على أنها أداة الحكم كما يرى جاك مارتيان، ونفس الشيء كان يرى المذهب الهتلري في ألمانيا 1933-1945 وقد ركز الفقهاء الألمان على عنصر السلطة في تعريفهم للدولة، حيث يرون أنها وحده اجتماعية مشتركة تضم أناس متحضرين وتتصف بقوة السلطان.كارل لاباند يعرفها بأنها مجتمع يتمتع بحقوق خاصة بالسيادة على الأفراد الأحرار الذين يشكلون ذلك المجتمع[84].

نلاحظ أن التعريفات السابقة ركزت على عنصر السلطة التي تمتاز بها الدولة، لكن هناك تعريفات ركزت على العنصر الإنساني داخل الدولة، وخلطت بين الدولة والأمة، ونجد ذلك في الفكر الفرنسي، وقد عبر عن ذلك الفقيه كاريه دي ملبير عندما اعتبر أن الأمة مجموعة منظمة من الوطنيين وتعيش بسبب تنظيمها في وحدة غير قابلة للتجزئة[85]. في هذا نجد أن ملبير قد وصف الأمة بما هو متطابق مع مفهوم الدولة. قد يكون ذلك عائد إلى الأفكار الجديدة التي جاءت بها الثورة الفرنسية التي أعطت للعنصر الإنساني أهمية قصوى في الحياة السياسية والاجتماعية بعد انتصار الثورة. رفض جورج بيردو فكرة تعريف الدولة بأحد عناصرها، ورفض أيضا الجمع بين العناصر المادية كالشعب والإقليم والعنصر المعنوي المتمثل في السلطة، ويرى بيردو أن تعريف الدولة يجب أن يكون قانونيا على اعتبار أنها ظاهرة قانونية. ويعرفها بأنها السلطة المنظمة، والنظام الذي تكمن فيه السلطة[86].

---

[82] المرجع السابق. ص 19.
[83] برو، فيليب: **علم الاجتماع السياسي**، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1998. ص
[84] د فهمي, مصطفى أبو زيد: الطبعة الأولى، منشاة المعارف بالإسكندرية. 1985،ص 15-16.
[85] المرجع السابق، ص 16.
[86] المرجع السابق، ص18.

من خلال قراءات د.مصطفى أبو زيد فهمي رئيس قسم القانون العام في جامعـــة الإســـكندرية، يخلص إلى أن أفضل تعريف للدولة هو الذي يضم العناصر المكونة لها من شعب وإقليم وسلطه ذات سيادة، فهي التشخيص القانوني لشعب ما يعيش على إقليم محدود وتحكمه ســـلطة سياســـية ذات سيادة[87]. يورد الدكتور رياض العيله عدة تعاريف للدولة في كتابه مباديء العلوم السياسية، ونقل عن القاموس الاسباني بان الدولة عبارة عن هيئة قانونية تتكون من ثلاثة عناصـــر هـــي الأرض والناس والحكومة. دوجي يعتبر وجود دولة في الأحوال التي يوجد بها تفاوت سياســـي بين حكام ومحكومين في جماعة معينة. الفقه البريطاني يعرف الدولة بأنهـــا مجموعـــة أفـــراد مستقرة على إقليم محدد يقيمون في إقليم معين ويخضعون لسلطه[88].

من خلال إطِّلاعنا على التعريفات المختلفة للدولة نرى أن العناصر الرئيسة لتشكيل الدولة لا بد أن تشتمل على الأرض والإنسان والسلطة. وسنرى لاحقاً كيف يمكن أن يؤثر الجدار الفاصـــل على هذه العناصر الرئيسة، ومرتكزات وجودها وقوتها، وبالتالي نستطيع تحديـــد مـــدى تـــأثير الجدار على قيام دولة فلسطينية مستقلة.

---

[87] المرجع السابق, ص19.

[88] العيله, رياض ، مباديء علم السياسة، ط 1 سنة 2000. ص 31-32.

المبحث الخامس

المواطنة: تطورها ومفهومها

تعتبر المواطنة من أسس الدولة الديمقراطية الحديثة لما تشكل من عامل مهم في إحداث الاستقرار السياسي والاجتماعي داخلها. لا يمكن حصر تعريف المواطنة بمفهوم محدد, وإنما تم الحديث عن دلالات هذا المصطلح من خلال تقسيم توصيفات متعددة تتناول علاقة المواطنين بالدولة التي ينتمون إليها. أن التطور التاريخي للعلاقة ما بين الحكام والمحكومين. إضافة إلى التمايز الفكري ما بين الثقافات المختلفة، أدى إلى اختلافات في مدلولات مفهوم المواطنة.

يرجع استخدام مفهوم المواطنة إلى الحضارتين اليونانية والرومانية، وقد استخدم للدلالة على الوضع القانوني للأشخاص الذين يعيشون في أثينا وروما. من المهم معرفة أن هاتين الحضارتين لم تكن تمنحان صفة المواطن آنذاك لكل شخص يعيش في الدولة، وإنما كان ذلك يعتمد على النظام السياسي والاجتماعي الذي يحدد تلك العلاقة القانونية. فقد كانت صفة المواطنين في أثينا تنحصر في الذكور الأحرار المُلاّك وأبناء الطبقة العليا فقط. وكان هذا يؤهلهم لنيل حقوق لم يكن غيرهم يتمتعون بها رغم أنهم يعيشون في نفس الدولة، مثل شغل الوظائف العامة في التعليم والقضاء والجيش, والسماح لهم بإنشاء الجمعيات والأطر العامة, والمشاركة في الانتخاب والترشيح للمؤسسات الرسمية في الإمبراطورية الرومانية التي كانت مترامية الأطراف وتضم شعوبا عديدة, وكانت المواطنة تمنح على أساس الإقليم الجغرافي، واستمر هذا لغاية سنة120م.

خلال القرون الوسطى كانت صفة المواطن تطلق على الإقطاعيين وملاكي الأراضي، وتحددت حقوق الإنسان حسب وضعه الاجتماعي السياسي في إطار نظام الطبقات الإقطاعي الصارم الذي كان سائدا في أوروبا آنذاك[89] .

[89] الصالح, نبيل: **ماهي المواطنة**. مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية. ص17-18.

التجربة السياسية العربية قبل الإسلام شهدت ما يشبه ما كان قائما عند الإغريق والرومان قديما, حيث كان يشارك جزء من المنتمين للقبيلة في اتخاذ القرارات العامة، وقد يكون هذا عائد على متطلبات تماسك القبيلة أو الأحلاف بين القبائل شهدت التجربة العربية عملية اختيار شيخ القبيلة من خلال الانتخاب الحر بين الذكور، كما عرفت دولة سبأ في اليمن التمثيل النيابي، وفي مكة تم تشكيل ما يعرف بالملأ وهو إطار يضم رؤساء القبائل التي تسكن مكة[90]. يتم خلاله مناقشة الشأن العام الذي يهم تلك القبائل. في بدايات الإسلام جاءت الآيات القرآنية بقواعد شكلت أسس المساواة بين المسلمين، وإذا ما احتفظ غير المسلمين بعلاقة السلم مع المسلمين اعتبروا متساوين معهم في الإنسانية. ودعا الإسلام إلى مبادئ العدل والإنصاف في الحكم, ولم يميز في تطبيق هذه المباديء بل جعلها مباديء عامة تحكم الحياة السياسية للدولة الإسلامية[91]. ذلك شكل أحد أهم الأسس التي تخلق مفهوم المواطنة داخل الدولة. كما أن الإسلام أرسى مباديء الشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحياة العامة داخل الدولة الإسلامية، وهذا يندرج في إطار الحقوق والواجبات للإنسان المسلم، وهو ما يدخل في مفهوم المواطنة[92]. لم يستمر العمل بهذه المباديء التي جاء بها الإسلام طويلا، ولم تلبث التجربة العملية أن تراجعت إلى شكل الحكم الملكي والتفرد بالسلطة. الأمر الذي أدى إلى لحاق المسلمين بغيرهم في تضييق منافذ التطور السياسي وصولا إلى سدها تماما[93].

خلال العصر الحديث ولغاية الآن، شهد مفهوم المواطنة تطورا كبيرا من حيث المدلولات والمواصفات المتعددة التي يجب أن تتسم بها العلاقة مابين الأفراد والدولة. يعود الفضل في ذلك إلى الفكر السياسي العقلاني التجريبي الذي تزامن وأثّرَ في التحولات الاجتماعية والسياسية الكبرى التي حدثت في أوروبا. من أبرز التحولات التي أسهمت في إرساء مباديء المواطنة في الدولة الديمقراطية المعاصرة، ظهور ومأسسة الدولة القومية، وسيادة حكم القانون فيها، وتثبيت مبدأ المشاركة السياسية على قدم المساواة، وتداول السلطة سلميا[94]. وبالطبع لم يتم ذلك بصورة

---

[90] نافع, بشير وآخرون:**المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية،2001. ص18-19
[91] المرجع السابق، ص 20.
[92] المرجع السابق، ص 21.
[93] المرجع السابق، ص 23.
[94] المرجع السابق، ص 25.

سهلة أو تلقائية، وإنما جاء نتيجة تفاعلات اجتماعية وسياسية دموية على الساحة الأوروبية، حدثت خلالها حروب وثورات انتهت بتحديد شكل سياسي جديد للدولة، بما يطلق عليه الدولة القومية الديمقراطية التي يكون الحكم فيها للشعب، وتكون فيها الدولة مقيدة لصالح الفرد. شكل هذا أرضية خصبة لتطور مفهوم المواطنة.

تعني المواطنة بمدلولها العام الواسع، بأنها تلك الرابطة القانونية بين الفرد والدولة التي يقيم فيها بشكل ثابت، وهذه العلاقة تحدد الحقوق والواجبات التي على كل طرف أن يلتزم بها. وبالمعنى الضيق للمفهوم تكون المواطنة عبارة عن عضوية الفرد التامة والمسئولة في الدولة، ويترتب عليها مجموعة من العلاقات المتبادلة بين الطرفين، تسمى الحقوق والواجبات. من ذلك نلاحظ أن المواطن إنسان يتمتع بالعضوية الكاملة في الدولة بصفته الفردية المجردة من أي انتماءات أخرى، كالعائلة أو الطائفة أو الدين، الخ. وبهذا يكون كافة المواطنين داخل الدولة متساوين في الحقوق والواجبات[95]. تشكل المواطنة هوية رسمية للفرد تدل على انتمائه لدولة محددة بحدود سياسية، ويعيش عليها مجتمع سياسي معين، يترتب على هذه الهوية حقوق وواجبات متساوية لجميع المواطنين الذين ينتمون إلى تلك الدولة، وينظم ذلك إطار قانوني يشمل كافة المواطنين، وتصبح هذه الهوية من مكونات الفرد الشخصية التي تدلل عليه عندما يغادر دولته. وهنا تصبح المواطنة رديفة للجنسية حسب رؤية القانون الدولي[96].

تعرف دائرة المعارف البريطانية المواطنة: بأنها علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون هذه الدولة. المواطنة تدل ضمنا على مستوىً من الحرية مع ما يصاحبها من مسؤوليات. وغالبا ما تكون الجنسية مرادفة للمواطنة، حيث تتضمن علاقة بين فرد ودولة، إلا أن الجنسية تتضمن امتيازات أخرى، مثل الحماية في الخارج. أما المواطنة بشكل عام فإنها تمنح المواطن حقوقا سياسية مثل حق الانتخاب والترشح وتقلد المناصب العامة[97]. تجمع موسوعة الكتاب الدولي وموسوعة كولير الأمريكية إضافة إلى دائرة المعارف البريطانية، أن المواطنة رديفة للجنسية،

---

[95] الصالح, نبيل. مرجع سابق، ص 3-4.
[96] المرجع السابق. ص 4.
[97] نافع, بشير وآخرون: مرجع سابق، ص30.

وبالتالي ترى أن كل من يحمل جنسية الدولة من البالغين الراشدين يحق له أن يتمتـــع بحقـــوق المواطنة السياسية. نجد أن هذا مطبق في الـــدول الديمقراطيـــة، فـــي حـــين أن الـــدول غيـــر الديمقراطية تسلب المواطنين حقوقهم السياسية، وتقصرها على قلة من الحكـــام الـــذين يتولـــون السلطة، ويتعاملون مع الجنسية على أنها دليل تبعية المواطن للدولة، ولا توفر لمن يحملها حقوق المواطنة السياسية[98].

في الفكر السياسي العربي الحديث يرى برهان غليون في مبدأ المواطنة تحالف وتضـــامن بـــين أناس أحرار متساوين في القرار والدور والمكانة، ويرفضون التمييز بينهم في مستوى مواطنيتهم وأهليتهم لممارسة حقوقهم بموجب مواطنتهم، بغض النظر عن درجة إيمـــانهم وقـــدرتهم علـــى استلهام المباديء والتفسيرات الدينية، وممارسة التفكير واتخاذ القرارات[99]. يضع علي لكـــواري حدوداً يعتبرها أساسا للتمييز بين الدول من حيث مراعاتها لمبدأ المواطنة. دراسة أخرى قـــدمت توصيف للمواطنة على أنها تجسيد لشعب يتكون من مواطنين يحترم كل منهم الآخر ويتصـــفون بالتسامح فيما بينهم، ويتساوون جميعا أمام القانون، بغض النظر عـــن اختلافـــاتهم القوميـــة أو الطبقية أو العرقية أو الثقافية، أو أي نوع من أنواع الاختلاف بين الأفراد والجماعات. كما بينت أن القانون يجب أن يعمل على تعزيز كرامة واستقلال واحترام الأفـــراد، وأن يحمـــي حقـــوقهم السياسية ويخلق الأرضية الاقتصادية والاجتماعية التي تحقق الإنصاف فيما بينهم[100].

ويرى أن الحد الأدنى الذي يجب أن يتوفر في الدولة حتى يتم تصنيفها على أنها تحتـــرم مبـــدأ المواطنة، يتمثل في غياب مظاهر حكم الفرد أو الأقلية، على اعتبـــار أن الحكـــم فـــي الدولـــة الديمقراطية الحديثة، يكون للأغلبية التي عليها أن تراعي مصالح الأقليات. كذلك عـــدم جعـــل الدولة تابعة للحاكم، على اعتبار أن الشعب هو مصدر السلطات. وأن يتم إعتبار جميع الســـكان

[98] المرجع السابق.ص31.
[99] المرجع السابق، ص31.
[100] المرجع السابق, ص 34

الذين يحصلون على جنسية الدولة، أو يقيمون على أراضيها ولا يوجد لديهم أي جنسية من دولة أخرى، مواطنين متساوين في الحقوق والواجبات، بما فيها الحقوق السياسية والمدنية[101].

نلاحظ أن المفاهيم الحديثة للعلاقة ما بين المواطن والدولة، تركز علـــى اعتبـــار أن المواطنـــة مصدر الحقوق للمواطن، وفي نفس الوقت ترتب واجبات عليه، إلا انه لا يمكن ربـــط الحقـــوق بالواجبات، بمعنى انه إذا لم يقم المواطن بالواجبات فان الحقوق تمنع عنه. فالحقوق فردية أمـــا الواجبات جماعية تنظمها الدولة من خلال القانون[102].

تتراوح حقوق المواطنة ما بين الحقوق السياسية والمدنية والاجتماعية. تتجسد الحقوق السياســـية بحق المواطن في المشاركة السياسية، والتأثير في القرار العام، وحقه بالمشاركة في الانتخابـــات مُرشّحاً أو مُنتخباً، وكذلك إنشاء الأحزاب والجمعيات والأطر المختلفة التي تمكنه من التفاعل في الحياة العامة، والحصول على المعلومات التي تؤهله لنيل كامل حقوقه أو العمل بمقتضاها. أمـــا الحقوق المدنية، فإنها تكون بالمساواة أما القانون دون تمييز بين أحد أو فئـــة مـــن المـــواطنين، وبالاعتراف بحرية الفرد بحدود عدم تعارضها مع القانون، والحق في الحياة وتقرير المصـــير، وحق التعاقد، والملكية الخاصة، والحصول على العدالة، وحرية التفكيـــر والاعتقـــاد والتعبيـــر. الحقوق الاجتماعية تتمثل في الحصول على حد من الرفاه والحماية الاجتماعيـــة والاقتصـــادية والثقافية، وحق العيش بكرامة بما يتضمن ذلك توفير فرص العمل والتعليم وتـــامين الحاجـــات الأساسية لحياة المواطن وعائلته[103].

في جانب آخر تتطلب المواطنة من الإنسان المواطن، استقامة وطهارة عظيمـــة فـــي الســـلوك، وتفان وإخلاص في الجهد والعمل، وتضحيات كبيرة على طريق تشكيل مجتمعٍ معـــين. وهـــي تتطلب تعليما وقوانين تعزز الإخلاص للطرق والوسائل التي تؤدي إلى تشكيل ذلـــك المجتمـــع، وتتطلب أيضا أن يرى المواطن نفسه جزءً من كلٍ يمثله المجتمع[104]. رغم أن للفـــرد المـــواطن

[101] المرجع السابق. ص38

[102] مروشك، أوكي: **معاً مرشد لتعليم الديمقراطية**، كينيرت" تل أبيب" 1993. ص69.

[103] الصالح, نبيل. مصدر سابق. 7-9.

[104] بانفيلد، ادوارد سي: **السلوك الحضاري والمواطنة**، دار النسر للنشر والتوزيع 1994، ص102.

احتياجات ومصالح واهتمامات خاصة به، إلا أنه يسعى دوما إلى انسجامها مع المواطنـــة مـــن خلال ما يطلق عليه كليفورد أورين السلوك الحضاري. وهو الذي يجعل المواطن يحترم حقوق وكرامة زميله، واعتبارها مقدسة ومساوية لحقوقه وكرامته نفسه. السلوك الحضاري لا ينحصر على الأفراد، بل يصبح سمة المجتمع ككل، ففي الوقت الذي يسير فيه كل فرد بطريقته الخاصة، إلا أنه يعترف بحق كل فرد آخر أن يفعل الشيء ذاته، وتكون المصلحة العامة للجميع تقتضـــي العمل على حماية ذلك الحق والدفاع عنه من أي اعتداء[105].هذا الحديث يقودنـــا إلـــى محـــددات حقوق المواطنة، حيث أن التعقيدات الكبيرة التي تتسم بها أنشطة المجتمعات والدول، إضافة إلى التفاوت الكبير بين الأفراد في إدراك ضرورة السلوك الحضاري، تجعل من الضروري تنظـــيم كافة الحقوق والواجبات التفصيلية من خلال مؤسسات دستورية ومدنية تنظم هذه الحقـــوق فـــي إطار ما يعرف بالدولة، وعلى أساس قاعدة المواطنة الرئيسية، التي تتجسد في المساواة بين كافة المواطنين في الحقوق والواجبات الأساسية التي تحدثنا عنها سابقا. لكن قد تكون هناك ظـــروف تجعل بعض الحقوق متعارضة مع بعضها بعضا، عندها تبرز الحاجة للتنازل عن بعض الحـــق في سبيل بعضه الآخر الأهم لكن يجب الانتباه هنا حتى لا تقوم السلطة باستخدام تلك الظـــروف كذريعة لحجب الحقوق عن المواطنين بصورة غير شرعية وغير ضرورية[106] هذا يستلزم وعيا فرديا وجماعيا للمواطنين.

في خضم الحديث عن المواطنة والحقوق المرتبطة بها، يبرز لدينا نوع آخـــر مـــن الحقـــوق، يكتسبها الإنسان لكونه إنسان فقط، وهي غير مرتبطة بانتماء سياسي أو جغرافي أو اجتمـــاعي، وإنما ترتبط بالإنسان أينما وجد لكونه إنسان ينتمي إلى النوع الإنساني[107].

من بين هذه الحقوق، الحق في الحياة وكل ما يؤدي إليها، وحق تقرير المصير، وحـــق حريـــة والاعتقاد والتعبير, الخ. وقد تم الحديث عن هذه الحقوق المرتبطة بالإنسان كونـــه إنســـان فـــي

---

[105] المرجع السابق، ص 102-103.

[106] مروشك، اوكي: مرجع سابق. ص72-74.

[107] جبيزون، أروت: **حقوق المواطن والديمقراطية**. جمعية حقوق المواطن في "إسرائيل" 1985/ ص 6، 22.

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي اعتمد سنة 1948 من قبل الأمم المتحدة، وكانت المواطنة أحد هذه الحقوق على اعتبار أنها حق أساسي للإنسان[108].

إن تطبيق الدلالات والمعاني المتعددة لمفهوم المواطنة، تعود بالضرورة إلى إحداث نـوع مـن التضامن الاجتماعي والاستقرار السياسي، وهذا بدوره يشكل أرضية مناسبة لإحـداث التنميـة الشاملة على كافة الصعد، داخل الدول التي تطبق مبدأ المواطنة ومدلولاتها. فـي حـين تؤكـد التجربة الإنسانية، أن تجاوز مفهوم المواطنة داخل الـدول يـؤدي إلـى التفتـت الاجتمـاعي، والاضطراب السياسي الذي يصل في أغلب الأحيان إلى الصدام والاقتتال، الأمر الـذي يشـكل أرضية خصبة أيضا لكافة المسائل التي تقود إلى التخلف والانحطاط.

[108] الهيئة الفلسطينية لحقوق المواطن. **المواطنة**. 1998.

الفصل الثاني

خلفيات بناء الجدار الفاصل

سأبين في هذا الفصل علاقة الجدار الفاصل بمشاريع الاستيطان الإسرائيلي، كـون الاسـتيطان يشكل أحد أهم دعائم المشروع الصهيوني المتمثل بإقامة دولة يهودية في فلسطين. الملحق رقـم (8) يبين الخارطة الهيكلية الاستيطانية في الضـفة الغربيـة. سـأتناول الخلفيـات الفكريـة والأيديولوجية داخل المجتمع الإسرائيلي, والتطورات التي جعلت بناء الجـدار الفاصـل فـوق الأرض الفلسطينية في الضفة الغربية أمراً واقعاً. كما سأتطرق إلى الأفكار والخطط الإسرائيلية التي مهدت الطريق لإسرائيل, لتعزز سيطرتها على الأراضي الفلسطينية ومن ثم العمـل علـى تهويدها، وفصل التجمعات السكانية الفلسطينية ذات الكثافة العالية عن التواجـد اليهـودي فـي الضفة الغربية. تم تحديد مسار الجدار استنادا إلى خارطة اتفاقية طابا التي قسمت الضفة الغربية إلى ثلاثة أقسام, هي: (أ, ب, ج). تعتبر المنطقتين (أ, ب) ذات كثافة سكانية عربيـة كبيـرة نسبيا, بينما المنطقة (ج) خالية تقريبا من السكان. مع تقدم المفاوضات في مراحل لاحقة بلغت مساحة المنطقة (أ) نحو 18% من مساحة الضفة. أمـا المنطقـة (ج) فبلغـت 22% مـن مساحتها. المنطقة (ج) بلغت مساحتها 60% من الضفة وبقيت هذه المنطقة تحـت السـيطرة الإسرائيلية الكاملة[109]. لذالك ركزت إسرائيل على بناء المستوطنات اليهودية فيها, وقد أصبحت حاليا تحوي معظم المناطق الاستيطانية, وشبكة الطرق التي تربطها معا. علمـا أن فـي هـذه المنطقة مساحات واسعة من الأراضي التي يمتلكها المواطنون الفلسـطينيون. بالإضـافة إلـى أراض أميرية تمتلكها الدولة, وتعتبرها إسرائيل عمقا من أجل توسيع المستوطنات عليها مستقبلا بعد ضمها عمليا إلى إسرائيل, بفعل ما تقوم به من إجراءات بناء الجدار[110] . الملحق رقـم (9) يبين الطرق الالتفافية التي تصل المستوطنات مع بعضها وتقطع أوصال الضفة.

---

[109] سليمان, نائل وأبو ردينة, إياد: السياسات **والمخططات الإسرائيلية للعزل والاستيطان في الاراضي الفلسطينية**, أريج, ص 5.

[110] شبكة المنظمات البيئية الفلسطينية(بنغون). **مجلة أوقفوا الجدار**. ع 1. آب- أيلول 2003. ص 1.

المبحث الأول

علاقة الجدار الفاصل بالاستيطان الإسرائيلي داخل الضفة الغربية

لا يمكن فصل بناء الجدار الفاصل عن مشاريع الاستيطان الإسرائيلية في الضفة الغربية، إذ يعتبر بناء الجدار امتداداً طبيعيا لهذه المشاريع كونه جاء بالشكل والأبعاد التي تخدم المستوطنات, وتجعلها على تواصل إقليمي مع إسرائيل. إضافة إلى أنه يخدم الأفكار الإسرائيلية التي ترفض اعتبار خط الهدنة الذي يمثل حدود الرابع من حزيران سنة 1967، حدوداً لدولة إسرائيل. ذلك تمشيا مع الإستراتيجية الإسرائيلية فيما يتعلق بالسيطرة على الأرض التي تعتبر مفتاح الصراع العربي الإسرائيلي[111]. في هذا الشأن, يرى جيفري اورسون- وهو خبير أمريكي في شؤون الاستيطان الإسرائيلي- أن عملية بناء الجدار الفاصل تعتبر المرحلة الأكثر حسما وأهمية في مشاريع الاستيطان الإسرائيلي منذ حرب الأيام الستة, سنة 1967, وذلك ضمن عمليات تقسيم أراضي فلسطين الانتدابية, ويؤكد أن رئيس الحكومة الإسرائيلية الحالية أرييل شارون الذي بدأ بناء الجدار الفاصل في عهده كان ولا يزال يرفض أية أفكار تهدف إلى حل الصراع العربي الإسرائيلي من خلال تسوية تقوم على أساس الانسحاب الإسرائيلي من الضفة الغربية إلى حدود الرابع من حزيران سنة 1967[112] . يؤكد ذلك رون نحمان رئيس بلدية مستوطنة اريئيل الواقعة جنوب نابلس، حيث يقول: إن خريطة الجدار التي أراها الآن، هي نفس الخريطة التي كنت أراها منذ سنة 1978، خلال كل زيارات شارون إلى أريئيل، وقد أخبرني- أي شارون- أنه كان يفكر بهذه الخطة منذ سنة 1973[113]. هذا يؤكد أن خطط الفصل الإسرائيلية كانت تعتمر في عقلية الإسرائيليين منذ وقت طويل، ومرتبطة بشكل وثيق بالاستيطان الإسرائيلي في الضفة. لكن لم يتم المباشرة في التنفيذ, إلا بعد أن تراكمت ظروف متعددة أدت إلى ذلك.

---

[111] عابد، خالد: **سياسة إسرائيل في المناطق الفلسطينية المحتلة**. بيروت لبنان، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص 38.

[112] من يحاصر من؟ جدار الفصل العنصري لن يقف عائقا أمام عمليات المقاومة البطلةWWW.Google.COM
آخر زيارة في 2004/7/30.

[113] أرونسون، جيفري: *خطة الفصل الإسرائيلية، ترسم الحدود المؤقتة لفلسطين*، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، ع 55، صيف 2003. ص 77.

هناك من يعتبر أن بناء الجدار, يشكل أكثر المخططات الاستيطانية خطورة لما يؤدي إليه من مصادرة أهم مقومات الحياة كالمياه والأرض الزراعية ومساحات واسعة من الضفة الغربية[114]. المتتبع لمسار بناء الجدار يلاحظ أن من أهم ما يهدف إليه هذا البناء هو حماية التكتلات الاستيطانية التي أنشئت داخل الضفة الغربية بناء على تصورات فكرية وأيديولوجية، وخطط ورؤى أمنية واقتصادية وسياسية. كما أن بناء الجدار, يأتي لحسم مسالة السيادة على هذه المستوطنات لصالح إسرائيل مع بقائها داخل الضفة, وذلك من خلال الواقع الجديد الذي يفرضه الجدار.

1:1:2 الأجزاء المستهدفة ببناء الجدار وواقع الاستيطان فيها

نرى أن القسم الشرقي للجدار, يأتي لحماية مستوطنات الغور وضمها لإسرائيل، حيث تم بناء هذه المستوطنات، في إطار مشروع متكامل يهدف إلى جعل الأردن ومنطقة الغور حدودا أمنية يمكن الدفاع عنها, ومن خلالها عن إسرائيل. إضافة إلى السيطرة على هذه المنطقة الحيوية والهامة، نظرا لما تتميز به من ميزات مناخية, تجعلها من أهم المناطق الزراعية، خاصة وأنها تحوي كميات كبيرة من المياه. بدأ تنفيذ هذا المشروع على الجانب الشرقي من الضفة الغربية في وقت مبكر من قيام إسرائيل باحتلالها سنة 1967[115] .

نفس الشيء حصل على الجانب الغربي من الضفة, بمحاذاة الخط الأخضر، حيث تم البدء بتنفيذ مشاريع استيطانية، وإقامة مستوطنات يهودية, بهدف السيطرة على تلك المناطق الخصبة الغنية بالمياه الجوفية, وتشكيل حاجز يهودي يفصل البلدات والقرى الفلسطينية داخل فلسطين المحتلة سنة 1948 عن مثيلاتها المقابلة لها داخل الأراضي المحتلة سنة 1967[116]. يأتي القسم الغربي من الجدار لضم هذه المنطقة ومستوطناتها إلى إسرائيل نظراً لأهميتها في أكثر من مجال كما سنرى لاحقاً.

---

[114] غانم، محمد السيد، جدار الفصل الإسرائيلي، تاريخ النشر 2009/2/29، WWW.Aljazeera.NET

[115] عيد، جلال، *الجغرافيا السياسية للمستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة*، **مجلة صامد الاقتصادي**، ع 111، كانون ثاني- آذار سنة 1998. ص 127.

[116] المرجع السابق،ص 130+131.

ضمن نفس التوجه قامت إسرائيل في مراحل أخرى ببناء مستوطنات كبيرة الحجم لتحيط بالمدن والتجمعات السكانية الفلسطينية، والعمل على خنقها, والحيلولة دون تطورها واتساعها، وبالتــالي إبقاء الفلسطينيين محاصرين في تكتلات بشرية محاصرة بالتجمعات اليهودية التي تسيطر علــى أكبر مساحة من الأرض في الضفة الغربية, إضافة إلــى ســيطرتها علــى محــاور الطــرق والمواصلات فيها. وذلك للتحكم بمجمل حياة الفلسطينيين, والتضييق عليهم في أي وقت يشــاؤه الإسرائيليون[117]. من أهم الأنشطة الاستيطانية ما تم في منطقــة القــدس, حيــث أن المخطــط الاستيطاني تركز هناك, للوصول إلى تهويد المنطقة بالكامل, وتغييــر طابعهــا الــديموغرافي والحضاري[118]. هذا ما سأتناوله بالتفصيل لاحقا.

2:1:2 دوافع الاستيطان في الضفة الغربية

تعددت دوافع الاستيطان في المناطق المختلفة من الضفة الغربية. بعــض القــوى والأحــزاب الإسرائيلية أقامت مستوطنات بناءا على رؤى أمنية وبعضها لخدمة أهداف سياسية، وهناك قوى إسرائيلية انطلقت في رسم سياساتها الاستيطانية من خلال رؤيتها الأيديولوجية التي تعتبر أن كل فلسطين تشكل أرضا إسرائيلية، وبالتالي يحق للإسرائيليين الإقامة بها في أي مكــان يريدونــه، وفي الواقع نرى أن أهم القوى والأحزاب الإسرائيلية قامت بالمشاريع الاستيطانية منطلقةً مــن عدة دوافع معاً، أمنية وسياسية وأيديولوجية وحتى اقتصادية، نظراً لما يشكل الاســتيطان مــن أهمية قصوى لوجود إسرائيل كما سنرى. الفترة التي أعقبت استلام الليكود للحكم ســنة1977, شهدت انتشاراً واسعاً للاستيطان في عمق الضفة الغربية، وأطلقت حكومة الليكود يد الجماعــات الاستيطانية المتطرفة, مثل جماعة غــوش أمنــيم لتنفــذ مشــاريع اســتيطانية وفــق رؤيتهــا الأيديولوجية[119]. ونرى من خلال تتبع مسار الجدار انه أكثر ما يتعمق في أراضي الضفة مــن أجل ضم المستوطنات التي أقيمت في تلك الفترة خلال حكم الليكود في مختلف الفترات.

---

[117] المرجع السابق، ص 130.

[118] أبو عرفه، عبد الرحمن: **الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية**، القدس، وكالة أبو عرفه للصحافة والنشر 1981، ص 220-224.

[119] عيد، جلال، مرجع سابق، ص 131-132.

من خلال نظرتنا على خارطة الاستيطان, نجد أنها قامت على خطط مدروسة رغم أن استيلاء الإسرائيليين على الضفة الغربية أحدث تغييراً كبيراً على أنماط الاستيطان، حيث اتجهت الجهود الاستيطانية إلى إنشاء أكبر عدد ممكن من المستوطنات من أجل خلق واقع جديد يخدم الأهـداف الإستراتيجية للحركة الصهيونية[120]. شكلت أطراف الضـفة الغربيـة مـن الجهتـين الشـرقية والغربية، إضافةً إلى منطقـة القـدس ومحيطهـا، ميادينـاً واسـعةً للمشـاريع الاسـتيطانية الإسرائيلية[121]. ونرى أن هذه المناطق بالذات, هي المناطق التي ركز عليها بناء الجدار الفاصل الجزء الغربي منه يؤدي إلى فصل مناطق واسعة من الأراضي الفلسطينية على امتداد الضـفة الغربية، ضاما معظم المستوطنات الإسرائيلية المقامة في تلك المناطق إلى إسرائيل. وقد رأينـا في الفصل الأول كيف أن الجدار يمتد في أعماق الضفة الغربية من أجل ضم وحمايـة الكتـل الاستيطانية الكبيرة المبنية في عمقها. نفس الشيء سيحصل في الطرف الشرقي للضفة الغربية، حيث سيأتي تنفيذ بناء الجدار في هذه المنطقة على كامل مناطق الأغوار، ويمتد أحيانـا ليصـل إلى المرتفعات الشرقية للضفة الغربية ليضم بعض المستوطنات المقامة عليها. ما ذكرتـه بهـذا الشأن تم توضيحه بشكل مفصل خلال الفصل الأول. لكني أشير إليه هنا من اجل ملاحظة مدى تلازم وتكامل مسألة بناء الجدار الفاصل مع المشاريع الاستيطانية الإسرائيلية. لذلك من المهم أن نتعرف على تفاصيل المشاريع الاستيطانية في الضفة الغربية، وقبل ذلك التعرف على الخلفيات التي قامت على أساسها حركة الاستيطان اليهودي في فلسطين، ودور القوى الإسرائيلية المختلفة في تنفيذ هذه المشاريع، ودافع كل منها.

---

[120] أبو عرفه، عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 152.

[121] عايد، خالد: **سياسة إسرائيل في المناطق الفلسطينية المحتلة**، بيروت- لبنان، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ص 32-33و 37-38.

المبحث الثاني

الخلفية الفكرية للاستيطان الإسرائيلي الذي أسس لبناء الجدار الفاصل

بالنظر إلى ارتباط الجدار الفاصل بالمشاريع الاستيطانية التي أقيمت فوق أراضي الضفة الغربية كما بينت في المبحث الأول من هذا الفصل، فإنه من الضروري التعرف بشكل تفصيلي على تلك المشاريع، والخلفيات الفكرية التي قامت على أساسها، ودور القوى الإسرائيلية المختلفة في تنفيذ هذه المشاريع، لأن هذا سيقدم لنا صورةً واضحةً عن الإستراتيجية الإسرائيلية لمستقبل هذه المشاريع، والتي يشكل بناء الجدار جزءاً ملازما ومكملا لها، وبالتالي ستتضح لنا الرؤية الإسرائيلية لمستقبل الضفة الغربية، وهذا ما يعطينا صورة واضحة عن إمكانيات التنمية السياسية في هذه المنطقة. في هذا المبحث سأركز على الخلفيات الفكرية, التي شكلت أقوى الدوافع لحركة الاستيطان الصهيوني في فلسطين.

1:2:2 الاستيطان آلية وجود إسرائيل وضمان بقائها

لقد شكل الاستيطان الإسرائيلي أحد أهم دعائم المشروع الصهيوني, المتمثل في إنشاء دولة يهودية في فلسطين, والسيطرة على مقدراتها خاصة الأرض والمياه. وأدت المشاريع الاستيطانية المقامة فوق الأرض الفلسطينية إلى خلق أمر واقع أمام العالم من أجل عرقلة أي حلول سياسية لا تتماشى مع الرؤية الإسرائيلية للحل. كما لعبت هذه المشاريع دورا هاما في تحقيق الأيديولوجية الصهيونية, فيما يتعلق بالأرض والحدود[122].

بعد حرب 1967 التي استولت بموجبها إسرائيل على مساحات واسعة من الأراضي العربية، ومن ضمنها الضفة الغربية التي تشكل جزءاً من فلسطين الانتدابية، قامت بوضع العديد من الخطط الاستيطانية، حيث اعتبرت الاستيطان أحد أهم أهدافها في الضفة الغربية لما يحقق لها من مزايا أمنية، وسيطرةٍ على الموارد, خاصة الأرض والمياه. بدأت إسرائيل بتنفيذ هذه المخططات في وقت مبكر من قيامها باحتلال الضفة الغربية، حيث تم إنشاء العديد من

[122] عيد، جلال، مصدر سابق، ص 127.

المستوطنات في مناطق الغور على امتداد نهر الأردن، والسفوح الشرقية للضـــفة الغربيـــة [123]. كان ذلك في إطار ما يسمى بمشروع آلون الذي سآتي على تفصيله في مكان لاحق.

شكل الاستيطان اليهودي من الناحية التاريخية، أحد الوسائل التي حددها المـــؤتمر الصـــهيوني الأول، المنعقد في مدينة بال في سويسرا من أجل تحقيق الهدف الصهيوني، القاضي بإقامة دولة يهودية في فلسطين. بقي الاستيطان يشكل جزءا مـــن المخطـــط الشـــامل فـــي فكـــر الحركـــة الصهيونية، ولا زال يشكل أحد العناصر الأساسية للأيديولوجية الصـــهيونية. بالإضـــافة إلـــى الأرض والدين[124]. من الناحية الفكرية, عبر العديد من القادة التاريخيين للحركـــة الصـــهيونية, أمثال هيرتزل وجابوتنسكي ووايزمن عن أهمية الاستيطان, وأهمية أن يكـــون فـــي فلســـطين، واعتبروه يشكل حلا للمشكلة اليهودية إضافة إلى أنهم اعتبروه باعثا للشعور القومي لدى يهـــود العالم[125]. وتعتبر فكرة إنشاء الجدران العازلة, والمناطق الأمنية الفاصلة, من الأسس الراســـخة في العقلية اليهودية، تلك الفكرة المستمدة من نظرية " الحائط الحديـــدي" التـــي وضـــع أسســـها جابوتنسكي أحد أركان الحركة الصهيونية, والأب الروحي لليمين الإسرائيلي[126].

2:2:2 الفكر والمنطلقات الاستيطانية الإسرائيلية قبل سنة 1967

ربط الفكر الاستيطاني في المرحلة الأولى من الاستيطان، مابين الهجرة اليهودية إلى فلســـطين وإقامة المستوطنات، وحل المشكلة اليهودية. في آخر عهد الانتداب, أخذت تبـــرز الاعتبـــارات العملية التي تركز على البناء العسكري المرتبط بالبناء الاقتصادي من خلال القطاع الزراعـــي, وذلك بإنشاء المستوطنات الزراعية التي يقيم بها المقاتلون اليهود[127].

خلال الفترة التي أعقبت إنشاء إسرائيل مباشرة سنة 1948، ركز الفكر الاستيطاني علـــى عـــدة منطلقات حكمت اتجاه هذا الفكر، وتمثلت هذه المنطلقات بما يلي:

---

[123] المصدر السابق،ص 129.

[124] بركات، نظام محمود: **الاستيطان الإسرائيلي في فلسطين بين النظرية والتطبيق**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 38و39.

[125] المرجع السابق، ص 39-40.

[126] حمدي، رشا: *الدولة الفلسطينية القادمة بين الجدار الأمني والمستوطنات*، **مجلة السياسة الدولية**، ع 153، تموز 2003. ص 190-191.

[127] بركات، نظام محمود، مرجع سابق،ص 44-46.

أ/ اعتبار أن الدولة اليهودية قامت على جزء من أرض إسرائيل التاريخية، حسب اعتقادهم. هذا المنطلق يشير بوضوح إلى التأثير الأيديولوجي في الفكر الاستيطاني الإسرائيلي خلال تلك الفترة ولغاية الآن.

ب/ ضرورة العمل على أن تكون الدولة يهودية, مع ضمان استمرار سيطرة اليهود عليها، وهذا يستوجب التخلص من السكان الأصليين بكافة الطرق والوسائل.

ج/ ضرورة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وترسيخ الإيمان الصهيوني الإسرائيلي بتميز إسرائيل, وأنها ليست كباقي الدول، وإنما دولة قائدة تشكل نواة المجتمع اليهودي في العالم, وتستمد قوتها منه.

د/ المنطلق الرابع يركز على تغذية فكرة الخطر العربي على الكيان الإسرائيلي، ومن هنا يصبح دور القوة العسكرية, أمراً حتميا للحفاظ على هذا الكيان[128].

من خلال إطلاعنا على هذه المنطلقات, نلاحظ أن كل منطلق منها يستوجب سلوكا معينا من الإنسان اليهودي, أو من الإطار الذي يوجه حركته، ولهذا نرى سعي إسرائيل الدائم للهيمنة والتوسع ما أمكنها ذلك، ونرى أنها بنت مجتمعا عسكريا الكل فيه يكون جنديا دائم الخدمة، أو جندي احتياط يخدم في فترات محددة من السنة، إلا إذا احتاج الأمر أكثر من ذلك. لقد تم ربط الثقافة والفكر الذي يحمله الإنسان الإسرائيلي, بحركة الاستيطان، حتى أصبح الاستيطان يشكل حجر الزاوية في الأيديولوجية الصهيونية[129]. بهذا الخصوص يقول البروفسور باروخ كيمرلينغ, أستاذ علم الاجتماع في الجامعة العبرية، أن الاستيطان يساعد اليهودي على الإحساس بسموه وترفعه عن كافة الأعراق، ويخلق نخبة سياسية واجتماعية ذات نزعة عسكرية. وتعتبر المستوطنة المكان الأفضل لخلق الإنسان المتفوق دائما، وهذا الشعور عند اليهودي المستوطن جعله لا يؤمن إلا بعقيدة العنف، والتمركز حول ألذات. هذه الأفكار كان ينادي بها جابوتنسكي أيضا، الذي كان يغرس في أتباعه اليهود أن كل إنسان على خطأ وأنت وحدك على

---

[128] المرجع السابق، ص82-93.

[129] الموعد، حمد: *الاستيطان واليوتوبيا الصهيونية*، **مجلة صامد الاقتصادي**، ع111، كانون ثاني- آذار سنة 1998. ص 91.

صواب[130].هذه الأفكار العنصرية خلقت جيلا إسرائيليا يؤمن بالعنف كهدف لا كوسيلة، كما كان ينادي الكاتب اليهودي آرثر كوستلر، الذي يرى أن العنف ضرورة لتقدم الإنسان، وان اهتمامـه بالقيم الأخلاقية والروحية, تؤدي به إلى الضعف والوهن[131]. على هذه الخلفية الفكرية نشأ الجيل اليهودي الذي احتل فلسطين، وغرس مشروعه الاستيطاني على أرضها، ولا زال هـذا الجيـل لغاية الآن يتحكم في خيوط اللعبة داخل إسرائيل، بل وأكاد أقول داخل العالم من خلال سـيطرته على القوى الكبرى فيه. لذلك فإنه لا زال المؤثر والمحرك الرئيسي على مـا يجـري داخـل فلسطين من تنفيذ للمخططات الاستيطانية، والتي يعتبر الجدار الفاصل أحد ضروراتها خلال هذه الظروف، حسب العقلية الصهيونية التي تحكم إسرائيل حاليا.

3:2:2 الإتجاهات الفكرية الاستيطانية التي برزت بعد احتلال إسرائيل للضفة الغربية .

بعد قيام إسرائيل باحتلال الضفة الغربية تمحور الفكر الاستيطاني حول اتجاهين رئيسين واتجاه ثالث ظل هامشيا داخل إسرائيل. تمثلت هذه الاتجاهات بما يلي:

أ/ الاتجاه الأول ركز على الاعتبارات الأمنية والسياسية، عندما وضع ونفذ خططه الاستيطانية. في نفس الوقت لم يستبعد الاعتبارات الأيديولوجية والتاريخية حسب الفهم اليهودي. إذ أنه قـام بمشاريع استيطانية استنادا لاعتبارات أيديولوجية في منطقتي القدس والخليل، بينما شرع بتنفيـذ مشاريعه الاستيطانية القائمة على اعتبارات أمنية وسياسية على أطراف الضفة الغربية وخاصـةً في مناطق الأغوار. تبلور هذا الاتجاه عند قيادات حـزب العمـل. حيـث بـدأت المشـاريع الاستيطانية الأولى بهدف استخدامها كورقة ضغط على العرب, من أجل القبول بالتفاوض مـع إسرائيل، والوصول إلى اتفاقيات سلام تنهي حالة الصراع, مع ضمان وجود وأمن إسرائيل كما ذكرت بعض المراجع[132]. بعد ذلك حدثت تحولات في النظرية الأمنية الإسـرائيلية، إذ بـرزت أهمية ما أسماه الإسرائيليون بالحدود الآمنة. هنا حاول بعض الزعماء الإسرائيليون ضمن هـذا الاتجاه, الربط بين الاستيطان في الضفة الغربية, ومفهوم الحدود الآمنة. هـذا الأمـر يقتضـي

---

[130] المصدر السابق، ص88.
[131] المصدر السابق، ص 89.
[132] بركات, نظام محمود مرجع سابق. ص 31.

الحفاظ على المناطق التي يتم الاستيطان فيها، وبناء مستوطنات في المناطق التي يرى الإسرائيليون أنها تشكل حدودا آمنة لدولتهم. لهذا جاء مشروع آلون بمفهومه الذي يتمثل في السيطرة على منطقة الغور، وسأتناول هذا المشروع بشكل أوضح لاحقا.

من خلال نفس الاتجاه الأول، تم تشجيع الاستيطان بغض النظر عما ستسفر عنه الحلول السياسية أو العسكرية، على اعتبار أن إنشاء المستوطنات يؤدي إلى خلق أمر واقع لا يمكن تجاوزه, لأنه يصبح حقيقة قائمة لابد أن تؤخذ بالاعتبار عند الحديث عن أية حلول [133].

ب/ الاتجاه الثاني الذي برز في الفكر الاستيطاني بعد حرب 1967, ركز على الاعتبارات التاريخية والدينية " الأيديولوجية" عندما نفذ مشاريعه الاستيطانية. تبلورت هذه الرؤيا لدى زعماء اليمين الإسرائيلي أمثال مناحم بيغن وغيره. تقضي هذه الرؤية بالاحتفاظ بكامل الأراضي المحتلة, وذلك استنادا إلى العقيدة الصهيونية التوسعية، وعلى أساس الحق الديني الذي يعتبر هذه الأراضي حق الهي لليهود حسب ما يؤمنون به. أصبح هذا التوجه يمثل برنامج تكتل الليكود اليميني، والذي يدعو إلى عدم التخلي عن أي جزء من الضفة الغربية على اعتبار أنها جزء من أرض إسرائيل، وأن التنازل عن أي جزء يعني قيام دولة فلسطينية, وإذا حدث هذا فإنه يشكل خطراً على صميم الدولة اليهودية. بالنسبة إلى الاستيطان يرى هذا الاتجاه, أن حق الشعب اليهودي في الاستيطان في جميع أراضي إسرائيل هو حق غير قابل للتصرف[134]. وحتى لو استند الاستيطان إلى معايير المصلحة, فإن اليمين الإسرائيلي يرى بالأنشطة الاستيطانية سياسة واقعية, لأنها تشكل نوعاً من الدفاع عن المصالح الإسرائيلية, لكون اليهود يقومون بالاستيطان داخل حدود دولتهم لتوسيعها وإعمارها. ويرون أن الحدود بين الدول رسمت حسب قوة كل شعب, لذا فإن انتصارهم على العرب في حرب 1967, يكسبهم حق الاحتلال والسيطرة النهائية على الأراضي التي احتلوها, وبالتالي يحق لهم الاستيطان فيها[135].

---

[133] بركات، نظام محمود مرجع سابق. ص 124-139.
[134] المصدر السابق،ص 140-141.
[135] هر كابي, يهوشفاط: **موقف إسرائيل في النزاع الإسرائيلي العربي** . دار النشر العربي 1968, ص 28

ظهر في الاتجاه الثاني من اتجاهات الفكر الاستيطاني تيارين، الأول ينادي بضـــرورة تطبيــق السيادة الإسرائيلية الكاملة على الضفة الغربية، وضمها نهائيا لإسرائيل لأنها جزء منها. يضـــم هذا التيار الزعماء الحزبيين في الليكود, أمثال شارون وشامير, إضافة إلـــى أعضـــاء " أرض إسرائيل كاملة " وغيئولا كوهين وجماعة غوش امونيم الاستيطانية, وحركة كاخ, وعصبة الدفاع اليهودي، ويعتبر هذا التيار الجناح الرئيس في تكتل الليكود[136]. هنا لابد أن أشير أن الحكومـــة الإسرائيلية التي باشرت ببناء الجدار, كانت بقيادة هذا التيار. إضـــافة إلـــى أن معظـــم الكتـــل الاستيطانية التي يستهدفها الجدار بالضم والحماية، تم البدء بتنفيذها من قبل هذا التيار. أرى في موافقة اليكود على بناء الجدار تناقضا في الطرح الأيديولوجي له, ولليمين الإسرائيلي الذي يرى بالضفة الغربية جزءاً لا يتجزأ من ارض إسرائيل. لكن بعض المصادر ذكـــرت أن المتغيـــرات والأوضاع السياسية والأمنية, أدت إلى ضغوط شعبية داخلية في إســـرائيل دفعـــت بالحكومـــة الإسرائيلية التي كان على رأسها تكتل الليكود بزعامة أرييل شارون لاتخاذ قرار بناء الجـــدار، وكانت حجتها في ذلك أن بناء الجدار ما هو إلا إجراء أمني وقائي كما قالت إسرائيل آنذاك.

التيار الثاني في هذا التوجه الفكري، كان ينادي بأن الحق التاريخي لليهود في استيطان الضـــفة الغربية، لا يعني بالضرورة الاستيطان في كامل المنطقة, والسيطرة عليها جميعها، حيث يجـــب ألا يكون الاستيطان على حساب التجمعات السكانية العربية القائمة أصلا، ويرى هذا التيـــار أن خلق جو التعايش السلمي بين العرب واليهود في هذه المناطق، سيمهد الظروف لتقبل اليهود في المنطقة, ويقلل العداء لهم، وهذا ما يعتبرونه يشكل أحد الضمانات الأمنية لإســـرائيل[137]. مـــن أنصار هذا التيار, عيزرا وايزمن الذي شغل منصب وزير الدفاع في حكومة إســـرائيلية ســـابقة قادها حزب اليكود ثم انضم إلى حزب العمل بعد ذلك في وقت لاحق. كان هناك بعض قيـــادات حزب العمل ينادون بهكذا توجهات, مثل موشي دايان وزير الدفاع الإســـرائيلي إبـــان حـــرب 1967, الذي كان يرفض أن تقوم إسرائيل بإستيعاب عرب الضـــفة الغربيـــة, ضـــمن الســـيادة

---

[136]بركات، نظام محمود. مصدر سابق. ص 142-143.
[137] بركات, نظام محمود. مرجع سابق. ص 145

الإسرائيلية، لان ذلك يخل في التركيبة السكانية لإسرائيل, ويقطع الطريق عليها لأن تكون دولة يهودية خالصة[138].

ج/ الاتجاه الثالث في الفكر الاستيطاني الإسرائيلي برز بعد حرب تشرين 1973، لكن بقي هـذا الاتجاه يشكل أقلية صغيرة في المجتمع الإسرائيلي، ويتمثل في مجموعة من القيادات الإسرائيلية أمثال يوري افنيري وناحوم جولدمن وجماعات" السلام الآن". يرى هذا الاتجاه ضرورة أن تقدم إسرائيل تنازلات، والانسحاب من الضفة الغربية، والاعتراف بـالحقوق الفلسـطينية، لان هـذا سيزيد من التوجهات السلمية للعرب. ويعتبرون أن هذا الحل يحقق الأمن والسلام لإسرائيل[139].

بقي هذا التيار هامشيا في المجتمع الإسرائيلي، ولم يكن له تأثير يذكر في المشروع الاسـتيطاني داخل الضفة الغربية سوى قيامه بعض التظاهرات التي كانت تحاول أن تعرقل بعض الأنشـطة الاستيطانية دون جدوى. لذلك يمكن اعتبار أن الاتجاهين الأول والثاني, هما اللذان أوجدا وقائع على الأرض من خلال المشاريع الاستيطانية التي جاءت من حيث المكان والزمان معبرة عـن الخلفية الفكرية والأيديولوجية للقوى الإسرائيلية التي أنشأتها. شكلت هذه المشاريع أساسا عمليـا لبناء الجدار الفاصل، لكون هذا الجدار جاء لحمايتها وضمها إلى إسرائيل، وبالتالي فإن مواقفها فرضت كيفية مسار الجدار.

---

[138] المصدر السابق. ص 45-46.

[139] المصدر السابق. ص 47.

المبحث الثالث

الخطط والمشاريع الاستيطانية التي أسست لبناء الجدار الفاصل

أرى من المهم والضروري جداً لأجل وحدة الموضوع وترابط الأفكـــار وتسلســـلها، أن أبين المشاريع الاستيطانية التي طرحت من قبل القوى للإسرائيلية المختلفة، خاصةً تلـــك التـــي نفذت كليا أو جزئيا، أو تلك التي تنتظر التنفيذ في مراحل لاحقة وصولا إلى مرحلة بناء الجدار الفاصل. في هذه الدراسة لن أتوسع في الكتابة عن الأفكار والخطط الاستيطانية الكثيـــرة التـــي تناولتها أطراف أو شخوص كثيرين في الكيان الإسرائيلي، وإنما سأتناول أهم المشـــاريع التـــي يمكن اعتبارها تمثل الأسس والمحاور التي تبنتها القوى الإسرائيلية الكبرى في إســـرائيل، تلـــك التي تظهر من خلال تتبع الخارطة الاستيطانية المقامة فعلا، بأن لها دور مباشر في رسم شـــكل ومسار الجدار الذي هو موضوع دراستي هذه. كما سأتناول ألأفكار ألإسرائيلية التي سبقت بناء الجدار وكانت تتحدث عن ضرورة بناء جدران للفصل عن الفلسطينيين, لأن في ذلك ما يشـــير إلى وجود أهداف كامنة لبناء الجدار. ليس فقط ما تقوله إسرائيل بأن هدف الجدار هـــو إجـــراء أمني مؤقت.

عند استيلاء إسرائيل على الضفة الغربية، حصلت تغييرات في ترتيب أولويـــات الإســـتراتيجية الإستيطانية الإسرائيلية في فلسطين المحتلة. فقد تم التركيز على أهمية الإستيطان فـــي الضـــفة الغربية، وتبلورت الأفكار الأولى حول ضرورة الربط بين المحور الغربي من فلسطين الممتـــد على طول السهل الساحلي، مع المحور الشرقي الممتد على طول منطقة الأغوار. وذلـــك مـــن خلال وصل هذين المحورين بشبكة من الطرق، وإقامة التجمعات والمدن الإستيطانية[140] . وقـــد كان هدف ربط المحورين معاً, هو ربط التجمعات اليهودية في المحـــور الغربـــي, بالأراضـــي الجديدة التي تم احتلالها وتحوي كثافة سكانية عربية قليلة نسبيا، تمهيدا لإنشاء بنيـــة اســـتيطانية يهودية عليها خاصة في مناطق الأغوار. وقد شكلت شبكة الطرق التي تم إنشاؤها ضـــمن هـــذه الأفكار, هيكلا للخارطة الاستيطانية التي تم إنشاؤها فيما بعد, وعلى مراحل متعددة.

---

[140] ايفرات، اليشع: **الاستيطان الإسرائيلي جغرافيا وسياسيا**، عمان، دار الجليل للنشر 1990. ص 21.

1:3:2 مشروع آلون:

أول المشاريع الاستيطانية التي طرحت بعد حرب 1967، ذلك المشروع المسمى مشروع آلون, الذي قدمه الوزير الإسرائيلي إيغال آلون في شهر تموز1967, أي بعد شهر واحد فقط من احتلال الضفة الغربية، ويعتبر هذا المشروع من المشاريع الهامة التي تضمنت أبعاداً سياسية وأمنيةً تهدف إيجاد تجمع جغرافي استراتيجي[141]. إضافةً إلى أبعاد فكريةٍ أيديولوجية تتعلق بالإستراتيجية الصهيونية التي تعتبر الإستيطان في فلسطين أحد أهم مرتكزاتها في إنشاء دولة إسرائيل. تظهر هذه الأبعاد من خلال دعوة آلون إلى ضرورة بناء أحياء يهودية في القدس الشرقية, وإعادة بناء وإعمار ما اسماه بالحي اليهودي داخل البلدة القديمة من مدينة القدس[142]. ركز مشروع آلون على المنطقة الشرقية من الضفة الغربية، وكان يهدف بشكل أساسي إلى السيطرة على كامل منطقة الأغوار بعمق 15–20 كم وضمها إلى إسرائيل[143].

ارتكزت الخطة لاعتبارات ديموغرافيةٍ وطبوغرافيةٍ، حيث كانت تعتبر أن نهر الأردن سيشكل الحدود الشرقية لمنطقة الأغوار المنوي ضمها إلى إسرائيل، بينما تستند الحدود الغربية لهذه المنطقة إلى حصون وقلاع طبوغرافية كما وصفها آلون. هذا يؤدي إلى تجنب تزايد أعداد المواطنين العرب في تلك المنطقة، الذين وصل عددهم إلى 15 ألف مواطن فقط بعد حرب 1967 حسب مصدر إسرائيلي. منهم خمسة آلاف يسكنون مدينة أريحا، والباقي ينتشرون في منطقة واسعة نسبيا[144]، وقد تضائل عدد المقيمين في تلك المنطقة إلى هذا الحد بسبب هجرة الكثيرين من سكانها إلى الأردن نتيجة للحرب 1967.

تقتضي خطة آلون بضم كامل منطقة الأغوار الفلسطينية الممتدة شرق الضفة الغربية, من منطقة بيسان شمالا إلى البحر الميت جنوبا. كما تقتضي وصل مدينة القدس بالبحر الميت بشريط من الأرض تقوم إسرائيل بضمه إليها. إضافة إلى ضم منطقة اللطرون غربي رام الله

---

141 الأسدي, عبده: *الاستيطان بين الليكود والعمل*. **مجلة صامد الاقتصادي**. ع90 . ص 140. تشرين أول - كانون أول 1992

142 المرجع السابق. ص140

143 ارونسون، جيفري: مستقبل **المستعمرات الإسرائيلي في الضفة والقطاع**. ط 1 ، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية . حزيران 1996. ص 6، 7.

144 ايفرات، اليشع. مصدر سابق. ص 48.

وجعلها على تواصل مع مدينة القدس من الجهة الغربية. كذلك ربط المنــاطق غيــر المأهولــة بالسكان في جبل الخليل مع منطقة الأغوار وضمها أيضا إلى إسرائيل. من أجل خلق أمر واقــع في هذه المناطق التي يتم ضمها عمليا إلى إسرائيل، فإن خطة آلون تتضمن بنــاء شــبكةٍ مــن المستوطنات الزراعية في هذه المناطق، وتكثيف عدد المستوطنين اليهود فيها، خاصة في مناطق الأغوار على اعتبار أنها ستشكل الحدود الشرقية لدولة إسرائيل حسب رؤية آلون[145]. الملحــق رقم (12) يبين رسما لشروع آلون.

بالرغم من عدم تبني الحكومات الإسرائيلية لهذه الخطة رسميا، إلا أنها عملت وفقا لمبادئها. تم النظر في إسرائيل إلى خطة آلون على أنها تمثل حلاً وسطاً بين الإسرائيليين بشقيهم الرئيســين. وقد تولت دائرة الاستيطان في الحركة الصهيونية العالمية تخطيط وبناء المستوطنات في الشريط ألغوري المستهدف بخطة آلون، حيث تم تنفيذ الخارطة الإستيطانية في تلــك المنطقــة بشــكل يتناسب وخطة آلون. تمحور الاستيطان حول خطين, الأول وهو الشرقي الذي يمتد على طريق بيسان أريحا. والثاني هو الغربي الذي ويمتد على الواجهة الشرقية للجبال الشرقية من الضــفة الغربية[146]. ابتداءا من المناطق الواقعة ما بين مشارف مدينة الخليل شرقا وجنوبا وبين البحــر الميت وصحراء النقب. إضافة إلى السفوح الشرقية لسلة الجبال الشرقية للضفة الغربية الممتــدة من الخليل وحتى شرق جنين[147]. إن تنفيذ خطة آلون كما هو مبين أعلاه، يعني ضم 40% مــن الضفة الغربية إلى إسرائيل. كما أن المتتبع لمسار جدار الفصل كما بينتــه ســابقا، يلاحــظ أن الجدار بقسميه الشرقي وأجزاء من الغربي يؤدي فعلا إلى اقتطاع الأراضي التي حددتها خطــة آلون، وضمها إلى إسرائيل. نلاحظ من خلال هذه الخطة أيضا مدى تــرابط الجــدار الفاصــل بالمشاريع الاستيطانية, بغض النظر عن زمان تنفيذها, أو الدافع وراء ذلك, أو الجهة التي تقــف خلف طرحها وتنفيذها.

[145] المصدر السابق, ص 47-54.
[146] المصدر السابق. ص 55.
[147] الاسدي, عبده. مرجع سابق. ص 140

بالطبع لم تقتصر المشاريع الاستيطانية, في العقد الأول لاحتلال الضفة الغربية, على مشــروع آلون، بل تم تنفيذ مشاريع استيطانية أخرى خللا هذه الفترة، خاصة تلك التي أقيمــت بمحــاذاة الخط الأخضر في منطقة الطرون. إضافة إلى تركيز الاستيطان في منطقتي القدس والخليل كما يظهر في هذه الدراسة ولا داعي للكتابة عنها هنا.

2:3:2 الاستيطان في عهد اليكود

بعد سنة 1977، استطاع اليمين الإسرائيلي الفوز في الانتخابات الإســرائيلية، وبالتــالي تــولى تشكيل حكومة يمينية تنطلق في سياساتها المختلفة من منطلقات أيديولوجية مباشرة، دون أن يتم تغليف هذه السياسات بغلاف علماني كما كان يفعل حزب العمل. كانت أهــم السياســات التــي خضعت للاعتبارات الأيديولوجية، تلك المتعلقة بالاستيطان داخل الأراضي المحتلة، وتحديداً في الضفة الغربية. وقد تمثل الاستيطان في هذه الفترة بالعديد من العناصر الجغرافية والسياسية التي تجلت بإعطاء الأرض قيمة عظمى في السياسة الإسرائيلية، على اعتبــار أنهــا تشــكل ســاحة المواجهة السياسية[148]. لذلك تمثلت الأهداف السياسية في السعي السريع نحــو الســيطرة علــى الأرض داخل الضفة الغربية، والأراضي المحتلة الأخرى، وزرعهــا بالمشــاريع الاســتيطانية وإنشاء حزام أمني جديد خلف حدود 1967[149]. تم طرح العديد من المشاريع الاستيطانية مثــل مشروع وزارة الدفاع ومشروع دروبلس ومشروع تطوير القدس الكبرى لســنة 2010 الــخ[150] وقد تولى أرييل شارون الذي تسلم وزارة الزراعة الإسرائيلية ســنة 1977، تنفيــذ الأهــداف الإستراتيجية. لذا فقد ترأس اللجنة الوزارية العليا لشؤون الاستيطان، ولهــذا أصــبح شــارون الشخصية الأولى في رسم وتنفيذ المشاريع الاستيطانية. كانت باكورة أعماله في هذا المجال مــا سمي بمشروع شارون: وهي خطة استيطانية تمتد على عشرين سنة، وســأقوم بتوضــيح هــذه الخطة لإعطاء صورة أوضح عن الاستيطان في عهد الليكود.

---

[148] ايفرات, اليشع. مرجع سابق. ص 13.
[149] المصدر السابق. ص 15.
[150] الاسدي، عبده. مرجع سابق.

3:3:2 خطط وأفكار شارون الاستيطانية

أبرز ما طرح شارون من أفكار حول المشاريع الاستيطانية، هو إقامة مستوطنات في خطين متوازيين تربط بينهما شبكة واسعة من الطرق الطولية والعرضية. الخط الأول يقع داخل الخط الأخضر في الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948. الخط الثاني وهو الشرقي ويمتد من أقصى الشمال حتى أقصى الجنوب مروراً بالضفة الغربية. يدعو شارون في مشروعه إلى إقامة ثلاث مراكز مدن كبيرة على مداخل مدينة القدس لتشكل إطار يحيط بالمدينة من مختلف الجهات. كما تتضمن الخطة إقامة كتل استيطانية إسرائيلية في شمال الضفة الغربية تكون بمثابة حاجز بين التجمعات السكانية العربية في الضفة الغربية والتجمعات السكانية العربية داخل الخط الأخضر[151]. تهدف هذه الكتل الاستيطانية إلى عزل التجمعات الفلسطينية في الضفة الغربية عن التجمعات الفلسطينية المقابلة لها في فلسطين المحتلة سنة 1948. إضافة إلى تدعيم المنطقة الإسرائيلية الساحلية الضيقة بالتواجد اليهودي. كذلك عزل التجمعات الفلسطينية في الضفة عن بعضها بعضا وتطويقها بالتواجد اليهودي[152]. أما في منطقة الجنوب فإن مشروع شارون يقترح إقامة مجموعة من المستوطنات الإسرائيلية حول مدينة الخليل يمكن ربطها بمستوطنة كريات أربع. تهدف هذه المستوطنات منع الفلسطينيين من السيطرة على الأراضي في تلك المنطقة وإبقائها مجالا للتوسع الاستيطاني[153].

سنة 1979 تم نشر تفاصيل متعلقة بخطة شارون. تبين من ذلك أن الخطة تهدف إلى إقامة مدن يهودية شرق الخط الأخضر لتشكل حاجزاً يفصل المدن العربية في الضفة الغربية عن بعضها بعضا, وعن إسرائيل أيضا. كما تبين أن مواقع هذه المستوطنات تتمثل في الكتل الاستيطانية غرب مدينة نابلس وجنوبها, مثل قدوميم واريئيل وبرخاه. بالإضافة إلى المستوطنات الجنوبية في منطقتي الخليل وبيت لحم. كما تبين أن خطة شارون تتضمن إنشاء مناطق أمنية واسعة,

---

[151] المرجع السابق. ص 142.
[152] أبو عرفة, عبد الرحمن: **الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية**. القدس، وكالة أبو عرفة للصحافة والنشر. 1981. ص 241.
[153] الاسدي، عبده. مرجع السابق. ص 142.

تشتمل على معسكرات للجيش، ومناطق تدريبات عسكرية[154] . عندما أصبح شارون وزيرا للإسكان سنة 1983 قدم خطة للفصل مع الفلسطينيين. تضمنت هذه الخطة السيطرة على أجزاء من الضفة الغربية وضمها إلى إسرائيل. سنة 1990 قدم شارون خطة أخرى سميت بخطة النجوم السبعة، وكانت هذه الخطة تقتضي ببناء مشروع استيطاني يمتد على جانبي الخط الأخضر في منطقة المثلث, بطول 80 كم ليمتد من منطقة مودعيين جنوبا إلى منطقة أم الفحم شمالاً، ثم العمل على توسيع المستوطنات المقامة ضمن هذه الخطة باتجاه الشرق داخل الضفة الغربية، وكان مخططاً أن ينتهي العمل بهذا المشروع سنة 2005، أي مع نهاية العمل في بناء الجدار, وتهدف هذه الخطة إلى زيادة عدد اليهود في تلك المنطقة, التي كانت تغلب الكثافة السكانية العربية فيها، إضافة إلى الفصل بين الفلسطينيين في مدن فلسطين 48 والفلسطينيين في مدن الضفة[155]. كانت نفس الخطة تتضمن إقامة مناطق عازلة وأحزمة أمنية شرقي الخط الأخضر، وفي مناطق الغور أيضا. من أهداف هذه الخطة أيضا قطع الطريق على أية تسوية سياسية يجري الحديث عنها من خلال خلق وقائع جديدة، تؤدي في النهاية إلى تنفيذ رؤية شارون التي طرحت فيما بعد, بالموافقة على إقامة كيان فلسطيني هزيل على 42% من أراضي الضفة الغربية فقط, وتكون هذه المساحة مقطعة الأوصال, ولا تسيطر على أهم الموارد الطبيعية كالأرض والمياه, حيث ستبقى هذه الموارد تحت سيطرة الإسرائيليين.

من المعروف أن شارون من أكثر الشخصيات الإسرائيلية التي سعت إلى خلق وقائع جديدة في الضفة الغربية لعرقلة أي حلول سياسية تؤدي إلى إقامة دولة فلسطينية والانسحاب إلى حدود الرابع من حزيران سنة 1967. كما أنه كان الموجه الأساسي لخارطة الاستيطان التي يستند إليها بناء الجدار الفاصل في هذه الأوقات[156]. ولهذا يمكن اعتبار بناء الجدار، امتداداً لمشاريع شارون الاستيطانية التي تعبر عن رؤية سياسيةٍ إستراتيجية، مفادها أن مستقبل الصراع يتقرر من خلال الوقائع على الأرض، حيث أن الأهمية للناس والأرض والمياه. لذلك سعى شارون

---

[154] أبو عرفة, عبد الرحمن. مرجع سابق. ص 141-143.
[155] المشايخ، محمد: *خطة النجوم السبع للاستيطان على جانبي الخط الأخضر*. **صامد الاقتصادي**. ع 111. ص 222-223. شباط- آذار 1998
[156] ارونسون، جيفري. مرجع سابق. ص 77.

دوماً إلى خلق وقائع على الأرض من الصعب تجاهلها والقفز عنها[157]. من المهم هنا الإشـــارة إلى أن البدء ببناء الجدار الفاصل كان في عهد الحكومة لإسرائيلية التي ترأسها شارون.

بالنسبة إلى علاقة هذه الخطط والأفكار بالجدار الفاصل, نلاحظ أن مسار الجدار وتعرجه عميقا في أراضي الضفة الغربية, لم يكن ليتم لولا ضرورة قيامه بضم التكتلات الاستيطانية الكبـــرى التي تقع في قلب الضفة الغربية وأطرافها, والتي أقيمت في سياق خطط شارون هذه التي بينـــت أهم ملامحها.

4:3:2 الخطط الإسرائيلية التي تتضمن وضع حواجز مادية للفصل عن الفلسطينيين

الخطط السابقة التي ذكرتها وبينت ملامحها كانت تمثل أهم الخطط الاستيطانية للقوى الرئيســـة في إسرائيل التي أثرت على بناء الجدار الفاصل الحالي بالشكل الذي تم عليه. وهنـــاك خطـــط ومشاريع أخرى طرحت وكانت تتضمن وضع حواجز مادية للفصل مع الفلسطينيين. أرى مـــن الضروري وضع بعضها كدليل على أن بناء الجدار لم يكن بقرار لحظي نتيجة رد فعـــل علـــى أوضاع مستجدة, وإنما كان هناك خطط وتصورات مسبقة لبناء حواجز للفصل عن الفلســـطينيين ومحاصرتهم قبل الشروع ببناء الجدار الذي بدأت إسرائيل بنائه سنة2002.

أ/ خطة هألوفيم

تقدم بهذه الخطة حزب العمل سنة 1988 وكانت إحدى أطروحاته الانتخابية. تقوم الخطة على إقامة جدار يفصل بين الفلسطينيين والإسرائيليين إلا انه لم يتم تطبيقها أو إعادة البحث بها حتـــى سنة 1995، عندما كلف إسحاق رابين القيادة الأمنية في إسرائيل بوضع خطط ملائمة لتنفيـــذها. كان ذلك محاولة إسرائيل للحد من العمليات العسكرية التي قامـــت بهـــا المقاومـــة الفلســـطينية الإسلامية داخل إسرائيل آنذاك ولم يتم تنفيذ الخطة بسبب ارتفاع تكاليف تنفيذها[158].

[157] غانم، محمد السيد. مصدر سابق.
[158] باروت، محمد جمال: إعادة بناء أفكار اليسار بقفاز اليمين، موقع على الانترنت WWW.HEM.BREDBAND.NET

ب/ خطة موشيه شاحال

سنة 1994 قام وزير الشرطة الإسرائيلي آنذاك موشيه شاحال، إضافة إلى المفتش العام للشرطة رافي بيلد، بتقديم مشروع إلى الحكومة الإسرائيلية يتضمن بناء جدار يفصل الفلسطينيين عن الإسرائيليين. كان ذلك على إثر موجة عمليات إستشهادية قام بها الفلسطينيون ضد أهداف إسرائيلية[159]. لكن المشروع لم ينفذ إلا بعد عدة سنوات، وكان السبب المباشر لبنائه اشتداد ضربات الاستشهاديين الفلسطينيين ضد الأهداف الإسرائيلية في عمق إسرائيل، ضمن رد المقاومة الفلسطينية على القمع الإسرائيلي الذي حدث في بداية انتفاضة الأقصى المبارك.

ج/ خطة متساديم

قدم هذه الخطة افيغدور كهلاني وزير الأمن الداخلي في حكومة نتنياهو سنة 1996. تقوم هذه الخطة على إقامة سياج عازل مع عوائق مختلفة بين الفلسطينيين والإسرائيليين. واجهت هذه الخطة معارضة في حزب الليكود لأسباب أيديولوجية وسياسية, لهذا لم يتم تنفيذها. المعارضون لها اعتبروا أن إقامة سياج سيؤدي إلى رسم حدود سياسية مما قد يعني التخلي مستقبلا عن أجزاء كبيرة من الاراضي, في حين أن بعض مؤيدي هذه الخطة اعتبروا أن الحدود التي يرسمها السياج والعوائق ما هي إلا حدود أمنية وليست سياسية[160].

د/ خطة باراك " حدود تتنفس"

أعد هذه الخطة في الأصل كل من شاؤول أريئيلي وموتي كريستيل. تبناها باراك إثر اندلاع انتفاضة الأقصى المباركة عندما كان رئيسا للوزراء, وقام بإجراء بعض التعديلات عليها. تقوم هذه الخطة على بناء جدران مزودة بوسائل الكترونية. تتخلل هذه الجدران ثلاث معابر رئيسة للسيارات, إضافة إلى معابر للمشاة في كل من مناطق جنين وقلقيلية والخليل. كانت الخطة تفترض أن يتم التنفيذ على مرحلتين، بحيث تطبق المرحلة الأولى بصورة فورية، يتم خلالها

---

[159] *محللون إسرائيليون: إقامة الجدار الفاصل يمثل انتصارا للحركة الوطنية الفلسطينية*. www.aljazeera.nwt

[160] باروت، محمد جمال. مرجع سابق.

تغطية الاحتياجات الأمنية بحيث تصبح الجدران حدود فاصلة قابلة للحماية. في هذه المرحلة يتم إقامة قطاعين أمنيين أحدهما في الغرب والآخر في الشرق, مع إنشاء طرق تصل بينهما, وفي هذه المرحلة يتم تهيئة سكان المستوطنات النائية وتعويدهم على تلقي الخدمات من خلال التجمعات الاستيطانية الكبيرة, تمهيدا لنقلهم إليها نهائيا. المرحلة الثانية يتم خلالها إخلاء المستوطنات النائية وتحويل سكانها إلى التجمعات الاستيطانية الكبرى, وتفرض الحدود التي تقام بواسطة الجدران كحدود نهائية مع إبقاء 60% – 80% من مساحة الضفة والقطاع للفلسطينيين[161].

5:3:2/ الاستيطان يحقق إجماع القوى الإسرائيلية

شكل الاستيطان إستراتيجية ثابتة في السياسة الإسرائيلية على مدى وجود إسرائيل في هذا العالم ولغاية الآن، ولم يقتصر تنفيذ هذه السياسة أو الإستراتيجية على حزب من الأحزاب، أو اتجاه من الاتجاهات داخل الكيان الإسرائيلي. بل حققت هذه الإستراتيجية إجماعا داخل إسرائيل بغض النظر عن المستوى الذي ذهبت إليه كل فئة أو حزب في نظرته إلى الاستيطان وحدوده ومنطلقاته. عموما كان الاتجاهان الرئيسيان داخل إسرائيل متفقين على أهمية وضرورة هذه السياسة, لضمان بقاء إسرائيل وسيطرتها على الأراضي المحتلة. لهذا لم يختلفان إلا في الأسلوب فقط، أما من حيث الجوهر والنتائج، فهي واحدة، ومكملة لبعضها بعضاً. وقد تم الاتفاق بين هذين الاتجاهين الرئيسين على وثيقة جسدت الأسس التي يجب أن تحكم السياسة الإسرائيلية المتعلقة بالاستيطان داخل الضفة الغربية. عرفت هذه الوثيقة باسم وثيقة"ايتان، بيلين" .

6:3:2/ وثيقة إيتان بيلن بين حزبي العمل والليكود

تتمثل أهم مضامين هذه الوثيقة, في أن حكومة إسرائيل لن تتعهد بإزالة المستوطنات اليهودية المقامة على أراض الضفة الغربية في أي اتفاق توقعه. ولن يتم المساس بحق المستوطنين في الاحتفاظ بجنسيتهم الإسرائيلية بأي شكل من الأشكال. ولن يكون هناك عودة إلى حدود الرابع

---

[161] حبيب، هاني. *خطة الفصل: جدار من الأوهام الشائكة*. ص 2. WWW.SIS.GOV.PS

من حزيران سنة 1967، حيث ستبقى معظم المستوطنات تحت السيادة الإسرائيلية، مع احتفاظ هذه المستوطنات بالتواصل الإقليمي فيما بينها، وكذلك التواصل الإقليمي مع إسرائيل. بالنسبة للمستوطنات التي أقيمت خارج المناطق المنوي ضمها إلى إسرائيل، فانه يتم وضع ترتيبات خاصة بها، بحيث يحتفظ المستوطنون المقيمون فيها بجنسيتهم الإسرائيلية، وارتباطهم كأفراد أو جماعات بإسرائيل[162]. إضافة إلى ذلك يتم اعتبار منطقة غور الأردن بمستوطناتها ومواقع الجيش المنتشرة فيها, منطقة أمنية لحماية إسرائيل، وتكون تحت السيادة الإسرائيلية[163].

الوثيقة المذكورة شكلت أساساً للتفاهم بين أكبر اتجاهين في إسرائيل حول السياسة الإستيطانية، ومستقبل المستوطنات المقامة على أراضي الضفة الغربية، وبينت بوضوح أن هنالك أفكاراً وخطط مسبقة لدى القوى السياسية الكبرى في إسرائيل، لضم أراض واسعة من الضفة الغربية لإسرائيل، وذلك تماشيا وانسجاما مع الخطط الإستيطانية التي تم تنفيذها في الضفة الغربية، وتلك المنوي توسيعها وإنشاؤها خلال فترات لاحقة.

وهذا يؤكد أن بناء الجدار الفاصل بالشكل الذي تم فيه جاء ليخدم الأفكار والسياسات الإستيطانية الواردة في هذه الوثيقة. كما يؤكد حقيقة ما ذهبت إليه سابقاً بأن الغالبية العظمى من القوى السياسية والدينية الإسرائيلية، تتفق على أهمية وضرورة الإستيطان. ويكاد ينحصر الخلاف بين هذه القوى فيما يتعلق بموضوع الإستيطان، في أسلوب تنفيذ السياسات الإستيطانية، والكيفية التي تعالج بها تحديات هذه السياسة. كذلك في المنطلقات التي تدفع كل جهة للقيام بالأنشطة الاستيطانية، الأمر الذي اثر أحيانا على أولويات توزيع الخارطة الاستيطانية في الضفة الغربية[164].

---

[162] الحسيني، مصطفى: *الاستيطان والقوى السياسية الإسرائيلية*. **صامد الاقتصادي**. ع 12. ص 13. نيسان-حزيران 1998 .
[163] بدوان، علي: *أخطبوط الاستيطان- معضلة التسوية*. **صامد الاقتصادي**. ع 112. ص 37. نيسان- حزيران سنة 1998.
[164] المرجع السابق. ص 12، 13.

7:3:2 اختلافات الحزبين حول معالجة مبادرات وقف الاستيطان والخارطة الاستيطانية

اليمين الإسرائيلي وعلى رأسه حزب الليكود, كان يعالج أي مبادرات سياسية تطرح لوقف الاستيطان بالرفض الحاد والمباشر. فعندما حاول الرئيس الأمريكي جورج بوش " الأب" سنة 1991، الضغط على إسرائيل لتجميد الاستيطان، تم نعته في إسرائيل بأقسى العبارات. ووصل الأمر إلى مهاجمة موكب وزير الخارجية الأمريكي آنذاك من قبل المتظاهرين اليهود لدى زيارته لإسرائيل[165]. بينما نجد أن رابين، عالج هذه المسالة بالالتفاف على الموقف الأمريكي الذي أوقف ضمانات قروض لإسرائيل بقيمة عشرة مليارات دولار. حيث أعلن رابين عن تجميد الاستيطان. إلا أن ذلك لم يكن ناجماً عن تحول استراتيجي في السياسة الإسرائيلية تجاه الاستيطان، بل كان مجرد إجراء يهدف إلى الحصول على القروض، ثم بعد ذلك يتم مواصلة المشاريع الاستيطانية[166].

بالنسبة إلى توزيع الخارطة الإستيطانية، فقد رأينا كيف كان حزب العمل يميل إلى الاستيطان في المناطق ذات الكثافة السكانية القليلة، والأماكن الحدودية مثل مناطق الأغوار. إضافة إلى أنه كان يميز بين المستوطنات. فمنها ما اعتبرها ذات جدوى أمنية لا يمكن التنازل عنها، وكان توزيعها يعبر عن رؤيته لخارطة الاستيطان. وهناك مستوطنات اعتبرها ذات جدوى سياسية تتيح لإسرائيل المساومة عند الحديث عن أية تسويات سياسية للصراع وهناك مستوطنات اعتبر إقامتها حق ديني كمستوطنات القدس والخليل. بينما نجد أن الإتجاه اليميني وعلى رأسه الليكود, كان يميل إلى الاستيطان في أعماق الضفة الغربية. دعم في هذا المجال الحركات الاستيطانية المتطرفة التي كانت تركز على الاستيطان في مرتفعات الضفة الغربية, وبالقرب من التجمعات السكانية العربية[167]. وكان هذا الاتجاه ينظر إلى الضفة الغربية على أنها جزء من أرض إسرائيل الكبرى لذلك من حق اليهود الإستيطان بها أينما أرادوا كما أسلفت سابقا. كما استخدم الاستيطان كأداة لرسم حدود سياسية مستقبلية، حيث كان الاعتقاد السائد عند الإسرائيليين قبل

---

[165] المرجع السابق. ص 15.
[166] المرجع السابق. ص17.
[167] اليشع، أفرات. مصدر سابق. ص 65-66.

عام 1967، أن خط الهدنة لا يشكل حدودا يمكن الدفاع عنها، وبالتالي فانه لا يضمن أمن إسرائيل, لهذا أخذت هذه النظرية بالحسبان عند تنفيذ المشاريع الإستيطانية على اعتبار انه لا يمكن الانسحاب من مناطق مأهولة بكثافة يهودية كبيرة في إطار المساومات السياسية. كذلك كيّف الإسرائيليون ادعاء قانوني يقول أن من حق الدولة الاحتفاظ بمناطق استولت عليها في حرب دفاعية[168]. تعتبر فكرة إنشاء الجدران الفاصلة والمناطق العازلة من الأسس الراسخة في العقلية اليهودية. مستمدةً من" نظرية الحائط الحديدي" التي تناولها جابوتنسكي أحد أركان الصهيونية العالمية, والأب الروحي لليمين الصهيوني[169]. وقد يكون من المفارقات الغريبة, أن يبدأ العمل في بناء الجدار في ظل حكومة إسرائيلية تحوي اتجاهيّ الإستراتيجية الاستيطانية في إسرائيل، حيث كانت تتشكل الحكومة آنذاك من أكبر حزبين إسرائيليين وهما العمل والليكود اللذان يقودان الاتجاهين الرئيسين بالنسبة للمشروع الاستيطاني. كما شاركاهما الحكومة أحزاب أخرى ضمن هذين الاتجاهين.

لم يأت بناء الجدار الفاصل نتيجة رد فعل لحظيّ على أحداث أمنية كما حاولت إسرائيل أن تظهر لتبرر بنائها له، وإن كانت الأسباب الأمنية إحدى دوافع بناء هذا الجدار. لم تكن مخططات الفصل المطروحة تتشابه كلياً مع الخطة التي تنفذ الآن ببناء الجدار، لكنها تتشابه معها في الجوهر من حيث ضم الأراضي والاستيلاء على المقدرات, وإقامة حواجز حدودية جديدة غير التي كانت قائمة سنة 1967[170].

رغم قيام إسرائيل باحتلال مدن الضفة مجدداً في محاولة منها للقضاء على المقاومة، إلا أنها لم تفلح في ذلك. وبمجرد انحسار حدة الهجمة الإسرائيلية على المدن الفلسطينية، توالت ضربات الفدائيين الفلسطينيين داخل العمق الإسرائيلي، بعمليات استشهادية، وخلال الشهرين اللذان أعقبا إعادة احتلال الضفة الغربية، أوقعت المقاومة الفلسطينية حوالي مئة قتيل إسرائيلي. عندها كان لابد لشارون من الانصياع لمطالبة الإسرائيليين بإقامة الجدار, ليحميهم من ضربات المقاومة

---

[168] جازيت، شلومو: **العصا والجزرة**. مرجع سابق. ص 26.
[169] حمدي، رشا: *الدولة الفلسطينية القامة بين الجدار الأمني والمستوطنات*. **مجلة السياسة الدولية**. ع 153، تموز 2003.
[170] الرجوب، عوض: لقاء مع احمد أبو الوفا: *بناء إسرائيل للجدار* **WWW.ALJAZZERA.NET**

الفلسطينية[171]، وتم بالفعل البدء ببناء الجدار الفاصل، على الرغم من أن الفكـــر الـــديني لتكتـــل الليكود الذي كان يحكم في إسرائيل عند بدء بناء الجدار، يعتبر أن الضفة تشـــكل جـــزءاً مـــن إسرائيل الكبرى، وبالتالي فان إقامة جدار فاصل فيها ، يمكن أن يتحول إلـــى حـــدود سياســـية، ويؤدي إلى تنازل إسرائيل عن جزء من أراضيها التاريخية، حسب هذا التكتل الحزبي، وهذا إن حصل فانه ينسف الأساس الأيديولوجي لحزب الليكود.[172] رغم ذلك باشرت الحكومة الإسرائيلية التي كان يتزعمها الليكود ببناء الجدار، في إطار ما يسمى بالواقعية السياسية، التي تهدف إلـــى استيعاب المتغيرات السياسية. وقد يكون من المبكر جداً حسم مسالة قيام الدولة الفلســـطينية فـــي ظل المعطيات السياسية الدولية والإقليمية الحالية، لذا ليس من الضروري أن يكون بناء الجـــدار بالنسبة إلى شارون ينسف الأيديولوجية اليمينية, وإنما جاء لاحتواء متغيرات سياســـية وأمنيـــة، وبالتالي يبقى المجال مفتوحا أمام إسرائيل, لإحداث وقائع جديدة تجعـــل مـــن الاســـتحالة قيـــام إسرائيل بالتنازل عن أجزاء من الضفة الغربية, غير تلك التي يقطنها الفلسطينيون بكثافة كبيرة, وهذه المساحة المقطعة الأوصال, والمجردة من المقومات الضرورية, لا يمكن أن تشـــكل بنـــاء سياسيا قابل للاستمرار والحياة.

---

[171] الرجوب، عوض، لقاء مع خليل التفكجي حول الجدار الفاصل 2004/6/24.**WWW. ALJAZZERA.NET**

[172] محللون إسرائيليون: *إقامة الجدار يمثل انتصار الحركة الوطنية الفلسطينية*. **WWW. ALJAZZERA.NET**

الفصل الثالث

تأثير الجدار الفاصل على الأرض والسكان والمياه في الضفة الغربية

أصبح من المؤكد أن الجدار الفاصل يترك آثاراً سلبية كبيرة على أهم مقومات حياة الإنسان في الضفة الغربية, حيث يؤدي بنائه إلى اقتطاع أجزاء كبيرة من أراضيها، وإغلاقها أمام الفلسطينيين رغم امتلاكهم لها، ورغم ما تشكل هذه الأراضي من أهمية قصوى في حياتهم، نظرا لجودتها واعتماد الكثيرين منهم في معيشتهم عليها.

إن استيلاء إسرائيل على أجزاء كبيرة من أراضي الضفة الغربية، وتقطيع أوصال الأجزاء المتبقية منها، وحصرها في معازل من خلال تطويقها بالجدار الفاصل, إضافة لما تقوم به من إجراءات مترافقة مع وجود هذا الجدار، يعني سيطرة إسرائيلية دائمة على كامل الضفة الغربية وسكانها الفلسطينيين.

في نفس الوقت يؤدي بناء الجدار إلى سيطرة مطلقه لإسرائيل على مختلف مصادر المياه في الضفة الغربية، وإلى منع الفلسطينيين من استخدام منشئاتهم المائية المقامة في المناطق التي يفصلها الجدار عنهم, مما يعني حرمان الفلسطينيين من أهم مقومات الحياة المتمثلة بالمياه، وبهذا تصبح حياة الفلسطينيين في الضفة الغربية مهدده من قبل الإسرائيليين في كل لحظه من حياتهم. من ناحية أخرى لا تنحصر التأثيرات السلبية على الأرض والمياه والسكان في الضفة الغربية، بل تمتد هذه التأثيرات لتشمل كافة نواحي حياه الإنسان الفلسطيني المقيم فيها. سأبين في هذا الفصل تفاصيل هذه الأمور.

المبحث الأول

تأثيرات الجدار الفاصل على الأرض في الضفة الغربية

تشكل الأرض المحور الأساسي في الصراع العربي الإسرائيلي منذ بدايات الصـــراع ولغايـــة الآن وفي المستقبل أيضا، وقد بقيت السيطرة عليها تمثـــل أهـــم أهـــداف الحركـــة الصـــهيونية وإسرائيل. وقد بينت في الفصل السابق كيف أن إسرائيل نفذت العديد من المشاريع الاســـتيطانية على سبيل تحقيق هذا الهدف في الضفة الغربية. كما بينت كيف أن الجدار الفاصل يعتبر أحـــد هذه المشاريع ومكملا لها. وهو بهذا يأتي لترسيخ نتائج الاستيطان الإسرائيلي بالســـيطرة علـــى الأراضي الفلسطينية في إطار هذا الصراع.

تشير المعطيات المتوفرة بين أيدينا أن بناء الجدار بحد ذاته يؤدي إلى اقتطاع أجزاء كبيرة من الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية، سواء تلك الأراضي التي تمت مصـــادرتها مـــن أجـــل إنشاء بنية الجدار، أو تلك التي يفصلها الجدار عن باقي الضفة الغربية ويحصرها مـــع الخـــط الأخضر. تقدر المساحة التي تقام عليها البنية الاساسية للجدار في مرحلته الأولى فقـــط وهـــي المرحلة الأقصر, بحوالي 14680 دونم, تعود إلى 51 تجمع سكاني فلسطيني[173], وهذا يعطينـــا تصور عن مدى ما سيدمر من أراض لبناء الجدار.

1:1:3 أهمية الأراضي المستهدفة بالضم بفعل الجدار الفاصل

سبق أن أوضحت في الفصل الأول من هذه الدراسة أن الضفة الغربية تقسم إلى أربعة منـــاطق طبوغرافية، وقد بينت خصائص تلك المناطق. هنا سأركز على المناطق التي يؤدي بناء الجدار إلى فصلها عن أصحابها الفلسطينيين، ويحد بشكل كبير من قدرتهم على اســـتغلالها والإســـتفادة منها تمهيدا لضمها نهائيا إلى إسرائيل. وقد قطعت إسرائيل شوطا كبيرا في إجراءات ضم تلـــك الأراضي من الناحية العملية، سواء من خلال بناء الجدار الفاصل وما يؤدي إليه من شل قـــدرة الفلسطينيين على الوصول إلى أراضيهم المحاصرة خلفه، أو من خلال الأنظمة التـــي تفرضـــها

[173] شبكه المنظمات البيئية الفلسطينية(بنجون). **أوقفوا جدار الفصل العنصري في فلسطين**. حزيران2003. ص 27 .

إسرائيل بالأوامر العسكرية المرافقة لبنائه, حيث أصدرت أمرا عسكريا يعتبر الأراضي التي يفصلها الجدار أراض مغلقة. هذا له دلالات كثيرة من أهمها تقييد حركة الفلسطينيين في تلك المناطق، وعدم السماح لهم بالإقامة فيها. وسأوضح مدلولات إغلاق هذه الأراضي بشكل مفصل، في مكان لاحق من هذه الدراسة.

نرى من خلال متابعة الخطط الإسرائيلية فيما يتعلق بموضوع بناء الجدار, أنه يؤدي إلى فصل أهم وأجود منطقتين طبوغرافيتين في الضفة الغربية بشكل كامل، من أصل أربعة مناطق. إضافة إلى أنه يفصل مساحات واسعة من المنطقتين الأخريين.

2:1:3/ أهمية الأراضي التي يفصلها القسم الغربي من الجدار

يؤدي بناء القسم الغربي من الجدار إلى فصل الغالبية العظمى من المنطقة شبه الساحلية، والتي تمتد بطول 60 كم وعرض يتراوح ما بين 2-12 كم. هذه المنطقة تضم أخصب أراضي الضفة الغربية، وأوفرها حظا في تساقط مياه الأمطار، حيث يصل معدل تساقط الأمطار عليها إلى 600 ملم سنويا[174] . كما أن هذه المناطق تحوي أكبر حوض مائي في الضفة الغربية، وهو الحوض المائي الغربي الذي سأتحدث عنه تفصيلا. نظرا لجودة هذه المنطقة وخصوبة أراضيها، فإنها تعتبر إحدى دعائم الاقتصاد الفلسطيني الذي يشكل القطاع الزراعي محوره الأساسي. واستنادا إلى تقديرات البنك الدولي فإن المساحة التي يقتطعها الجدار بقسميه الغربي والشرقي تنتج 45% من الإنتاج الزراعي الفلسطيني، ويعمل في هذه المساحه 25% من سكان الضفة الغربية. كما تقدر قيمة إنتاج كل كم مربع واحد إلى حوالي 900 ألف دولار أمريكي سنويا[175].

لإعطاء صورة أوضح عن أهمية الأراضي التي يفصلها الجدار في المنطقة شبه الساحلية, أورد بيانات وزارة التخطيط الفلسطينية التي تم الحصول عليها من قبل المختصون في نظم المعلومات الجغرافية, من خلال مقارنتهم صور الأقمار الصناعية سنة2000 مع صور التقطت سنة 2003, وكانت إحداثيات الجدار ظاهرة عليها. تظهر تلك البيانات أن مساحة الاراضي المعزولة في

---

[174] وزارة الزراعة الفلسطينية. مصدر سابق.

[175] أبو زاهر، ناديا: جدار الفصل.مخطط الضم والتوسع . 2004/2/26. ص1.WWW. ALJAZZERA.NET

المرحلة الأولى تبلغ حوالي 97.288 دونم, وفي المرحلة الثانية حوالي 827.939 دونم[176]. علما بأن هذه البيانات عرضة للتغير استنادا للمتغيرات التي تحدث على أرض الواقع عند تنفيذ المخططات, وإذا ما حصل شيء من هذا القبيل سأقوم بالتعديل وفق ما يستجد.

الجدول التالي يبين الاستخدامات المختلفة للأراضي حسب وزارة التخطيط[177]:

جدول رقم (3): استخدامات الأراضي.

غطاء واستعمالات الأراضي	المرحلة الأولى ألف دونم	المرحلة الثانية ألف دونم	المجموع ألف دونم
السطوح أو المساحات الصناعية	8.010	95.958	103.968
المناطق الزراعية	49.56	308.873	358.433
محاصيل حقلية بعلية		21.302	21.302
منطقة ري دائم	0.073		0.073
منطقة ري بالتنقيط	0.372	24.878	25.250
كروم عنب		17.102	17.102
الحمضيات	0.145	0.307	0.452
أشجار فواكه أخرى	3.729	1.841	5.570
زيتون	17.597	68.383	85.980
مناطق زراعية بعل	3.377	24.395	27.772
مناطق زراعية ريّ	4.987	12.435	17.422
مناطق ذات صبغة زراعية لاحتوائها شجيرات	19.297	138230	157527
غابات ومساحات نباتات طبيعية	39.702	388.336	428.038
غابات صنوبرية	4.000	19.264	23.2465
مراعي طبيعية	20.925	330.318	351.243

[176] وزارة التخطيط الفلسطينية. إدارة نظم المعلومات الجغرافية. 2004
[177] المرجع السابق.

أشجار وشجيرات ذات طبيعة خشبية	0.209	23.299	23.508
أراضي انتقالية بين الغابة والشجيرات البرية	14.567	6.588	21.155
رمال وأراضي رملية	0	2.189	2.189
مناطق ذات ندرة في الغطاء النباتي	0	6.677	6.677
مياه	0	0.220	0.220
غير ذلك	0	34.553	34.553
المساحة الإجمالية	97.288	827.940	925.212

وزارة التخطيط الفلسطينية. إدارة نظم المعلومات الجغرافية 2004

لا تقتصر الأراضي التي يقتطعها القسم الغربي من الجدار، على تلك الأراضي المصنفة بشبه الساحلية، بل يتعداها ليقتطع أجزاء أخرى من المنطقة الطبغرافيه الجبلية. حيث يمتد الجدار عميقا في أراضي الضفة الغربية كما رأينا في الفصل الأول، ليحقق أهدافاً أخرى غير تلك التي حققها في المنطقة الأولى. هذا ما سأُضمنه لاحقا عند الحديث عن أهداف الجدار.

الأجزاء التي يستهدفها القسم الغربي من الجدار في المنطقة الجبلية هي الأجزاء التي تم استهدافها بالسياسات الاستيطانية في أوقات سابقه، وأصبحت تشكل تكتلات استيطانية يهودية في شمال ووسط وجنوب الضفة الغربية. فالجدار يمتد عميقا في أراضي الضفة الغربية ليصل إلى مناطق سلفيت والمناطق الواقعة غرب مدينة نابلس بينها وبين مدينة قلقيلية, شمال الضفة الغربية، وذلك ليحيط بالتجمعات الاستيطانية التي أقيمت هناك، وأبرزها مستوطنه اريئيل وقدوميم وعمنوئيل وغيرها من المستوطنات المقامة إلى الشرق من قلقيلية. كما يمتد الجدار في المنطقة الجبلية، ليشكل شريطا جغرافيا في وسط الضفة الغربية. حيث يهدف بناء الجدار في هذه المنطقة إلى فصل كامل منطقه القدس عن الضفة الغربية، حيث تصل المساحة المفصولة

في منطقة القدس إلى 336كم مربع [178] كما يهدف إلى إيجاد تواصل جيوسياسي ما بين الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948 التي أقيمت عليها إسرائيل، وبين المنطقة الغورية التي تستهدفها إسرائيل بالضم من خلال بناء الجزء الشرقي من الجدار. في مناطق جنوب الضفة الغربية يمتد الجدار في محافظة الخليل ليفصل أجزاء واسعة من أراضيها، حيث يتعمق الجدار لمسافة تصل إلى عمق 20 كم في تلك المنطقة، وخاصة جنوب شرق محافظة الخليل[179]. ويؤدي الجدار في المناطق الجنوبية إلى عزل 414500 دونم من أراض محافظة الخليل, وهو ما يصل إلى 40% من أراضي المحافظة. الجدار الغربي يفصل 92500 دونم من هذه الأراضي والباقي وهي 322.000 دونم يفصلها الجدار الشرقي [180]. لا تبرز أهمية هذه الأجزاء التي تم فصلها في المناطق الجبلية من خلال الأهمية الزراعية, كما هو الحال بالنسبة للأجزاء المقتطعة في المنطقة شبه الساحلية، التي تحدثت عنها سابقا، وإنما تكمن أهميتها في تأثير الجدار من خلالها على التواصل الجغرافي لباقي مناطق الضفة الغربية، والآثار الديموغرافيه التي يسعى إليها الإسرائيليون من وراء بناء الجدار في هذه المناطق.

3:1:3/ أهمية الأراضي التي يفصلها القسم الشرقي من الجدار

القسم الشرقي من الجدار يؤدي إلى فصل كامل منطقة الغور، والتي تصل مساحتها إلى 400كم مربع. وهي المنطقة التي تقع على الطرف الشرقي للضفة الغربية، وتنحصر ما بين المرتفعات الشرقية للضفة الغربية وبين نهر الأردن بطول 70كم وعرض متفاوت الأبعاد. هذه المنطقة تمتاز بخصائص فريدة من نوعها على مستوى العالم، إذ أنها تنخفض عن مستوى سطح البحر، وتعتبر أخفض منطقة في العالم. وهذا يمنحها ميزات مناخية وزراعية وسياحية هامة تتمثل في نجاح الزراعات المبكرة ، وتنوع المحاصيل الزراعية التي يمكن زراعتها فيها، نظراً لدفئها في فصل الشتاء وحرارتها في فصل الصيف. هذا يكسب المحاصيل التي تنتجها فرصاً تنافسية في الأسواق المحلية والمجاورة أيضا. كما تمتاز هذه المنطقة بتوفر المياه الجوفية في باطنها مما

---

[178] دائرة شؤون المفاوضات. **النشاطات الإسرائيلية المتعلق بالجدار الفاصل منذ أن تقدمت الجمعية العامة للأمم المتحدة بطلب المشورة من محكمة العدل الدولية بشان الجدار** 2004/2/19. ص4.

[179] مركز أبحاث الأرض. **خطه جدار العزل العنصري في محافظة الخليل**. آذار 2004 . ص7.

[180] المصدر السابق. ص 7.

يزيد من قيمتها الزراعية، حيث يمكن زراعة نفس الأرض بأكثر من محصول واحد في السنة نظراً لميزاتها المناخية، وتوفر مياه الري لمحاصيلها الزراعية[181]. كذلك تمتاز هذه المنطقة بالنسبة لإسرائيل، بقلة المواطنين الفلسطينيين الذين يقيمون بها إذا قورنت بالمناطق الأخرى في الضفة الغربية. إضافة إلى أنها تعتبر منطقة حدودية مع الأردن. لهذا فقد شكل هدف السيطرة عليها وضمها إلى إسرائيل قاسما مشتركا لأبرز الأحزاب والقوى السياسية في إسرائيل على مدى سنوات الاحتلال. وقد جاء بناء الجدار ليخلق واقعا عمليا جديدا، يؤدي إلى تحقيق هذا الهدف بشكل نهائي، بحيث يستحيل بعد ذلك تجاهل هذه الوقائع الجديدة في أي حل سياسي للصراع العربي الإسرائيلي.

إن بناء الجدار يفتح المجال واسعا أمام استكمال المخططات الاستيطانية الإسرائيلية، التي تتجه لجعل هذه المنطقة، منطقة جذب استيطاني من خلال إقامة مشاريع تطويرية مختلفة فيها، الأمر الذي سيؤدي إلى تزايد أعداد المستوطنين اليهود المقيمين بها، وبهذا تستكمل آخر حلقات السيطرة الفعلية، على هذه المنطقة الهامة جداً.

مثلما لم يتم تحديد مسار القسم الغربي من الجدار لعزل منطقة طبوغرافية محددة، وإنما يتعرج في مساره حسب الأهداف العديدة التي أقيم من أجلها، فإن القسم الشرقي منه أيضا لم يتم تحديد مساره لفصل المنطقة الغورية فقط، بل امتد ليشمل مساحات واسعة من أراضي المرتفعات الشرقية، ومرتفعات جبل الخليل، وخاصة جنوب شرقي محافظة الخليل. إذ أن المساحة التي يقتطعها الجزء الشرقي في محافظة الخليل أكبر من تلك التي يقتطعها الجزء الغربي. وهذه المناطق تمتاز بأهميتها للفلسطينيين كونها تشكل العمق الإقليمي لدولتهم المنشودة، والامتداد الطبيعي لتوسع أنشطتهم الحياتية المختلفة صناعياً وزراعياً وسكانيا, الخ. لذا فإن اقتطاعها يؤدي إلى بقاء الفلسطينيين محصورين في معازل محاصرة بالجدار[182]. وهذا له انعكاسات خطيرة على مجمل الوضع الفلسطيني وإمكانيات تطوره وليس تطويره فحسب.

---

[181] وزارة الزراعة الفلسطينية. **جدار الضم والتوسع والفصل العنصري**. ص 3.
[182] مركز أبحاث الأرض. مرجع سابق/ ص7.

4:1:3/ المساحات التي يقتطعها الجدار من أراضي الضفة الغربية

بالرغم أن هناك أطرافاً فلسطينية وغير فلسطينية عديدة تناولت موضوع بناء الجدار الفاصل، وحاولت تحديد وتقدير المساحات التي يقتطعها من أراضي الضفة الغربية بشكل دقيق, إلا أنه ظهرت أرقام ومعطيات غير متطابقة. فمثلما تعددت الأرقام والمعطيات التي حاولت تبيان طول الجدار وأبعاده المختلفة، فقد تعددت أيضا الأرقام والمعطيات التي تناولت مساحات الأراضي التي يفصلها الجدار عن الضفة الغربية تبعا لتعدد المصادر التي تابعت موضوع بناء هذا الجدار. يعود السبب في ذلك إلى حرص الجهات الإسرائيلية الرسمية على عدم الإفصاح عن البيانات المتعلقة بذلك. وقيامها بوضع العراقيل أمام الجهات غير الرسمية لمنعها من الإفصاح عن البيانات التي تحصل عليها. إضافة إلى أنها لم تقم بنشر خططها حول بناء الجدار بشكل نهائي ومتكامل، بل كانت تفصح عن ذلك بشكل جزئي، مما يصعب عملية جمع الحقائق وتبويبها على الجهات المعنية بهذا الأمر. كما أن إسرائيل منحت صلاحيات للقيادات العسكرية في الضفة الغربية، وللمقاولين الذين يقومون بتنفيذ بناء الجدار الفاصل، وللخبراء المشرفين عليهم تمكنهم من تغيير مسار الجدار ميدانياً، لكن بما يتماشى مع الأهداف المرسومة من قبل المستوى السياسي. وقد أدى هذا إلى وجود اختلافات، مابين الخرائط التي صادقت عليها الحكومة الإسرائيلية وبين ما تم تنفيذه فعلا على ارض الواقع. لهذا فإني سأقوم بإيراد مختلف الأرقام والمعطيات التي حاولت أن تقدم تقديرات دقيقةٍ عن مساحات الأراضي التي يفصلها الجدار عن الضفة الغربية. الملحق رقم (14) يبين المناطق التي يستهدفها الجدار بالفصل عن الضفة.

في المسح الذي قام به الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أظهر أن مساحة الأراضي التي فصلت ببناء المرحلة الأولى من الجدار الفاصل تبلغ 164.780 دونم، وهي تلك التي تمتد من قرية زبوبا في شمال الضفة الغربية، ولغاية قرية مسحه جنوب مدينة قلقيلية، هذه المساحة تعادل 3% من مساحة الضفة الغربية وتعود إلى 76 تجمع سكاني فلسطيني[183]. أما دائرة شؤون

[183] الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. المعلومات الجغرافية سنة 2003.

المفاوضات فذكرت أن المساحة التي يفصلها الجدار في نفس المنطقة تبلغ 107كم مربع وهـذا يعادل 1.9% من مساحة الضفة الغربية[184]. مركز بتسيلم الإسرائيلي قدر المساحة المحصـورة في المرحلة الأولى بنحو 96.000 دونم وهي ما تعادل 1.7% من مساحة الضـفة الغربيـة[185]. هناك من يرى أن هذا الرقم غير دقيق. في دراسة أعدها معهد الدراسات التطبيقيـة " أريـج"، باستخدام أسلوب نظم المعلومات الجغرافية وصور الأقمار الصناعية، ذكر أن مسـاحة الأرض التي تم فصلها من خلال بناء المرحلة الأولى في الجدار تبلغ 224 ألف دونم. وزارة التخطـيط من جهتها قدمت رقما مختلفا لما يؤدي إليه بناء المرحلة الأولى مـن الجـدار, حيـث قـدرت المساحة المقتطعة بحوالي 97.288 دونم. وقد وصلت إلى هذه النتيجة من خلال أسـلوب نظـم المعلومات الجغرافية أيضا، حيث تمـت مقارنـة الصـور التـي التقطهـا القمـر الصـناعي سبوت (spot) في ربيع سنة 2000، مع صور أخرى التقطها نفس القمر الصناعي في خريف 2003.

دائرة شؤون المفاوضات تقول في نشراتها أنه في حالة الانتهاء من بناء الجدار الفاصل بقسـميه الغربي والشرقي، فإنه سيؤدي إلى اقتطاع حوالي 43% من أراضي الضفة الغربية. وسـتكون باقي أراضي الضفة محصورة بالجدار, وفي نفس الوقت ستكون مقطعة الأوصال وليست علـى تواصل إقليمي[186]. معهد الدراسات التطبيقية أريج يقدر المساحة التي يؤدي بناء الجدار بقسـميه الشرقي والغربي إلى فصلها عن الضفة الغربية بنحو 1.61 مليون دونـم، وهـو مـا يسـاوي 48.4% من مساحة الضفة[187]. أما مجموعة الرقابة الفلسطينية في دائرة شـؤون المفاوضـات, فإنها ذكرت في نشراتها أن المساحة التي يفصلها الجدار بقسميه تصل إلى 43% مـن مسـاحة الضفة الغربية[188], وحددت أن القسم الغربي يفصل 16% من مساحة الضفة، وهـذا يسـاوي

---

[184] دائرة شؤون المفاوضات، مجموعة الرقابة الفلسطينية. **النشاطات الإسرائيلية المرتبطة بالجدار العازل**.2003/11/21. ص 5.

[185] مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة. **الجدار الفاصل: النظام الجديد في منطقة التماس**. ص 1.

[186] دائرة شؤون المفاوضات. مرجع سابق. ص 4.

[187] معهد الدراسات التطبيقية أريج. 2003.

[188] دائرة شؤون المفاوضات. مرجع سابق. ص 4.

900كم مربع. هذه المساحة لا تشمل الجزء الذي يفصله الجدار في منطقة القدس والذي يبلغ 336 كم مربع. أما القسم الشرقي فانه سيؤدي إلى فصل 1400كم مربع[189].

بتسيلم تقول أن القسم الغربي من الجدار يفصل 11.6% من الضفة الغربية, وهذا لا يشمل منطقة القدس ومستوطناتها. لذا تضاف إلى تلك المساحة, مساحة منطقة القدس ومستوطناتها التي تبلغ 1.3% من مساحة الضفة الغربية[190]. مصادر وزارة الدفاع الإسرائيلية بينت أنه يتم عزل 838 كم مربع بواسطة الجدار الغربي، وهو ما يعادل14.3% من مساحة الضفة الغربية. كما يتم عزل 205كم مربع بين الجدار الرئيسي والثانوي الذي أوضحته في الفصل الأول, وهي ما تعادل 3.5% من مساحة الضفة. كما سيتم عزل مساحة 10كم مربع غرب الجدار، وهي عبارة عن ستة تجمعات سكانية فلسطينية يغلفها الجدار بالكامل. كما سيتم إغلاق ستة تجمعات أخرى مع إعطائها منفذ على الجهة الشرقية من القسم الغربي من الجدار، وتبلغ مساحتها 20كم مربع. في تقرير صادر عن الأمم المتحدة ذكر أن القسم الغربي من الجدار يؤدي إلى فصل 14.5% من مساحة الضفة الغربية. وهو ما يعادل 850 كم مربعا. هذه المساحة لا تشمل مساحة القدس ومستوطناتها التي يفصلها القسم الغربي من الجدار[191].

بعض المصادر قدرت المساحة الكلية التي يقتطعها الجدار بقسميه الشرقي والغربي ما بين 43% – 52% من مساحة الضفة الغربية[192]. مصدر آخر أورد أن المساحة التي ستفصل تبلغ 45% [193]. في دراسة قدمها باحثان فلسطينيان، ذكرا أن المساحة المستهدفة بالعزل تبلغ 42.5% من مساحة الضفة الغربية. حيث تبلغ المساحة التي يفصلها القسم الغربي 1248كم مربع تقريبا، تعادل 21.3%من المساحة الإجمالية للضفة. أما القسم الشرقي من الجدار يفصل 1242كم مربعا أي 21.2% من مساحة الضفة[194].

---

189 المرجع السابق . ص 5.
190 بتسليم. **الجدار الفاصل خارطة الجدار الجديدة وأبعادها.** ص3.
191 ناديه أبو زاهر. مصدر سابق.
192 عوده، يونس: *جدار الفصل العنصري يقطع أوصال فلسطين*, **موقع www.google.net**، حزيران 2004
193 الدجاني، فاتنة, وحمد, سائدة . **صحيفة الحياة**. لندن. *الجدار الفاصل: النكبة الثالثة للفلسطينيين*. 2004/2/23
194 د.سليمان, نائل, وإياد أبو ردينه. **السياسات والمخططات الإسرائيلية للعزل والاستيطان في الاراضي الفلسطينية**. ص 8-7

دائرة شؤون المفاوضات تؤكد أن الجدار بقسميه يصادر 43.5% من أراضي الضفة الغربيـــة، وإن الإستراتيجية الإسرائيلية بشان بناء الجدار تقوم على ضم أكبر مساحة ممكنة مـــن الأرض مع أقل عدد من المواطنين الفلسطينيين[195]. مركز أبحاث الأرض الفلسطينية ذكر فـــي إحـــدى نشراته عن الجدار أنه يؤدي إلى فصل 45.3% من مساحة الضفة الغربية، حيث يؤدي القســـم الغربي منه إلى فصل 21.9% بينما يؤدي القسم الشرقي إلى فصـــل 23.4% منهـــا[196]. نفـــس المصدر ذكر في نشرة أخرى عن الموضوع أن الجدار يؤدي إلى فصل ما يقرب من 50% من مساحة الضفة الغربية[197].

تتبعي للجزئية التي تتعلق بمساحات الأراضي الفلسطينية التي يقتطعها الجدار الفاصل عن بقيـــة الضفة الغربية ويفصلها عنها، يظهر أن هناك تبايناً واضحاً مابين ما تورده المصادر المختلفـــة من أرقام. هذا يشير إلى عدم وجود دقة في بعض الأرقام التي ذكرت, بل أن بعض المصـــادر ذكرت أكثر من رقم مختلف عن نفس الجزئية في نشراتها المختلفة، ولم تذكر ســـبب اخـــتلاف تقديراتها. أكثر التباين ظهر في المصادر العربية، وربما يعود ذلك إلى اعتماد هـــذه المصـــادر على المصادر الإسرائيلية، خاصة الرسمية منها والتي كانت تتعمد التضليل بهذا الشأن. كما أظن أن بعض المصادر الفلسطينية كانت تضع هامشاً واسعاً نسبياً للصواب والخطأ يصل ما بين 3% إلى 5%, وأعتقد أن هذا كثير جدا قياسا مع حجم المساحة التي تمثلها هذه النسبة. وأعتقد أيضـــا أن النسب التي كانت تتناولها منظمة التحرير الفلسطينية من خلال دائرة شؤون المفاوضات هي الأقرب للدقة. لهذا فإني أرجح أن المساحة التي يقتطعها الجدار بقسميه الغربي والشرقي تتراوح ما بين 43% – 45% من مساحة الضفة الغربية. ترجيحي هذا يعود إلى أن معظـــم المصـــادر ذكرت أرقاما متطابقة أو قريبه جدا من هاتين النسبتين، كما أنهما قريبتان عن المتوســـط بـــين مختلف الأرقام.

---

[195] دائرة شؤون المفاوضات، م.ت.ف. **حقائق عن الجدار**. آذار-نيسان. ص 13.

[196] مركز أبحاث الأرض. **جدار العزل العنصري حول شمال غرب القدس عدوان توسعي استعماري جديد**. كانون أول/2003. ص 1

[197] مركز أبحاث الأرض، حملة مقاومة جدار الفصل العنصري. **الجدار: حقائق وأرقام** . ص1.

5:1:3 أثر الجدار الفاصل على التواصل الإقليمي والسكاني في الضفة الغربية

يشكل الإنسان والأرض أهم مقومين من مقومات إنشاء كيان سياسي يتمثل في بناء دولة مستقلة, وقد بينت ذلك في معرض توضيحي لمفهوم الدولة في الفصل الأول، ولا يمكن تصور قيام دولة دون وجود هذين المقومين. فالأرض تشكل القاعدة الأساسية التي يتفاعل عليها العنصر الآخر المتمثل في السكان الذين يعيشون عليها في مسعى منهم لتطوير أنفسهم, وتنمية مختلف جوانب حياتهم. وقد لاحظت من خلال دراستي لموضوع بناء الجدار على أراضي الضفة الغربية أنه يؤثر سلبا وبشكل كبير على هذين المقومين. لا تتوقف الآثار السلبية لبناء الجدار الفاصل عند سرقة أجزاء واسعة من الأراضي الفلسطينية، وحرمان أهلها من عمارتها والاستفادة منها، ولا على الآثار التدميريه لأجزاء أخرى وما أنشئ عليها من مرافق ومزارع فلسطينية، بل تمتد الآثار الكارثية لخلق واقع جديد يؤدي إلى إحكام السيطرة الإسرائيلية على كامل الضفة الغربية، والتحكم بكافة تفاصيل حياة الإنسان الفلسطيني المقيم عليها من خلال تجزئة الأرض ومحاصرة من يعيشون عليها. هذا يعني إيجاد ظروف تكون أصعب على الفلسطينيين من تلك التي كانت قائمه طيلة سنوات الاحتلال منذ سنة1967ولغاية سنة2000.

من أهم المظاهر التي تدل على ذلك، هو ما يؤدي إليه بناء الجدار الفاصل من تقطيع لأوصال الضفة الغربية. فالجدار يقسم الضفة الغربية إلى منطقتين أمنيتين, إحداهما غربية ويفصلها القسم الغربي من الجدار، والأخرى منطقة أمنية شرقية في الأغوار. ينجم عن هذا منطقة ثالثة وهي المحصورة بين الشرق والغرب. تضم هذه المنطقة الغالبية العظمى من التجمعات السكانية الفلسطينية بما فيها جميع المدن في الضفة الغربية. ما يزيد الأمر خطورةً في هذه المنطقة هو المخططات الإسرائيلية التي تهدف إلى تقطيع أوصالها وجعلها غير متواصلةٍ من الناحية الجغرافية. يؤدي الجدار لتقسيمها إلى أربعة كتل رئيسية مفصولة عن بعضها بعضاً بواسطة ممرات عرضية، تصل ما بين المنطقتان الأمنيتان الغربية والشرقية اللتان فصلتهما إسرائيل عن الضفة بواسطة الجدار[198]. بعد ذلك تقوم إسرائيل بإنشاء مناطق عسكرية خلال تلك التكتلات

---

[198] حمدي، رشا: *الدولة الفلسطينية القادمة بين الجدار الأمني والمستوطنات*. **مجلة السياسة الدولية**. ع 153 . ص 191. تموز 2003

الرئيسة لتعزل مابين مناطق (أ). ينجم عن هذا تقسيم تلك التكتلات الفلسطينية إلى 13 معزل، وبالتالي تضمن إسرائيل عدم التواصل مابين التجمعات الفلسطينية بعضها ببعض[199].

مصدر آخر ذكر أن بناء الجدار والإجراءات التي تتبعه تؤدي إلى تقسيم الأراضي الفلسطينية إلى ثمان مناطق رئيسة مفصولة عن بعضها بعضاً. تتضمن هذه المناطق 64 منطقة صغيرة تكون معزولة عن المناطق الأخرى في الضفة الغربية بواسطة الحواجز العسكرية والإجراءات الإسرائيلية الأخرى كالبوابات وإغلاق الطرق[200]. وفي تقرير لمنظمة العفو الدولية أشار إلى أن الجدار سيؤدي إلى وجود جيوب يطوقها الجدار ويفصلها عن باقي الضفة الغربية[201].

هذا الواقع الجديد الذي أقامته إسرائيل ببناء الجدار، وإنشاء الممرات والمناطق العازلة التي تضمن تواصل المستوطنات مع بعضها بعضاً، ومع الأراضي التي تحتلها إسرائيل منذ عام 1948، تم تعزيزه بإجراءات عسكرية جعلت من المناطق الفلسطينية المفصولة واقعاً، مجرد سجون كبيرة يصعب تصور حدوث أي نوع من أنواع التنمية فيها, وخاصة التنمية السياسية. لأن التواصل الجغرافي والاجتماعي ضروري جداً لإحداث تنمية سياسية في أي منطقة من العالم,الشيء الذي تحرم إسرائيل الضفة والقطاع منه.

بالنسبة إلى تأثير الجدار على السكان والتواصل السكاني تعددت البيانات التي تناولت تقطيع أوصال الضفة الغربية ومحاصرة سكانها تبعاً لتعدد المصادر التي تناولت الموضوع, تماما كما حصل بالنسبة لمختلف قضايا الجدار. بينت دائرة شؤون المفاوضات الفلسطينية أن بناء الجدار بقسميه الغربي والشرقي سيؤدي إلى تضرر 865.300 مواطن فلسطيني بشكل مباشر، وهو ما يعادل 37.5% من عدد المواطنين في الضفة الغربية. أدت المرحلة الأولى من الجدار إلى عزل 13.500 مواطن مابين الجدار والخط الأخضر. يقيم هؤلاء في 15 تجمع سكاني. ويؤدي بناء باقي أجزاء القسم الغربي من الجدار إلى عزل 60 تجمع آخر ما بين قرية ومدينة. يقيم في هذه التجمعات 322.500 مواطن، ليصبح عدد الذين يتم عزلهم في التجمعات الخمسة والسبعين التي

---

199 المراقب الاقتصادي. مصدر سابق. ص101.

200 *الجدار الفاصل* **WWW.PLOSM.COM**

201 منظمة العفو الدولية. وثيقة رقمMDE/15/16/2004 شباط 2004 . ص 3.

يعزلها القسم الغربي من الجدار حوالي 336000 مواطن وهو ما يعادل 13% من السكان في الضفة الغربية تقريبا. منهم 218400 مواطن فلسطيني يقيمون بمدينة القدس. بناء القسم الشرقي من الجدار يضيف 16 تجمعاً آخرا ليصبح عدد التجمعات التي يعزلها الجدار بقسميه الغربي والشرقي 91 تجمعاً تضم 343.300 مواطناً فلسطينيا، وهو ما يعادل 14.9% تقريباً[202]. هنا نلاحظ أن هذه الأرقام لم تتضمن مدينة أريحا وسكانها, علماً أنها تشكل مغزلا فلسطينياً يفصلها القسم الشرقي من الجدار عن أي تواصل جغرافي أو سكاني مع غيرها من التجمعات الفلسطينية.

يضاف إلى تلك التجمعات التي تتضرر نتيجة عزلها عن باقي التجمعات السكانية الكبرى في الضفة الغربية 165 تجمع سكاني آخر يقطنها 522.000 مواطن، وهو ما يعادل 22.6% من مجموع سكان الضفة. لكن شكل الضرر الواقع على هذه التجمعات يتمثل في عزل أراضيها عنها[203]. مركز بتسيلم ذكر ما يشير إلى أن الجزء الغربي من الجدار يوقع الضرر بأكثر من 210 آلاف مواطن فلسطيني يسكنون في 67 قرية فلسطينية. منها 13 قرية تعزل ما بين الجدار والخط الأخضر ويسكنها حوالي 11700 مواطنا. إضافة إلى أن 128.500 مواطنا يقيمون في 19 تجمع سكاني سيعزلون في معازل يحيط بها الجدار من كافة الجوانب. كما سيقع الضرر على 36 بلدة أخرى من خلال فصل أراضيها عنها بواسطة الجدار، ويبلغ عدد سكان هذه البلدات حوالي 72000 مواطن[204]. حسب تقرير أعده مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية فإن 680 ألف مواطن فلسطيني سيتأثرون بشكل مباشر من جراء بناء الجدار الفاصل، وهؤلاء يعادلون 30% من سكان الضفة الغربية تقريباً. حيث يعزل الجدار 274.000 مواطنا تقريباً عن محيطهم الفلسطيني. وسيعزل هؤلاء ما بين الجدار والخط الأخضر، أو في جيوب يحيط بها الجدار من كل الجوانب. وسيكون هؤلاء المواطنون موزعون على 122 تجمع سكاني. أما بالنسبة للباقين الذين يزيدون عن 400 ألف شخص فإنهم يتضررون من خلال

---

[202] م.ت.ف. دائرة شؤون المفاوضات. **النشاطات الإسرائيلية المتعلقة بالجدار الفاصل**. 2004/2/19. ص4.
[203] المرجع السابق/ صفحه 5.
[204] بتسيلم. **الجدار الفاصل: انتهاك حقوق الإنسان نتيجة لإقامة الجدار الفاصل**. نيسان 2004. ص 1.

عزلهم عن أراضيهم أو أعمالهم أو أية خدمات يحتاجونها[205]. وحسب مصادر وزارة الدفاع الإسرائيلية، فإن القسم الغربي من الجدار يؤدي إلى عزل 79 قرية فلسطينية بينه وبين الخط الأخضر. تضم هذه التجمعات 87589 مواطنا فلسطينيا. وتبلغ المساحة المحصورة في ذاك الجانب 838 كم مربعا أي 14.3% من الضفة. كما يتم عزل 22 تجمع ما بين الجدارين الرئيسي والفرعي، وتكون هذه التجمعات محاطة بالجدار من كافة الجوانب. يسكن فيها حوالي 191.270 مواطن تقريباً, وتبلغ المساحة التابعة لهذه التجمعات 205 كم مربع أي 3.5% من مساحة الضفة الغربية. كما سيتم إغلاق ست تجمعات غرب الجدار بشكل كامل، وتضم 16.098 مواطن, ومساحتها مجتمعة تبلغ 10كم تقريباً. كما يتم إغلاق ستة مناطق أخرى شرقي الجدار، لكنها تكون متصلةً مع المناطق الواقعة شرقي الجدار. ويصل عدد سكانها نحو 24.126 مواطن، ومساحتها 20كم تقريباً[206]. الجدول التالي يبين التجمعات السكانية الفلسطينية التي سيتم عزلها بواسطة الجدار[207].

جدول رقم (4): التجمعات السكانية التي ستعزل بواسطة الجدار

القرية	عدد السكان	القرية	عدد السكان
1.عين البيضا	491	2.بردله	1148
3.خربة المالح	151	4.رمانه	2514
5.الطيبه(جنين)	1780	6.عانين	2775
7.أم الريحان	79	8.طوره	824
9.عقبه	85	10.نزلة عيسى	2900
11.نزلة أبو نار	144	12.برطعة الشرقية	3500
13.باقة الشرقية	3500	14.الجاروشه	662
15.ظهر المالح		16.تعنك	

[205] أبو زاهر، ناديه: *جدار الفصل.. مخطط الضم والتوسع*، www.aljazeera.net 2004/2/26
- مكتب رئيس الوزراء الفلسطيني احمد قريع، الأمم المتحدة تدين استمرار إسرائيل في بناء جدار الفصل العنصري، 2003/10/23

[206] د. سلمان، نائل، وأبو ردينه، إياد، **السياسات والمخططات الإسرائيلية للعزل والاستيطان في الاراضي الفلسطينية**، القدس،أريج، ص 15.

[207] د.أبو جابر، إبراهيم، مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم 2003.

17.خربة عبد الله المنطار		18.قرية العكابين	
19.خربة راس عطية	1136	20.خربة راس الطيرة	281
21.كفر ثلث	3100	22.حبله	4369
23.عزون عتمه	1186	24.عسله	630
25. بيت أمين	814	26.خربة المدور	
27. صنيريا	2123	28.خربة الأشقر	297
29. قراوة بني حسان	2703	30.بديا	6058
31. سرطة	1899	32.مسحه	1441
33.الزاوية	3695	34.بروقين	2658
35.كفر الديك	3745	36.رافات	1465
37.دير بلوط	2680	38.اللبن الغربية	1068
39.رنتيس	247	40.قبيا	3478
41.دير قديس	1392	42.نعلين	3355
43.المدية	923	44.بيت سيرا	2010
45.خربة المصباح	3711	46.الطيرة	1161
47.بيت لقيا	5706	48.بدو المعرجات	565
49.القبيبة	1516	50.بيت عنان	3154
51.بيت دقو	1177	52.قطنة	5555
53.بيت إجزا	497	54.بيت سوريك	2727
55.بيت إكسا	1162	56.بيت حانينا	1025
57.الجديرة	1570	58.بير نبالا	4499
59.قلنديا	855	60.الرام وضاحية البريد	9159
61.حزما	4577	62.شعفاط	
63.العيسوية		64.حوسان	4183
65.جبع	2398	66.عرب الرماضين	2207
67.بتير	3094	68.خربة الخرابه	2
69.خربة كنيزل	193	70.خربة البتان	22

71.خربة التوأمين	24	72.خربة بير العيد	105
73.النجادة	170	74.خشم الكرم	426

مكركز الدراسات المعاصرة. ام الفحم 2003.

ويضاف إلى الجدول التالي البلدة القديمة وأحياؤها: راس العمود، الطور، الزعيم، سلوان، السواحره الغربية(عدا الشيخ سعد)، صور باهر، أم طوبا بيت صفافا، شرفات.

من خلال ما ذكرته في موضوع التواصل الجغرافي والسكاني في الضفة الغربية, يتبين أن الإستراتيجية الإسرائيلية في هذا الشأن تركز على خلق واقع جديد يستند إلى تفتيت الضفة لعدة كنتونات مفصولة عن بعضها بعضا. تلك الكنتونات تحوي التجمعات السكانية الفلسطينية لتحولها بهذا الواقع إلى سجون حقيقية تتحكم بكل تفاصيل الحياة فيها.

المبحث الثاني

تأثيرات الجدار الفاصل على المياه في الضفة الغربية

تعتبر المياه من أهم احتياجات الإنسان على هذه الأرض, يقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: (وجعلنا من الماء كل شيء حي). صدق الله العظيم[208]. يبين القرآن الكريم في الآيـة التي ذكرتها، أن الله جعل المياه سبباً من أسباب الحياة لكافة الأحياء في هذا الوجود.

في السياسة يبين كثير من الباحثين والمحللين السياسيين، المطلعين على تعقيدات العلاقات الدولية ومكيفاتها، أن المياه كانت سبباً من أسباب التوتر الشديد في العديد من مناطق العالم، خاصةً تلك التي تشح فيها كميات المياه[209]. في منطقتنا تعتبر المياه إحدى أهم المواضيع التي تحكم الصراع العربي الإسرائيلي. ويرى العديد من الدارسين أن المياه قد تصبح السـبب المباشـر للحـروب القادمة بين العرب وإسرائيل, نظر لأهميتها وتعدد استخداماتها وتزايـد الطلـب عليهـا حاليـاً ومستقبلاً , خاصةً في ظل ندرتها في هذه المنطقة قياساً بحجم الطلب عليها. ويمكـن أن يكـون تأخير البحث في موضوع المياه في إطار التسوية إلى المرحلة النهائية، دليلاً على أهميـة هـذا الموضوع وتعقيداته. وهذا ما يبرز الأهمية السياسية لموضوع المياه. وهنـاك مـن يعتبـر أن إسرائيل خاضت فعلاً بعض حروبها في محاولة للسيطرة على مصادر مائية جديدة[210]. من هنـا أيضا تبرز أهمية المياه في البعد السياسي، وفي العلاقة ما بين الإسرائيليين والفلسـطينيين. إذ لا يمكن تصور بناء كيان سياسي مستقل وهو غير مسيطر على مصادر مياهه، وبالتالي سيصـبح غير قادر على سد احتياجات مواطنيه من أهم أسباب الحياة نفسها المتمثلة بشربة الماء، فكيـف والحال هذه يمكن له أن يؤمن حالة الاستقرار لهذا الكيان؟

سأبين في هذا الفصل واقع المياه في هذه المنطقة خاصة في الضفة الغربية، ومدى الحاجة إليها في هذه الأوقات وفي المستقبل أيضا، كما سأبين أهميتها السياسية من خلال تأثيرها ودورها في

---

[208] سورة الأنبياء, آية 30.
[209] المصري, جورج : **الأطماع الإسرائيلية في المياه العربية**. ط 1. مركز الدراسات العربي الأوروبي 1996.
[210] مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين. **معلومات عن جدار الفصل العنصري**. 2004/3/16، ص1.

الصراع العربي الإسرائيلي, ونظرة إسرائيل إليها في ظل التسوية والصراع. هذا يعطينا تصورا منطقيا عن السلوك الإسرائيلي حول تقاسم المياه في هذه المنطقة. ومن ثم سأقوم بتبيان آثار بناء الجدار الفاصل على المياه في الضفة الغربية، كأحد الآليات التي تستخدمها إسرائيل في فـــرض واقع السيطرة الذي يعتبر أهم أهدافها الإستراتيجية.

1:2:3 واقع المياه واستخداماتها في الضفة الغربية

تقسم مصادر المياه في الضفة الغربية إلى ثلاثة مصادر، تتمثل فـــي ميـــاه الأمطـــار والميـــاه السطحية والمياه الجوفية. وفيما يلي أستعرض الكميات المتاحة من هذه المصادر بشـــكل عـــام، والكميات المتاحة للفلسطينيين في الضفة الغربية بشكل خاص.

أ/ مياه الأمطار:

تعتبر مياه الأمطار المصدر الرئيس للمياه في فلسطين. فهي التي تغـــذي الأحـــواض الجوفيـــة بالمياه، وهي مصدر المجاري المائية السطحية من أنهار وجداول ووديان. كما يستفاد منها فـــي ري مباشر لمساحات واسعة من الأراضي الزراعية في فلسطين، خاصة الأراضي البعلية.

من أهم إشكالات هذا المصدر أنه متذبذب الكميات التي يوفرها من سنة إلى أخرى، ومن منطقة إلى أخرى. وهذا يؤدي إلى صعوبة إجراء خطط ضمن إستراتيجية استخدام المياه وتوفرها فـــي الضفة الغربية. وقد بينت في الفصل الأول معدلات تساقط الأمطار في كل منطقة طبوغرافيـــة بشكل محدد[211]. يبلغ معدل سقوط الأمطار على الضفة الغربية بشكل عام، ما يصل إلـــى 409 ملم سنوياً. ويتراوح حجم تلك الكمية المتساقطة سنوياً من الأمطار على الضفة الغربية ما بـــين 2700−2900 مليون متر مكعب[212]. وبالطبع لا يمكن الاستفادة من كل هذه الكمية للاســـتخدام الإنساني. فمنها ما يتم الاستفادة منه سواءً بشكل مباشر من خـــلال ريّ الأرض عنـــد هطـــول الأمطار، ومنها ما يتم الاستفادة منه فيما بعد عند تسربها إلى خزانات المياه الجوفية، أو جريانها

[211] وزارة الزراعة الفلسطينية. **استراتيجية وزارة الزراعة. المصادر الطبيعية**, 1999.
[212] السلطة الوطنية الفلسطينية, مركز المعلومات الوطني. **الأمطار**. ص 1.

في القنوات والمجاري المائية الأخرى، أو خروجها على شكل ينابيع سطحية. وهناك كمية لا يتم الاستفادة منها حيث تذهب للتبخر من خلال المسطحات المائية، ومنها ما يجد طريقه إلى البحـــر ويختلط بمياهه غير الصالحة للاستخدام.

ب/ المياه السطحية:

يوجد نقص في مصادر المياه السطحية في الضفة الغربية. تتمثل مصادر هذه المياه في الجداول والأنهار الموسمية ونهر الأردن. وتقدر كمية المياه السطحية في الأنهر والجداول، بنحـــو 114 مليون متر مكعب كل سنة. أما كمية الانسياب السطحي فتصل إلى 71 مليون متر مكعب سنوياً. وتتجه حركة هذه المياه السطحية إما شرقاً باتجاه نهر الأردن والبحر الميت، أو باتجاه الغـــرب نحو البحر الأبيض. وتصل كمية المياه المتجهة غرباً ما بين 20-25 مليون متر مكعـــب كـــل سنه. يستفاد منها في الزراعة داخل فلسطين 48، حيث تبلغ المساحة الصرفية لهذه الميـــاه مـــا يصل إلى 3000كم مربع.بالنسبة إلى المياه في نهر الأردن, فقد بلغت كمية المياه الجارية فيـــه 1320مليون متر مكعب تقريبا تصله من عدة روافد. الجدول التالي يبين مصادرا لميـــاه التـــي تجري في نهر الأردن[213]:

جدول رقم (5): مصادر المياه التي تجري في نهر الأردن

مصدر المياه	كمية المياه بالمليون متر مكعب
نهر الدان	270
نهر بانياس	125
نهر الحاصباني	125
روافد النهر من أودية شمال بحيرة طبريا	140
روافد بحيرة طبريا نفسها	70
نهر اليرموك	100
روافد النهر من أودية جنوب بحيرة طبريا	200
مياه تتبخر في بحيرة طبريا بعد وصولها البحيرة	280
مجموع ما يجري في نهر الاردن	1310

السلطة الوطنية الفلسطينية, مركز المعلومات الوطني. المياه.

[213] السلطة الوطنية الفلسطينية, مركز المعلومات الوطني. **المياه- الجريان السطحي**. ص 2.

الباقي من مياه نهر اليرموك البالغ 350 مليون مترا مكعبا تستهلك في الأردن وسوريا وإسرائيل قبل وصولها لنهر الأردن. تقوم إسرائيل بسحب معظم هذه المياه لاستخداماتها المختلفة, حتى أصبحت الكمية التي تصل البحر الميت أقل من تلك التي تفقد نتيجة التبخر. الجدول التالي يبين توزيع المياه التي يفترض أن تجري في نهر الأردن بين الدول المتجاورة[214]:

جدول رقم (6): توزيع مياه حوض نهر الاردن بين دول الحوض

مصدر المياه/الدولة	لبنان	سوريا	الأردن	إسرائيل
مياه من منابع الحاصباني	20	*	*	*
منابع نهر اليرموك	*	200	*	*
قناة الغور الشرقية	*	*	90	*
سدود الأردن	*	*	120	*
نهر الأردن شمال طبريا	*	*	*	150
من طبريا لمناطق حولها	*	*	*	80
من طبريا لخط الأنابيب	*	*	*	380
من اليرموك السفلي	*	*	*	70-25
المجموع	20	200	210	650

السلطة الوطنية الفلسطينية, مركز المعلومات الوطني. المياه.

من المعروف أن نهر الأردن يحد الضفة الغربية من جهة الشرق على امتداد 70كم. هذا يعني أن للضفة الغربية حقاً في استخدام مياه هذا النهر، وأنه يعتبر من مصادرها السطحية. وقد كان الفلسطينيون يستخدمون مياه هذا النهر قبل أن تقوم إسرائيل باحتلال الضفة الغربية سنة 1967 وتعمد إلى تدمير المنشآت المائية للمزارعين الفلسطينيين المقامة عليه.

ج/ المياه الجوفية:

بالطبع تشكل مياه الأمطار المصدر الطبيعي لكافة مصادر المياه الأخرى، ومن ضمنها المياه الجوفية التي تختزن في باطن الأرض. يقدر معدل التغذية للمياه الجوفية في فلسطين حوالي

[214] المرجع السابق.

648 مليون متر مكعب سنوياً[215]. هذه المياه تتحرك باتجاهين شرقي وغربي، كما هـو الحـال بالنسبة للمياه السطحية، وتقع أراضي الضفة الغربية على ثلاثة أحواض جوفيـة رئيسـية هـي الحوض الجوفي الغربي (WAB)، وهو أهم هذه الأحـواض. والحـوض الجـوفي الشـمالي الشرقي(NEAB)،والحوض الجوفي الشرقي (EAB).

ج:1/ الحوض الغربي:

يمتد الحوض الغربي من منطقة طولكرم شمال غرب الضفة الغربية، ولغايـة منطقـة الخليـل أقصى جنوب الضفة على الجهة الغربية من المرتفعات الغربية. يعتبر هذا الحوض من أفضـل الأحواض المائية في فلسطين، ويقدر المخزون المائي القابل للاستخدام في هذا الحـوض بنحـو 372 مليون مترا مكعبا سنوياً, يستخدم منها الفلسطينيون 22 مليون متر مكعب سـنوياً أي مـا يعادل 6% من المياه ضمن ما يسمح لهم به، ويستخرج الإسرائيليون 94% من هذه المياه ضمن حدود الاستخراج الآمن لهذا الحوض[216]. تبلغ مساحة هذا الحوض 11398 كم مربع. وتعتبـر جبال الضفة الغربية منطقة التغذية الرئيسية من المياه لهذا الحوض. كلما اتجهنا إلـى الغـرب تكون طبقات الأرض مشبعه بالمياه وارتوازية أكثر ، خاصةً في المناطق القريبـة مـن الخـط الأخضر، أما في المناطق القريبة من منطقة التغذية فإن طبقات الأرض تكون غيـر ارتوازيـة وغير مشبعة بالمياه كتلك الواقعة إلى الغرب منها[217]. تم إنشاء ما يتراوح بين 600- 750 بئراً ارتوازياً على هذا الحوض لاستخراج المياه من أعماق الأرض. يعود للفلسطينيين 141 بئراً من هذه الآبار, مقامةً في أراضي الضفة الغربية بالقرب من الخط الأخضـر. أنشـأ الإسـرائيليون أربعة آبار في أراضي الضفة الغربية على هذا الحوض، في حـين أنشـئوا 500-600 بئـراً بالقرب من الخط الأخضر من الجهة الغربية لتغذي المدن الإسرائيلية بالمياه[218]. من المهم ذكره هنا أن غالبية الآبار الفلسطينية مقامة قبل سنة1967, ولم يسمح الإسرائيليون للفلسطينيين بحفـر سوى 8 آبار للاستهلاك المنزلي فقط.

---

215 سلطة المياه الفلسطينية. **جدار الضم والتوسع للسيطرة على الموارد المائية الفلسطينية**. شباط 2004 ص 5 – 6.
216 اتفاقية اوسلو. البند 40. سنة 1994
217 سلطة المياه الفلسطينية. مصدر سابق. ص 7.
218 المصدر السابق. ص7.

ج:2 الحوض الشرقي:

يشتمل هذا الحوض على ستة أحواض فرعية والتي تقدر المياه المتجددة فيها بنحو 172 مليون متر مكعب سنوياً[219]. تقدر كميات الاستخراج السنوي بواسطة الآبار من هذا الحوض بنحو 56.25 مليون متر مكعب، يستخرج الفلسطينيون منها ما يصل إلى 17.39 مليون متر مكعب سنوياً, في حين يستخرج الإسرائيليون حوالي 38.86 مليون متر مكعب سنوياً. إضافة إلى استخراج المياه من هذه الأحواض بواسطة الآبار، فإنه يتم تصريف 133.01 مليون متر مكعب سنوياً من خلال الينابيع. يستفيد الفلسطينيون من هذه الكمية ما يصل إلى 44.76 مليون متر مكعب سنوياً، في حين يصل ما يأخذه الإسرائيليون نحو 88.25 مليون متر مكعب سنوياً من مياه الينابيع[220].

ج:3/الحوض الشمالي الشرقي:

يقع الحوض الشمالي الشرقي داخل مقعر بين الجبال الوسطى للضفة الغربية، ويشمل أحواض نابلس وجنين وجلبون، وهذه الأحواض تغذي آبار منطقة بيسان داخل فلسطين 48, ومنطقة الفارعة شمال نابلس, ومنطقة جنين وسهل مرج بن عامر. وتقدر المياه المتجددة في هذا الحوض حسب ما جاء في البند 40 من اتفاقية اوسلو بنحو 140 مليون متر مكعب سنويا, يستخرج الفلسطينيون 25 مليون متر مكعب، إضافة إلى 17 مليون متر مكعب من ينابيع نابلس الشرقية، الباقي يتم استخراجه من قبل الإسرائيليين[221]. مصادر سلطة المياه الفلسطينية تقدر أن حجم المياه المتجددة في هذا الحوض تبلغ 130 مليون متر مكعب سنوياً. يتم استخراج 26.21 مليون متر مكعب سنوياً من هذه المياه من قبل الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، حيث يأخذ الفلسطينيون ما يصل إلى 12.72 مليون متر مكعب، بينما يأخذ الإسرائيليون من هذا الحوض 13.49 مليون متر مكعب[222] .

---

[219] اتفاقية اوسلو، بند 40. سنة 1994.
[220] المصدر السابق.
[221] سلطة المياه الفلسطينية. مرجع سابق.
[222] سلطة المياه الفلسطينية. مرجع سابق. ص6.

تقدر بعض المصادر كمية المياه التي تستهلك في الضفة الغربية من قبل الفلسطينيين بحوالي 128 مليون متر مكعب، منها 56 مليون متر مكعب تقريباً، يستخرجها الفلسطينيون من آبارهم الارتوازية المقامة على الأحواض المائية التي سبق وتحدثنا عنها، كما يشترون 56 مليون متر مكعب تقريباً من الآبار الإسرائيلية المقامة على مصادر مياههم، ويستخرجون الباقي من مياه الينابيع[223]. علما أن عدد آبار المياه في الضفة بلغ نحو 750 بئرا, إلا أن ما يعمل منها حاليا يبلغ 372 بئرا والباقي توقف عن العمل[224]. الجدول التالي يبين إنتشار الآبار الارتوازية التي يستخدمها الفلسطينيون كما جاءت في أكثر من مصدر[225]:

جدول رقم (7): الآبار الارتوازية في الضفة الغربية حسب المنطقة ونوع الاستخدام

المنطقة	الاستخدام المنزلي	الاستخدام الزراعي	المجموع
أريحا	–	58	58
العوجا	–	8	8
فصايل الجفتلك ومرج نعجه	–	46	46
الفارعة والباذان	3	24	27
نابلس	2	–	2
جنين	5	59	64
طولكرم	12	53	65
قلقيليه	6	70	76
رام الله	6	–	6
بيت لحم	6	–	6
الخليل	4	–	4
بردلا	–	10	10
المجموع	44	328	372

السلطة الوطنية الفلسطينية, مركز المعلومات الوطني الفلسطيني. استهلاك المياه في فلسطين.

---

[223] السلطة الوطنية الفلسطينية, مركز المعلومات الوطني الفلسطيني. **استهلاك المياه في فلسطين**. ص2.

[224] المرجع السابق. ص 1

[225] www. Aljazeera.net المعرفة, استهلاك المياه في فلسطين. تحديث 2004/10/3

- المرجع السابق.

الملحق رقم (11) يبين خارطة أحواض المياه الجوفية وتوزيع الآبار الارتوازية.

بالرغم من أن مناطق الضفة الغربية هي الأوفر في كميات المياه الجوفية بالنسبة إلى الأردن وإسرائيل المجاورتين لها، إلا أننا نجد أن معدل ما يستخدمه الفرد من استهلاك المياه في الضفة الغربية اقل بكثير من معدل ما يستهلكه الفرد في أي من الدولتين. تصل حصة فلسطين من المياه الجوفية حوالي 47.8% وإسرائيل 29.7% والأردن 22.5% . ولا تعود قلة استخدام الفلسطينيين للمياه كما بينت بسبب عدم الحاجة, وإنما بسبب السياسات المائية التي تمارسها إسرائيل على الفلسطينيين[226]. ومن المتوقع أن تزداد الأوضاع المائية سوءاً بالنسبة للفلسطينيين بسبب تزايد الاحتياج الفلسطيني للمياه خلال السنوات القادمة. حيث تقدر احتياجهم في الضفة والقطاع سنة 2010 بنحو 449 مليون متر مكعب سنوياً، وسيبلغ الاحتياج المنزلي في الضفة الغربية نحو 187 مليون متر مكعب.

2:2:3 الأطماع الإسرائيلية في المياه الفلسطينية

مثلما شكلت السيطرة على الأرض أحد أهم محاور إستراتيجية العمل الصهيوني، فقد شكلت السيطرة على المياه محوراً آخر في إستراتيجية العمل الصهيوني منذ بدء التفكير بإنشاء إسرائيل فوق الأرض الفلسطينية ولغاية الآن.

في بدايات الانتداب, حاول حاييم وايزمن التأثير على بريطانيا في رسم حدود فلسطين التي ستصبح لاحقا إسرائيل حسب مخططات الحركة الصهيونية، وذلك من أجل أن تضم منابع المياه في المنطقة خاصة في جبل الشيخ وجنوب لبنان[227] واستمر الضغط اليهودي على بريطانيا إبان الانتداب البريطاني على فلسطين من أجل تنفيذ مشاريع مائية في المنطقة تكون في صالحهم. ومن أبرز هذه المشاريع مشروع لاوردميلك ومشروع جونسون ومشروع كوتون[228]. أخذت إسرائيل بعد قيامها سنة 1948 بتنفيذ المشاريع المائية والزراعية التي تستطيع من خلالها

---

[226] بنجون. **أوقفوا جدار الفصل العنصري في فلسطين**. حزيران 2003. ص 53, 54 .
[227] مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين. **معلومات عن جدار الفصل العنصري**.2004/3/16 . ص 1 .
[228] استهلاك المياه في فلسطين. ص 3-4. www.aljazeera.net. المعرفة.

السيطرة على أكبر كميه من المياه في المنطقة, وخاصة تلك المتعلقة بالمياه المشتركة مع الجانب العربي. ومن أبرز ما نفذت من مشاريع في تلك المرحلة، مشروع خطة سميث التي قسمت إلى ستة مشاريع نفذت على مدى أكثر من عقد. هدف هذه الخطة هو فتح آفاق زراعية ومائية أمـــام إسرائيل، وكان أبرز ما حققته في الموضوع المائي هو جر مياه نهر الأردن إلى منطقة النقـــب، إذ بلغ حجم ما تضخه إسرائيل من مياه نهر الأردن 435مليون متر مكعب سنويا[229].

أعلن ديفد بنغريون سنة 1956 أن اليهود يخوضون معركة المياه ضد العرب، وسيتوقف مصير إسرائيل على مصير هذه المعركة[230]. على هذا الأساس أقامت إسرائيل سياساتها المائيـــة فـــي المنطقة, الأمر الذي ترجمته بمحاولات دائمة للسيطرة على مصادر المياه.

بعد احتلال إسرائيل لأراضي الضفة الغربية سنة 19697, عمدت إلى السيطرة المطلقة علـــى مصادر المياه، وتحكمت في استهلاك الفلسطينيين من المياه في الأراضي المحتلة. فـــي الأيـــام الأولى لاحتلال إسرائيل أراضي الضفة الغربية، أصدرت الأمر العسكري رقم 92 وكان ذلـــك في 1967/8/15، تلاه أمر آخر يحمل رقم 158 وكان ذلك بتاريخ 1967/10/30. قضى هذان الأمران بمنع الفلسطينيين من القيام بأية أنشطة ذات علاقة بقطاع المياه في الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1967 دون الحصول على موافقة ضابط المياه التابع للقيادة العسكرية الإســـرائيلية في المناطق المحتلة. وتشمل هذه الأنشطة كل ما يتعلق بعمليات حفر آبار جديدة أو تطـــوير أو تأهيل ما هو قائم، أو إنشاء بنية تحتية من تمديدات وخلافه[231]. هذه الإجراءات شكلت الإطـــار القانوني الذي حكم قدرة الفلسطينيين على استخدام المياه، وقد أدت مجمل السياسات والإجراءات الإسرائيلية الهادفة إلى السيطرة على مياه الضفة الغربية إلى تحكم إسرائيل المطلق بهذه الميـــاه. وبالتالي عمدت إلى تقسيم هذه المياه بشكل مجحف بحق الفلسطينيين، إذ أنها تستخدم ما يتـــراوح بين 85% –90% من المياه الجوفية المتوفرة في فلسطين، في حين أنها لا تسمح للفلســـطينيين بالاستفادة سوى بأقل ما يمكن من هذه المياه. كما أنها تستخدم مياه نهر الأردن، ويصل مقـــدار

---

[229] السلطة الوطنية الفلسطينية, مركز المعلومات الوطني. **استهلاك المياه في فلسطين** www.Google.com

[230] الغزو اليهودي،1992

[231] مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين. **معلومات عن جدار الفصل العنصري** 3/16 /2004 . ص 1-2

ما تسحبه من مياه هذا النهر إلى أكثر من نصف كمية تصريفه، وهو ما يعادل 643 مليون م مكعب سنويا. وقد منعت إسرائيل على الفلسطينيين استخدام مياه هذا النهر، على الرغم من أن خطة جونسون كانت قد أعطت للفلسطينيين حصة من النهر تقدر ب215 مليون م مكعب[232]. وقد قامت إسرائيل بتدمير 140 مضخة مياه فلسطينية كانت مقامه على نهر الأردن قبل الاحتلال من أجل ضخ المياه إلى الاراضي الزراعية[233].

خلال سبعينيات القرن الماضي، عندما كان أرييل شارون وزيرا للزراعة في الحكومة الإسرائيلية، صدر تقرير هام وسري عن مفوض المياه الإسرائيلي تضمن ملامح الإستراتيجية المائية الإسرائيلية. وكان أهم ما تضمنه التقرير تحذير وتوصيه للحكومة الإسرائيلية، يطالبها باتخاذ إجراءات عسكريه وأمنيه صارمة لمنع الفلسطينيين من إلحاق أي أذى بشبكة الآبار الإسرائيلية المحفورة على امتداد الخط الأخضر. وهذا يتطلب حسب نفس التقرير، منع الفلسطينيين من القيام بحفر أي آبار مياه جديدة، أو تعميق وصيانة الآبار القديمة، أو القيام بأي نشاط يتعلق حتى باستغلال مياه الأودية[234].

خلال شهر آذار من سنة 2002 قامت لجنة برلمانية إسرائيلية مكلفة بدراسة وتقييم الأوضاع المائية في إسرائيل بتقديم تقريرها الذي تضمن توصيات بضرورة اتخاذ كافة الإجراءات العملية، وفرض القيود التي من شأنها منع الفلسطينيين من سحب أية كميات مياه من الأحواض المائية الجوفية تزيد عما يقومون بسحبه حاليا, أي في سنة 2002. إضافة إلى ضرورة العمل على إزالة الآبار الزراعية وتحويلها إلى مياه للشرب فقط, وذلك للحفاظ على مياه الحوضين الغربي والشمالي الشرقي كمصادر أساسيه لتغذية المدن الإسرائيلية الكبرى في وسط إسرائيل[235]. سنرى لاحقا عندما نتناول تأثير بناء الجدار على المياه، كيف أن تلك التوصيات سواء التي كانت ضمن الإستراتيجية المائية الإسرائيلية، أو تلك التي طالبت بها اللجنة البرلمانية المكلفة بدراسة الوضع المائي في إسرائيل, وجدت طريقها للتنفيذ من خلال بناء الجدار الفاصل

---

[232] د، غانم، محمد. *الوضع الحالي للمياه في فلسطين*. معهد الأبحاث التطبيقية (أريج). القدس نيسان2001. ص3.
[233] استهلاك المياه في فلسطين. مرجع سابق. ص 6
[234] سلطة المياه الفلسطينية. مرجع سابق ص3.
[235] المصدر السابق ص7

داخل أراضي الضفة الغربية. كل هذا أدى إلى أن يبلغ معدل ما يستهلكه الفرد الإسرائيلي من المياه يفوق ما يستهلكه الفرد الفلسطيني بما يتراوح بين 3 – 5 أضعاف[236].

الجدول التالي يبين حصة الفلسطيني من المياه مقارنة مع الإسرائيلي والأردني [237]:

جدول رقم (8): حصة الفلسطينيين من المياه مقارنة باسرائيل

البيان	فلسطين	الأردن	إسرائيل
مياه الشرب	35	47	105
إجمالي حصة الفرد لكل القطاعات	93	244	344

حسن السردي:الاستنزاف الإسرائيلي للمياه في فلسطين.ورشة عمل حول الاعتداءات الإسرائيلية على قطاع المياه الفلسطيني.2000.

يبين الجدول أن حصة الفرد الإسرائيلي من المياه أكثر من ثلاثة أضعاف حصة الفلسطيني. بشكل عام لاحظت من خلال دراستي لموضوع المياه أن هناك تفاوت بين ما تورده المصادر المختلفة حول حجم استهلاك المياه في الضفة الغربية, لكن هذا التفاوت ليس كبيرا, إذ تقدر العديد من المصادر أن مجموع ما يستهلكه الفلسطينيون في الضفة الغربية من المياه يتراوح ما بين 118 – 132 مليون متر مكعب سنويا. أحد المصادر ذكر أن حجم الاستهلاك يبلغ نحو 128 مليون متر مكعب[238]. في نفس الوقت تزايد الاستهلاك الإسرائيلي من 350 مليون متر مكعب إلى 2000مليون متر مكعب في السنة[239].

بعد عقد اتفاقات اوسلو بين م.ت.ف وإسرائيل تم التطرق إلى موضوع المياه، وحددت كميات المياه المسموح بها لكل طرف من الأطراف.

---

[236] د. غانم، محمد: *الوضع الحالي للمياه في فلسطين*. معهد الأبحاث التطبيقية (أريج). القدس. نيسان2001

- شبكة المنظمات البيئية(بنجون). **أوقفوا جدار الفصل العنصري في فلسطين**. حزيران 2003. ص 54.

[237] السردي, حسن: *الاستنزاف الإسرائيلي للمياه في فلسطين*, **ورشة عمل حول الاعتداءات الإسرائيلية على قطاع المياه الفلسطيني**,200/10/8, ص 5 .

[238] السلطة الوطنية الفلسطينية, مركز المعلومات الوطني الفلسطيني: **استهلاك المياه في فلسطين** ص 2.

www.google.com: *استهلاك المياه في فلسطين*. المعرفة- ملفات خاصة. 200/11/7

[239] مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين فرع الشمال: **السياسات الإسرائيلية وموضوع المياه**. ص1.

الجدول التالي يبين كمية المياه المسموح للفلسطينيين باستخدامها حسب اتفاقية اوسلو[240]:

جدول رقم (9): حصة الفلسطينيين من المياه حسب اتفاقية اوسلو

اسم المنطقة	كمية المياه – مليون متر مكعب
الضفة الغربية	127.4
قطاع غزة المجموع	108
المجموع	235.4
المستوطنات في الضفة والقطاع	60
المجموع الكلي	295.4

أكرم أبو عمرو: المياه في الصراع العربي الإسرائيلي. السلطة الوطنية الفلسطينية, الهيئة العامة للاستعلامات.

إسرائيل تجاوزت هذه الاتفاقات، وتجاوزت حتى المعايير العلمية في سحبها للمياه من الأحواض المائية، إذ أنها عمدت إلى سحب كميات كبيرة جدا من المياه بنسب تفوق ما حددته الاتفاقـات، وتفوق حجم المياه المتجددة لتلك الأحواض مما يعني استنزاف حاد للمخزون المائي فـي تلـك الأحواض حيث بلغ ما سحبه الإسرائيليون من الحوض الغربي سنة 2001نحو 545 مليون متر مكعب وهذا يزيد بنسبة 36% من حجم المياه المتجددة داخل هذا الحـوض[241]. هـذا الإجـراء يستنزف المخزون المائي في ذلك الحوض الذي هو أهم حوض في فلسطين، ويقلل من ارتفـاع منسوب المياه فيه، خاصة في الطبقة العليا منه، مما يعني شلّ قدرة الآبار الفلسـطينية المقامـة على هذا الحوض في استخراج كميات كافيه من المياه، كونها مقامه إلى الشـرق مـن الخـط الأخضر باتجاه معاكس إلى جريان المياه الجوفية، إضافة إلى أن قدرتها وأعماقها أقل من الآبار الإسرائيلية المقامة على الطرف الغربي للخط الأخضر، لهذا ستبقى الآبار الإسرائيلية قادرة على سحب المياه من الأعماق السفلى للحوض في حين يتعذر ذلك على الآبار الفلسطينية.

[240] أبو عمرو, أكرم: *المياه في الصراع العربي الإسرائيلي*. السلطة الوطنية الفلسطينية, الهيئة العامة للاستعلامات,ص4

[241] سلطة المياه الفلسطينية. مرجع سابق. ص4.

3:2:3 كيفية تأثير الجدار على المياه في الضفة الغربية

رأينا من خلال إطلاعنا على الأطماع الإسرائيلية للسيطرة على المياه ما يجعلنا نعتبر أن بناء الجدار جاء من ضمن وأهم ما جاء إليه هو إحكام السيطرة الإسرائيلية على المياه في الضفة الغربية، وإبقاء التحكم في كمية وكيفية استخدام الفلسطينيين لمياههم. ونظراً لأهمية المياه في حياة الإنسان، فإنها ترتبط بأمنه الاستراتيجي. لهذا تهدف إسرائيل من وراء سعيها للسيطرة على المياه في هذه المنطقة، إلى جعلها إحدى وسائلها للضغط على الفلسطينيين والعرب في مرحلة اللاحرب، لتبقى مواقفهم منسجمةً مع المصالح الإسرائيلية في هذه المنطقة.

لقد شكل بناء الجدار الفاصل أحد الآليات التي سعت من خلالها إسرائيل لتحقيق أهداف إستراتيجية عديدة في إطار صراعها مع الفلسطينيين، ومن ضمن هذه الأهداف الإستراتيجية، إحكام سيطرتها على موارد المياه في الضفة الغربية التي تعتبر منطقة التغذية الرئيسة لأهم مورد مائي في فلسطين، والمتمثل في المياه الجوفية.

3:أ تأثير بناء القسم الغربي من الجدار على المياه في الضفة الغربية.

نلاحظ أن المنطقة التي بدأ بها بناء الجدار في مرحلته الأولى، تمتاز في أنها أهم المناطق الزراعية والمائية في فلسطين، لاحتوائها على أراض خصبة وواسعة، وفي نفس الوقت فإنها تقع على أهم حوض مائي في فلسطين، وهو الحوض الغربي[242]. كما أنها تمتاز بقرب المياه الجوفية من سطح الأرض أكثر من غيرها من المناطق. الجدير ذكره هنا أن الآبار الفلسطينية المقامة على الحوض الغربي في المنطقة الشمالية تم إنشاؤها قبل احتلال إسرائيل للضفة الغربية. وبلغ عددها 142 بئراً، منها 67 بئراً في منطقة طولكرم و75 بئراً في قلقيلية. تسمح إسرائيل للفلسطينيين باستخراج حوالي 20-22 مليون متر مكعب بواسطة هذه الآبار من مياه

[242] مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين: *معلومات عن جدار الفصل العنصري*. مرجع سابق. ص 2.

الحوض الغربي، وهو ما يساوي 30% تقريباً مما هو مسموح للفلسطينيين من استخدامه من المياه سنويا[243].

أدى بناء المرحلة الأولى من الجدار إلى عزل 30 بئراً ارتوازياً في مناطق بناء هذه المرحلة التي بينتها سابقاً[244]. ويرى بعض الخبراء أن مسار الجدار تم تحديده في هذه المنطقة بصورة خاصة، ليؤدي إلى ضم هذه الآبار الواقعة في منطقة بنائه[245]. الخارطة في الملحق رقم ( ) تبين أثر المرحلة الأولى من الجدار على قطاع المياه.

لا يقتصر الضرر الواقع بسبب عزل هذه الآبار على السكان الذين تخصهم هذه الآبار فحسب، ولا على الأراضي الزراعية الواسعة التي تقع في محيط هذه الآبار فقط، وإنما سيشمل الضرر سكانا آخرين كانوا يشترون المياه من هذه الآبار ويعتمدون على مياهها. على سبيل المثال, تم بيع 40% من مياه بئرين يقعان في باقة الشرقية غربيّ الجدار إلى 14 قرية أخرى تقع شرقيه. لهذا فإن عزل هذه الآبار بواسطة الجدار، سيجعل إمكانية استفادة القرى الواقعة إلى الشرق منه من مياه تلك الآبار أمرا مستحيلاً. في نفس الوقت لا تنحصر الأضرار التي تقع على قطاع المياه والآبار الارتوازية في هذه المرحلة على عزل الآبار التي ذكرناها فقط، بل سيتضرر عشرون بئراً أخرى تقريباً. تختلف كيفية الضرر الذي يتم بسبب تضرر الآبار الارتوازية بفعل بناء الجدار. فهناك أضرار تقع بسبب عزل الآبار عن التجمعات السكانية التي تستفيد منها، وأضرار أخرى تقع بسبب عزل الآبار عن الأراضي الزراعية التي تغذيها أو عزل الأراضي التي تستفيد من تلك الآبار، كما توجد آبار يتم تدميرها بشكل مباشر لوقوعها في مسار بناء الجدار ذاته[246]، ويقدر عدد هذه التي دمرت 16 بئراً[247]. كما تم عزل أكثر من 200 خزان مياه وعشرات الآبار الثانوية عن أصحابها وفقدوا قدرتهم على استغلالها[248].

---

[243] بنجون. مرجع سابق. ص 55.
[244] مجموعة الهيدرولوجيين: *معلومات عن جدار الفصل العنصري*. مرجع سابق. ص 4.
[245] أبو زاهر، ناديه. مرجع سابق.
[246] بنجون: **أوقفوا جدار الفصل العنصري في فلسطين**. مرجع سابق. ص 55-58.
[247] مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين: *السياسات الإسرائيلية وموضوع المياه*. ص 2.
[248] بنجون. مرجع سابق. ص 25+54-58.

الجدول التالي يبين عدد الآبار التي تضررت بفعل بناء المرحلة الأولى من الجدار وحجم قدرتها الاستخراجية ومواقعها وبيانات أخرى[249].

جدول رقم (10): الآبار الارتوازية المتضررة من المرحلة الأولى لبناء الجدار

	رقم تعريف البئر	القرية	المحافظة	البئر معزول أو ضمن منطقة العزل	التدفق
1	17/003-14	حبلة	قلقيلية	معزول	86.000
2	17/005-14	حبلة	قلقيلية	معزول	108.00
3	17/006-14	حبلة	قلقيلية	معزول	112.000
4	17/008-14	حبلة	قلقيلية	منطقة العزل	94.000
5	17/008A-14	حبلة	قلقيلية	منطقة العزل	154.000
6	17/009-14	حبلة	قلقيلية	معزول	94.000
7	17/010-14	حبلة	قلقيلية	معزول	99.000
8	17/011-14	قلقيلية	قلقيلية	معزول	89.000
9	17/013-14	حبلة	قلقيلية	معزول	87.000
10	17/014-14	حبلة	قلقيلية	معزول	84.000
11	17/017-14	قلقيلية	قلقيلية	معزول	108.000
12	17/018-14	قلقيلية	قلقيلية	منطقة العزل	157.000
13	17/020-14	قلقيلية	قلقيلية	معزول	17.000
14	17/023-14	قلقيلية	قلقيلية	منطقة العزل	58.000
15	17/029-14	قلقيلية	قلقيلية	معزول	62.000
16	17/031-14	قلقيلية	قلقيلية	منطقة العزل	102.000
17	17/040-14	قلقيلية	قلقيلية	معزول	95.000
18	17/042-14	قلقيلية	قلقيلية	معزول	136.000
19	17/043-14	عزبة سلمان	قلقيلية	معزول	102.000
20	17/044-14	عزبة سلمان	قلقيلية	منطقة العزل	102.000
21	17/047-14	قلقيلية	قلقيلية	معزول	151.000

[249] بنجون. مصدر سابق. ص6.

22	17/052-14	حبلة	قلقيلية	منطقة العزل	غير محدود
23	17/004-15	عزون	قلقيلية	منطقة العزل	45.000
24	17/009-15	قلقيلية	قلقيلية	معزول	131.000
25	17/010-15	قلقيلية	قلقيلية	معزول	82.000
26	17/011-15	جيوس	قلقيلية	معزول	87.000
27	17/012-15	جيوس	قلقيلية	معزول	124.000
28	17/015-15	عزبة سلمان	قلقيلية	معزول	153.000
29	17/018-15	عزون عتمة	قلقيلية	منطقة العزل	150.000
30	18/001-15	فلاميه	قلقيلية	منطقة العزل	135.000
31	18/002-15	جيوس	قلقيلية	معزول	114.000
32	18/003-15	فلاميه	قلقيلية	منطقة العزل	175.000
33	18/004-15	فلاميه	قلقيلية	معزول	130.000
34	18/005-15	فلاميه	قلقيلية	منطقة العزل	175.000
35	18/020-15	فرعون	طولكرم	معزول	193.000
36	18/021-15	الراس	طولكرم	معزول	-
37	18/025-15	كفر صور	طولكرم	معزول	-
38	19/029-15	دير الغصون	طولكرم	منطقة العزل	352.000
39	19/036-15	عتيل	طولكرم	معزول	299.000
40	19/011-15	زيتا	طولكرم	معزول	141.000
41	20/001-15	باقه الشرقية	طولكرم	معزول	244.000
42	20/002-15	باقه الشرقية	طولكرم	معزول	122.000
43	A20/002-15	باقه الشرقية	طولكرم	معزول	595.000
44	20/003-15	نزلة عيسى	طولكرم	معزول	237.000
45	20/004-15	باقه الشرقية	طولكرم	معزول	345.000
46	20/005-15	باقه الشرقية	طولكرم	معزول	194.000
47	20/006-15	باقه الشرقية	طولكرم	معزول	234.000
48	20/007-15	باقه الشرقية	طولكرم	منطقة العزل	151.000
49	21/001-15	رمانه	جنين	معزول	-

50-	21/006-15	رمانه	جنين	معزول	–
51-	المجموع				6.705.000

شبكة المنظمات البيئية, بنجون. أوقفوا جدار الفصل العنصري في فلسطين.

تصنيف الآبار بالنسبة لكونها معزولة أو في منطقة العزل تم لأن بعض الآبار لم تكن قد عزلت بعد عند كتابة هذه الدراسة, لكنها ستعزل فيما بعد لأنها تقع ضمن منطقة العزل كما أعلنت إسرائيل عن ذلك. قد يزداد عدد الآبار المتضررة بفعل الجدار في المرحلة الأولى إلى 48 بئراً أخرى تقع شرقي القسم الغربي من الجدار، وذلك لأن إسرائيل تعمل على توسيع مجال المنطقة الأمنية للجدار لتشمل الأراضي القريبة منه، وبما أن هذه الآبار تكون في مجال هذه المنطقة الأمنية فإنه سيصبح من الصعب على الفلسطينيين استخدامها، بل إن إسرائيل قد تحرمهم نهائياً من استخدامها[250].

إن فقدان هذا الكم من الآبار وخزانات المياه يعني أن الفلسطينيين سيفقدون ما معدله % 22.7 تقريباً من المياه التي كانوا يأخذونها من الحوض الغربي قبل البدء بناء الجدار.هذا الأمر سيزيد من تفاقم أزمة المياه الموجودة أصلاً نتيجةً السياسات المائية المختلفة التي مارستها سلطات الاحتلال الإسرائيلي على مدى تواجدها في الضفة الغربية.

المرحلة الثانية من القسم الغربي من الجدار تؤدي إلى تضرر عدد آخر من الآبار الارتوازية والمنشآت المائية التي تعود للفلسطينيين، لكن الملاحظ أن حجم الضرر في المرحلة الثانية من بناء القسم الغربي من الجدار بالنسبة للمياه تكون أقل من المرحلة الأولى بسبب أن 93% من الاراضي الفلسطينية المروية تقع في الجزء الشمالي من الضفة الغربية، وهي المناطق التي يشملها بناء المرحلة الأولى من الجدار، بالإضافة إلى مناطق الغور التي يشملها بناء الجدار الشرقي[251]. كما أن الآبار الارتوازية الفلسطينية المنشأة على الحوض الغربي والحوض الشمالي الشرقي مقامة في معظمها داخل مناطق بناء المرحلة الأولى لبناء الجدار. وهناك من يرى أنه

---

[250] سلطة المياه الفلسطينية. مرجع سابق. ص 4+9.

[251] وزارة الزراعة الفلسطينية. *السياسية الزراعية الفلسطينية*. 1999،

بُدىء العمل ببناء الجدار في تلك المنطقة نظراً لاعتبارات هيدرولوجية وليس لاعتبارات أمنيـة كما تقول إسرائيل[252]. حيث أن هذه المنطقة أغنى المناطق الفلسطينية بالمياه.

3: ب تأثير القسم الشرقي من الجدار على المياه في الضفة الغربية

ذكرت سابقاً أن الجزء الغربي من الجدار تم بناؤه على أهم منطقة مائية في الضـفة الغربيـة, وبينت انعكاسات ذلك على هذا القطاع الهام. بالنسبة إلى بناء الجزء الشرقي من الجـدار، فإنـه سيؤدي إلى ضم المنطقة المائية الشرقية بشكل كامل والتي يبلغ معدل تصريفها ما يصـل إلـى 175 مليون متر مكعب سنوياً. وهذا بالطبع له مدلولات وانعكاسات مهمة فيما يتعلق بالوضـع المائي للفلسطينيين في الضفة الغربية. إذ سيؤدي بناء هذا الجزء إلى عزل كافة الآبار الفلسطينية المقامة في منطقة الأغوار عدا تلك المتواجدة في منطقة أريحا. ويقدر عدد الآبار التـي تعـزل بسبب بناء هذا الجزء وأجزاء أخرى غير تلك التي تمت في المرحلة الأولى من بناء الجدار في جزئه الغربي إلى 80 بئراً ارتوازياً معظمها يعزلها الجزء الشرقي من الجدار[253] . إضافة إلـى أنه سيتم التأثير على 15 بئراً أخرى نتيجة للإجراءات الأمنية التي يقوم بها الجيش الإسـرائيلي لعمق 0.5 كم على جانبيه[254].

لا يقتصر تأثير بناء القسم الشرقي من الجدار على السيطرة الكاملة علـى الآبـار الارتوازيـة الفلسطينية المقامة على الحوض الشرقي فقط، بل سيؤدي أيضا إلى السيطرة على الينابيع الكثيرة المنتشرة في الأغوار الفلسطينية. وكما ذكرت سابقاً يعتمد الفلسطينيون كثيرا علـى ميـاه هـذه الينابيع في ظل التضييق عليهم لمنعهم من استخدام مصادر المياه المتوفرة لـديهم فـي الضـفة الغربية، ويقدر مجموع الينابيع التي تتأثر ببناء الجدار الفاصل بشكل عام بحـوالي 53 ينبـوع ويقدر تصريفها الطبيعي إلى ما يصل 22 مليون متر مكعب سنويا. وبـالطبع سـيتعذر علـى الفلسطينيين الاستفادة من هذه المياه في حالة إتمام بناء الجزء الشرقي من الجدار.

---

[252] التميمي، عبد الرحمن: *طريق الجدار تقوم على السيطرة الكاملة على مصادر المياه الفلسطينية*. مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين. مرجع سابق. ص 1.

[253] مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين: *معلومات عن جدار الفصل العنصري*. مرجع سابق. ص 5

[254] سلطة المياه الفلسطينية. مرجع سابق. ص 10.

إضافة إلى ذلك فإن بناء القسم الشرقي من الجدار، سيؤدي إلى أن يصبح الجدار يمثل الحـــدود الشرقية للأجزاء المتبقية للفلسطينيين من الضفة الغربية، وهذا يعني بأن المناطق الفلسطينية لـــن تعود ملاصقة لنهر الأردن, مما يؤدي إلى حرمان الفلسطينيين من حقوقهم التاريخية فـــي ميـــاه نهر الأردن التي قدرت بحوالي 215 مليون متر مكعب سنوياً حسب خطة جونسون التي قسمت مياه النهر بين الدول المجاورة له[255].

[255] مجموعة الهيدرولوجيين: *معلومات عن جدار الفصل العنصري*. مصدر سابق. ص 5.

الفصل الرابع

أثر الجدار على الأنشطة الإنسانية في الضفة الغربية

لا يمكن فصل التنمية السياسية عن التنمية في مختلف جوانب حياة الإنسان، فكل جانب من هذه الجوانب يؤثر ويتأثر في الجوانب الأخرى. من هنا لا بد من توضيح مدى تأثير بناء الجدار على أهم جوانب ومجالات حياة الإنسان، والتي أحددها في هذا الفصل من هذه الدراسة، في الجوانب الاقتصادية والتعليمية والصحية، ويمكن الاستدلال على مدى ما يلحق بالتفاعل الاجتماعي للفلسطينيين من خلال الحديث عما تحدثه الجدران من أثر على إمكانية التواصل السكاني للمواطنين الفلسطينيين في الضفة الغربية، والذي أوضحته في فصل سابق. كما أنني سأفرد المبحث الأول في هذا الفصل للحديث عن أثر الجدار على حرية الحركة للإنسان الفلسطيني في الضفة الغربية، كون حرية الحركة تشكل عاملاً مشتركاً غايةً في الأهمية لأي نشاط يريد أن يقوم به الإنسان. أما المبحث الثاني في هذا الفصل فسأتحدث به عن أثر الجدار على الأوضاع الاقتصادية والتعليمية والصحية للفلسطينيين في الضفة الغربية.

المبحث الأول

أثر الجدار الفاصل على حرية الحركة في الضفة الغربية

يمكننا اعتبار أن حرية الحركة ترتبط ارتباطاً وثيقاً ومباشراً في التنمية السياسية. لأنهـا تشـكل ضرورة قصوى لأي نشاط يقوم به الإنسان في مسعاه لتطوير وتنمية ذاته، وتمثل محور كافـة الأنشطة الإنسانية، سواءً على الصعيد السياسي أو الاجتمـاعي أو الاقتصـادي أو الصـحي أو التعليمي, الخ[256]. لهذا فإن من أخطر ما أصاب حياة الإنسان الفلسطيني بفعل بناء الجدار هو ما يتعلق بتقييد الحركة والتنقل. حيث أدى إلى الحد كثيراً جدا من حرية الحركة والتنقل للفلسطينيين داخل الضفة الغربية، وتحديداً في المناطق التي يؤثر عليها الجدار بشكل مباشر، وهي واسـعةٌ جداً وتشمل الحركة في معظم أنحاء الضفة الغربية وقد وصل الأمر إلى تشتيت بعض العائلات والأسر الفلسطينية عن بعضها بعضاً، ومنعها من اللقاء والتواصل الإجتماعي والعـيش كوحـدة اجتماعية واحدة[257].

1:1:4 تقييد حركة الفلسطينيين في المناطق التي يفصلها الجدار عن الضفة

عمدت إسرائيل بعد أن شرعت ببناء الجدار إلى إصدار قرار عسكري يحمل الـرقم (387)، 5720−1970، وذلك بتاريخ 2003/10/2. يتعلق بإغلاق ما أسـماه بمنطقـة التمـاس رقـم 2/03/س. وهي المناطق المحصورة بين الجدار الفاصل والخط الأخضر، أي المنـاطق التـي يفصلها الجدار عن الضفة الغربية. القرار المذكور يُعتبر من الناحية العملية تجسيداً صريحاً لقيام إسرائيل بضم عملي لتلك المناطق. حيث أن لإغلاق تلك المناطق مدلولات تؤكد ما ذهبت إليـه وهي:

---

[256] منظمة العفو الدولية. **تأثير القيود المفروضة على التنقل على حق العمل**. وثيقة رقمMDEIO/001/2003 أيلول 2003. ص 39.

[257] منظمة العفو الدولية. **إسرائيل والأراضي المحتلة: تقطيع الأوصال وتشتيت شمل العائلات الفلسطينية نتيجة السياسات القائمة على التمييز**. وثيقة رقمMDE/15/063/2004. تموز 200. ص 7.

أ/ عدم السماح بدخولها أو الإقامة بها لغير الإسرائيليين إلا بالحصول علـى تصـريح خـاص يصدر عن القيادة العسكرية الإسرائيلية[258]. هذا يعني أن القرار الإسرائيلي يمنع الفلسطينيين من دخولها سواء أولئك المقيمين فيها أو الذين تقع أراضيهم ومزارعهم داخلها، ويمنعهم من البقـاء فيها إلا بعد حصولهم على تصاريح خاصةٍ تسمح لهم بذلك.

ب/ إسرائيل لا تضع أي قيودٍ على الإسرائيليين تمنعهم من دخول تلك المناطق أو الإقامة فيهـا، بل أنها تعتبر ذلك حقاً من حقوقهم، وحق لأي يهودي في العالم[259]. كما أنها تسـمح للسـياح أو مواطني الدول الأخرى الذين يزورون إسرائيل بحرية الدخول إلى تلك المناطق[260]. هذا التعامل من قبل إسرائيل يعني أنها أصبحت تعتبر المناطق التي أشار إليها القرار كأنها جزءٌ لا يتجـزأ من كيانها

ج/ الأمر الخطير أنه لا يوجد في القرار ما يضمن أن إسرائيل ستمنح تصـاريح للفلسـطينيين المقيمين في تلك المناطق، أو الذين يعملون فيها داخل حقولهم ومزارعهم. وحتى إذا منحتهم تلك التصاريح فلا يوجد ما يضمن احترامها لتلك التصاريح[261].

بناء الجدار يشكل حاجزاً مادياً يؤدي إلى تحطيم قدرة الإنسان على المرور إلى جانبيه، وهذا ما يخلق وضعاً إنسانياً كارثياً. وقد أكدت ذلك منظمة الصليب الأحمر الدولي في بيـان أصـدرته بتاريخ 2003/2/18 جاء فيه أن الجدار مخالف لجميع القوانين الدولية الإنسانية كونه مقاماً على أراضٍ محتلة. كما بينت أن الجدار يحرم آلاف الفلسطينيين من الوصول بشـكل مناسـب إلـى الخدمات الأساسية التي يحتاجونها في حياتهم، مثل الحصول على الميـاه والخـدمات الصـحية والتعليم، وفي نفس الوقت فإنه يمنعهم من التواصل مع المجتمع الفلسطيني الذي ينتمون إليه[262]. وفي رسالة أرسلتها منظمة حقوق إنسان أمريكية تسمى هيومن رايتس إلى الرئيس الأمريكـي، أفادت خلالها أن الجدار بمساره الذي تنفذه إسرائيل، وبالإجراءات العملية المرتبطة به، يـؤدي

---

[258] شبكة المنظمات البيئية الفلسطينية, بنجون: **مجلة أوقفوا الجدار**. ع 2. ص 1 . تشرين أول 2003الى كانون ثاني 2004

[259] بتسيلم. **الجدار الفاصل: النظام الجديد في منطقة التماس**

[260] بتسيلم. **الجدار الفاصل: النظام الجديد في منطقة التماس**. مرجع سابق . ص 1

[261] دائرة شؤون المفاوضات, م.ت.ف. **حقائق عن الجدار**. مرجع سابق. ص 17.

[262] الدجاني، فاتنه، وحمد، سائده : *الجدار الفاصل النكبة الثالثة للفلسطينيين*. **صحيفة الحياة**. لندن/ 2004/2/23.

إلى انتهاك حقوق الفلسطينيين في حرية التنقل، وهو ما يهدد قدرتهم على الوصول إلى المـوارد الهامة لحياتهم كالغذاء والماء والخدمات الطبية والتعليمية. كما يؤدي إلى عزل تجمعات سـكانية عن أراضيهم ومزارعهم. وهذا الإجراء يمس عشرات الآلاف من الفلسطينيين[263].

من هنا يبدو أن إسرائيل تنبهت إلى بعض النتائج التي تكون في غنى عنها بسـبب مؤثراتهـا السلبية عليها، سواء تلك التي تتعلق بالوضع الداخلي، مثل ردود الفعل للمـواطنين الفلسـطينيين الذين يجدون أنفسهم في حصار مطلق دون أي متنفس، أو تلك التي تتعلق بالوضع السياسي من خلال نظرة العالم إلى إسرائيل، وإمكانية وصفها بدولة فصل عنصري. لذا فقد قامت إسـرائيل بمحاولة تنفيس هذه الاحتمالات والعمل على تخفيف ردود الفعل حول ما قامت به مـن إجـراء كارثي على المواطنين الفلسطينيين, وذلك من خلال إعلانها بأنها ستقوم بعمل بوابـات خـلال الجدار حتى تسمح للمواطنين الفلسطينيين المرور على جانبي الجدار.

2:1:4/ العمل بنظام فرض التصاريح إجراء على طريق تعقيد حياة الفلسطينيين

صدر قرار إسرائيلي ثانٍ حول وضع ترتيبات خاصة للسماح للفلسطينيين الذين يقطنون المناطق التي تم إغلاقها بالقرار الأول أو الذين تقع أراضيهم في تلك المناطق. صدر القرار تحت عنوان الترتيبات العسكرية/ تصريح عام للدخول إلى منطقة التماس أو الإقامة فيهـا[264]. صـدر هـذا القرار متزامنا مع القرار الأول, ويأتي مكملاً له في محاولة لتجميله والتخفيف مـن انعكاسـاته السياسية التي قد تُظهر إسرائيل كدولة فصل عنصري أمام العالم. حيث أن تطبيـق القـرارات الإسرائيلية يعني أن على إسرائيل طرد المواطنين الفلسطينيين المقيمين غرب الجدار من بيوتهم وقراهم، استناداً إلى ما جاء به ذلك القرار, باعتبار المنطقة المقيمين فيها منطقة مغلقـةً حسـب القرارات والمعايير الإسرائيلية[265]. وقد أوردت منظمة حقوق الإنسان الإسرائيلية بتسيلم تفسـيرا لهذه القرارات الإسرائيلية, جاء فيها أنه لا يجوز للمواطن الفلسطيني البقاء في بيته الواقـع فـي المنطقة المغلقة ما لم يحصل علي تصريح من "الإدارة المدنية" الإسرائيلية تمكنه من ذلك وفـي

---

[263] المصدر السابق.

[264] بنجون. **مجلة أوقفوا الجدار**. ع2. ص 1. تشرين أول- كانون ثاني 2004

[265] بتسيلم. **الجدار الفاصل: النظام الجديد في منطقة التماس/ صفحة1**. www.aljazeera.net

حالة عدم حصوله على التصريح فعليه أن يترك بيته[266]. هذا الإجراء لو تم بشكل مباشر استنادا إلى القرار الذي يقضي باعتبار المناطق التي يفصلها الجدار مناطق مغلقة, ولم يتم إصدار القرار الثاني فإنه يعني تهجير جماعي للفلسطينيين، الأمر الذي لن يكون مستساغاً من الناحية السياسية أمام العالم. لذا فقد جاء القرار الثاني القاضي بفرض العمل بنظـام التصـاريح ليغطـي هـذه الإشكالية. حيث أن العمل بنظام التصاريح يعني إفساح المجال لإسرائيل للـتحكم بمـنح هـذه التصاريح, والتجربة العملية تشير أنها تعقد هذا الأمر كثيرا على الفلسطينيين. في نفس الوقـت تحاول أن تُظهر للعالم أن بناؤها للجدار جاء لحماية نفسها من هجمات الفـدائيين الفلسـطينيين، ولأنها لا تريد أن تضيق على المواطنين الفلسطينيين المقيمين خلف الجـدار أو الـراغبين فـي الدخول إلى المناطق التي يعزلها، فقد قامت بإصدار تصاريح تمنحها لهم للتسهيل علـيهم فـي الإقامة والمرور عبر البوابات التي أقامتها خلال الجدار. إلا أن حقيقة ما يجـري علـى أرض الواقع يختلف كلياً ويتناقض مع ما تحاول إسرائيل إظهاره أمام العالم. وسـأبين لاحقـا مـدى التعقيدات التي تضعها إسرائيل أمام الفلسطينيين للحصول على التصاريح, أو أمام تحركهم فـي المناطق المغلقة. حيث سأتناول بعض السمات التي تتصف بها الكيفية التي تدير بهـا إسـرائيل عملية مرور وحركة الفلسطينيين في المناطق القريبة من الجدار, عبر البوابات التي أنشأتها.

تأتي التجليات الناجمة عن الكيفية التي تمارسها إسرائيل فـي التعـاطي مـع موضـوع مـنح التصاريح, لتؤكد أن العمل بنظام التصاريح ما هو إلا إجراء يهدف في حقيقة الأمر إلى تعقيـد حياة المواطنين الفلسطينيين والتضييق عليهم. وصولاً إلى أحد أهداف بناء الجدار وهو تهجيـر الفلسطينيين المقيمين في المناطق التي يحاصرها, والمناطق القريبة منه. لكـن بطريقـةٍ غيـر مباشرة وعلى مدى طويل نسبيا. من خلال مختلف أشكال التضييق سواء التي ذكرتها أو التـي سآتي عليها، وذلك حتى لا تظهر حقيقة ما تقوم به إسرائيل من ممارسات تصـل إلـى درجـة جرائم الحرب.

---

[266] المرجع السابق. ص 1-2 .

3:1:4/ كيفية ممارسة إسرائيل العمل بنظام التصاريح

قامت إسرائيل بفرض الحصول على تصاريح خاصةٍ لكافة المواطنين القاطنين خلــف الجــدار الذين تزيد أعمارهم عن 12 سنه، وذلك حتى يتمكنوا من البقاء في بيوتهم. وكل مــن يُــرفض طلبه الحصول على هذا النوع من التصاريح من حقه الاعتراض والمثول أمام لجنة عســكرية، وإذا رفضت هذه اللجنة طلبه فان عليه الرحيل من بيته ومكان سكنه, حسب التفسير الذي أورده مصدر إسرائيلي للقرار[267]. في نفس الوقت فإن إسرائيل تقوم بمنح تلك التصاريح بشكل انتقائي وليس لكافة من يلزمهم ذلك، وتشير بعض التقارير إلى أن 40% فقط من الذين تقدموا بطلبــات للحصول على تصاريح قبلت طلباتهم[268].

الجدول التالي يعطينا مؤشراً على مدى تجاوب إسرائيل في منح التصاريح[269]:

جدول رقم (11): واقع منح إسرائيل التصاريح للفلسطينيين

القرية	عدد المواطنين المقدمين للتصاريح	عدد الذين حصلوا عليها
قلقيليه	1800	400
حبله	140	32
راس عطيه	300	100
كفر ثلث	500	104
عزبة سلمان	92	4
عزون	140	40
الراس	60عائله	30 عائله
زيتا	330	30
قفين	1500	300
عتيل	120	83
دير الغصون	280	3
عانين	200	بضع عشرات

[267] بتسيلم. **الجدار الفاصل: النظام الجديد في منطقة التماس**. مرجع سابق

[268] دائرة شؤون المفاوضات. **النشاطات الإسرائيلية المتعلقة بالجدار الفاصل**. 2004/2/19. ص 11.

[269] بنجون: **مجلة أوقفوا الجدار**. ع2. ص 7. تشرين أول 2003-كانون ثاني 2004.

عزبة طبيب	10 أرباب عائلات	5 أرباب عائلات
عسله	42	5
النبي الياس	50	10
سنيريا	20	8
راس طيرة	400	280
فلامية	200	400 جزء لمواطنين لا يسكنوها
كفر جمال	400	500 جزء لمواطنين لا يسكنوها
عزبة جلعود	45	40
كفر صور	331	200

بنجون. مجلة أوقفوا الجدار. عدد2. تشرين أول 2003- كانون ثاني 2004.

يستند التصرف الإسرائيلي الذي يتجلى بعدم منح غالبية الفلسطينيين الذين يقطنون في المناطق خلف الجدار، والذين لهم حقول وأراضٍ خلفه، إلى مضمون الأمر الإسرائيلي المتعلق بمنح التصاريح. حيث يوجد في ذلك الأمر ما يعطي القائد العسكري الإسرائيلي الحق في رفض منح التصاريح لأي أشخاص فلسطينيين لا يرى أنه تنطبق عليهم شروط منح التصاريح[270]. هذا يفتح المجال واسعاً للتنكيل والتضييق بشكل كبير على من لم يحصلوا على تصاريح، وكذلك يجعلهم مهددين بالطرد والتهجير من بيوتهم أو أراضيهم التي يعملون بها أو يملكونها . وتسهم أيضاً في تقييد حركتهم وتنقلهم إلى أبعد الحدود، لأن تحركهم في تلك المناطق بحد ذاته يصبح معارضاً للقانون الإسرائيلي الصادر بالقرار العسكري المتعلق بإغلاق الأراضي[271].

ما يؤكد أيضاً أن العمل بنظام التصاريح ما هو إلا تطبيق لسياسة الخطوة خطوة في تهجير المواطنين الفلسطينيين من بيوتهم وأراضيهم الواقعة خلف الجدار أو القريبة منه هو أن التصاريح الممنوحة لهم تكون لفترة محدودة، وعلى المواطنين التقدم عد انتهاء تلك الفترة بطلب جديد للحصول على تصاريح جديدة[272]، ليس هناك أية ضمانة لمن تنتهي فترة تصريحه أنه سيمنح تصريحاً جديداً. وتشير التجربة العملية أن قائمة غير الحاصلين على تصاريح للسكن في

---

[270] بنجون. **مجلة أوقفوا الجدار**. ع2. ص1. مرجع سابق.
[271] المرجع السابق ص 1.
[272] بنجو ن. **مجلة أوقفوا الجدار**.ع 2. ص 7. مرجع سابق.

بيوتهم أو الدخول إلى أراضيهم ستكبر وصولاً إلى عملية تهجير ممنهجة تقوم بهـا إسـرائيل، وتؤدي إلى إخلاء المواطنين الفلسطينيين من أراضيهم وأماكن سكنهم التي عزلهـا الجـدار[273]. وسأتناول هذا الموضوع بشكل بارز فيما يلي.

4:1:4 الإجراءات الجديدة للحصول على تصاريح في المناطق التي يفصلها الجدار

إمعاناً في التضييق على الفلسطينيين الراغبين بالحصول على تصاريح تمكنهم من السـكن فـي بيوتهم أو العمل في قراهم، قامت إسرائيل بفرض إجراءات جديدة ابتداءً من 20 كـانون ثـاني 2004 تتعلق بشروط الحصول على تصريح. هذه الإجراءات غايةً في التعقيد إضافة إلى أنهـا تتطلب من الفلسطينيين في أحيان كثيـرة بيـع أنفسـهم للمخـابرات الإسـرائيلية ثمنـاً لتلـك التصاريح[274].

تتلخص اشتراطات الحصول على تصريح، أن يقدم كل مواطن يسعى للحصول عليـه أوراقـاً تثبت ملكيته لأرض في المناطق المغلقة، على أن تكون هذه الأوراق مصدقةً مـن قبـل الإدارة المدنية الإسرائيلية. كما يشترط على كل متقدم للحصول على تصريح أن يكون حاصـلاً علـى بطاقة ممغنطةٍ صادرةٍ عن المخابرات الإسرائيلية[275]. في هذه الاشتراطات مخاطر كثيرة إذ أنها تربط مصير تمكن الإنسان الفلسطيني من المبيت في بيته أو الدخول إلى أرضه والعمـل بهـا بالمخابرات الإسرائيلية. والتجربة التاريخية الطويلة فيما يتعلـق بالاحتياجـات التـي تربطهـا إسرائيل مع المخابرات، تشير في كثير من الأحيان أن المطلوب من الفلسطيني للحصول علـى موافقة المخابرات الإسرائيلية في أي قضية تتعلق باحتياجات حياته أن يتحول إلى عميل يتعاون معها في قمع أبناء شعبه[276]. ولهذا أصبح الحصول على التصاريح وسيلة ضغط جديـدة علـى الفلسطينيين بدل أن يكون نظاما لتسهيل حياة الفلسطينيين. إضافة إلى ذلك فإن تحقيق اشتراطات الحصول على تصاريح تتطلب القيام بإجراءات معقدةٍ ألخصها بما يلي:

---

[273] بنجون. **مجلة أوقفوا الجدار**. ع2. ص 1-2. مرجع سابق.
[274] بتسيلم. **الجدار الفاصل: إنتهاك الإنسان الفلسطيني نتيجة لإقامة الجدار الفاصل**. ص 2.
[275] دائرة شؤون المفاوضات. **النشاطات الإسرائيلية المتعلقة بالجدار الفاصل**. 2004/2/19. ص 11. مرجع سابق
[276] بتسيلم. **الجدار الفاصل: النظام الجديد في منطقة التماس**. مصدر سابق.

4:1:4أ / ضرورة الحصول على وثائق إثبات ملكية أرض في المنطقة المغلقة، على أن تكون هذه الإثباتات مصدقةً من قبل الإدارة المدنية الإسرائيلية. هـذه المصـادقة تتطلـب أن يرفـق الشخص مع وثائق الملكية إعلاناً ينشر في الصحف المحلية لمدة أسبوع، ثم المثول أمام القاضي في المحكمة مع شاهدين لكي يشهدا على صحة ما يقدمه من بيناٍت. بعد ذلك يرجع الفلسـطيني إلى المحكمة ليصادق على أن الأرض غير مباعة لآخرين. كما أن المصـادقة تتطلـب إثبـات صحة اسم مالك الأرض، إذ أن هناك اختلافا في أسلوب توثيق ملكية الأراضي ما بين الجانـب الأردني الذي حكم الضفة قبل الإسرائيليين وبين الأسلوب الإسـرائيلي. كانـت الأردن تعتمـد الأسماء الثلاثة الأولى للشخص بعد اسمه الشخصي دون أن تظهر اسم العائلة، بينمـا الوثـائق الرسمية الإسرائيلية تعتمد اسمين فقط بعد الاسم الشخصي ثم تضع اسم العائلة. هـذا أدى إلـى اختلاف في الاسم الرابع لكل شخص مابين الوثائق الأردنية التي كانت معتمـدة فـي تسـجيل الأراضي، والوثائق الإسرائيلية التي سيتم الاستناد إليها في ملكية الأرض. بعد ذلك يُطلب مـن الشخص الحصول على مصادقة البلدية بصحة كامل المعلومات المذكورة أعلاه. بعد كـل هـذه الإجراءات يقوم الشخص المعني بتقديم كل هذه الوثائق إلى الإدارة المدنية وينتظر ردها علـى طلبه الحصول على إثبات ملكيته للأرض.

4:1:4: ب/ إذا حصل الشخص على وثيقة ملكية الأرض من قبل الإدارة المدنيـة الإسـرائيلية يستطيع عندها التقدم بطلب الحصول على بطاقة شخصية ممغنطة، وهذه تتطلب الحصول علـى موافقة المخابرات الإسرائيلية. تحتاج هذه العملية فترة زمنية تتراوح بين 2–3 أسابيع.

4:1:4: ج/ في حالة حصل الشخص على البطاقة الممغنطة يجوز له التقـدم للحصـول علـى تصريح ويكون الرد في هذه المرحلة مرهونا بموافقة المخابرات الإسرائيلية أيضاً. والتي يـأتي ردها في الغالب سلبيا[277].

---

[277] دائرة شؤون المفاوضات. **النشاطات الإسرائيلية المتعلقة بالجدار الفاصل**. ص 11-12. مرجع سابق

تذكرنا كل تلك الإجراءات المطلوبة بالسياسات البريطانية التي كانت تهدف إلى دفع المواطن الفلسطيني للتخلي عن أرضه وعدم تسجيلها باسمه هرباً من تبعات الضرائب التي كانت مفروضة آنذاك. ولا يختلف هدف السياسات الإسرائيلية من خلال العمل بنظام التصاريح عن الهدف غير المعلن والقاضي بجعل الفلسطيني يترك بيته وأرضه. لأنه لا يستطيع في أغلب الأحيان الحصول على موافقة الجهات الإسرائيلية لاستمرار في مسيرة طلب التصريح.هذا يؤكد أن العمل بنظام التصاريح جاء كخطوة أخرى في تعقيد حياة الفلسطينيين المقيمين خلف الجدار أو التي تقع أملاكهم خلفه. وقد وصل الأمر ليقوم بعض المواطنين الذين لم يستطيعوا الحصول على تصاريح بإعطاء أراضيهم دون مقابل إلى مواطنين آخرين حصلوا على تصاريح من أجل زراعتها. وفي أحيانٍ أخرى ترك بعض المواطنين العمل في أراضيهم وأصبحت بورا دون زراعة[278].

5:1:4 العمل بنظام البوابات

أنشأت إسرائيل العشرات من البوابات خلال الجدار، ويبلغ عرض البوابة حوالي 15 متر. تبعد كل بوابه عن الأخرى عدة كيلومترات، ويقوم عدد من الجنود بحراسة البوابة عندما تكون مفتوحة، ليعملوا على إدارة مرور السكان الفلسطينيين خلالها. لكن لوحظ أن الجنود الإسرائيليين يقومون بالتحكم في إدارة هذه البوابات بشكل مزاجي. يظهر هذا من خلال ما يقومون به من ممارسات استفزازية ومهينة للمواطنين الفلسطينيين الذين تستدعي ضرورات حياتهم القصوى المرور من خلال تلك البوابات[279]. إضافة إلى ذلك لا يقوم الجنود بإدارة المرور عبر البوابات من خلال نظام محدد ينظم عملية المرور بحيث يتمكن الإنسان الفلسطيني من ترتيب أموره بشكل ينسجم مع ذلك النظام, بل هناك فوضى يبدو أنها متعمدة, في مواعيد فتح وإغلاق البوابات. وفي كثير من الحالات لا يتم فتح البوابات إلا لفترات قصيرة جداً. نظراً لهذه

---

[278] بنجون. **أوقفوا جدار الفصل العنصري في فلسطين**. مرجع سابق

[279] د.سليمان، نائل وأبو ردينه، إياد: *السياسات والمخططات الإسرائيلية للعزل والاستيطان في الاراضي الفلسطينية*. القدس،أريج. ص 11.

التصرفات الإسرائيلية يضطر الفلسطينيون للوقوف لساعات طويلة حتى يسمح لهم الجنود بالمرور لقضاء ضرورات حياتهم أو العودة إلى بيوتهم[280].

يمكن أن نلخص الكيفية التي تدير بها إسرائيل عملية مرور الفلسطينيين بين جانبي الجدار من خلال البوابات بما يلي[281]:

5:1:4:أ/ قيام إسرائيل بإغلاق بوابات الجدار المخصصة لمرور المواطنين الفلسطينيين إغلاقاً تاماً، وعدم السماح لأي كان بالمرور خلال تلك البوابات مهما كانت ضرورة ذلك. وقد أدى هذا الإجراء إلى موت بعض الفلسطينيين وهم ينتظرون سماح جنود الاحتلال لهم بالمرور عبر البوابات حتى يتمكنوا من الحصول على العلاج. إلا أن ذلك لم يتم مما أدى في عدة حالات إلى موت الشخص الذي ينتظر على البوابة.

5:1:4:ب منع سيارات النقل من دخول الأراضي الزراعية في أغلب الأحيان، مما يؤدي إلى صعوبة كبيرة في نقل المنتجات الزراعية إلى الأسواق، وكذلك إلى صعوبة نقل الاحتياجات الزراعية إلى الأراضي الزراعية التي يفصلها الجدار.

5:1:4:ج تحديد ساعات معينة لفتح البوابات، ويتم ذلك بشكل لا يتناسب مع احتياجات شرائح المجتمع المختلفة، كالطلاب والعمال والمزارعين والموظفين, الخ. وفي أغلب الأحيان لا يلتزم جنود الاحتلال بأوقات منتظمة لفتح أو إغلاق البوابات. وكثيراً ما أدى هذا إلى جعل المزارعين وأسرهم المبيت في العراء بسبب أن جنود الاحتلال أغلقوا البوابات قبل الموعد المعطى من قبلهم، وبالتالي لم يسمحوا لهم العودة إلى بيوتهم على جانبي الجدار.

5:1:4:د تحديد سن من يسمح لهم بالمرور عبر البوابات سواء رجالاً أم نساءً.

---

[280] بنجون. **مجلة أوقفوا الجدار،** ع1 . ص 3. مرجع سابق
[281] بنجون. **مجلة أوقفوا الجدار،** ع 2 . ص 1. مرجع سابق

5:1:4:ه في كثير من الحالات يقوم الجنود الإســرائيليون بمضـــايقة المـــواطنين الفلســـطينيين وإهانتهم أثناء تفتيشهم عندما يحاولون المرور عبر البوابات. كما يقوم الجنود في أغلب الأحيان بتأخير مرور المواطنين عبر البوابات.

5:1:4: و تحديد البوابة التي على كل مواطن يحمل تصريحاً, المرور من خلالها، وعدم السماح له بالمرور من بوابة غيرها. ويكون رقم البوابة مدوناً على التصريح الذي يحمله [282].

5:1:4: ز في بعض الحالات لا يتم فتح البوابات معظم أيام الشهر مما يؤدي إلى عزل ســـكان المناطق المقابلة لتلك البوابات عن العالم[283].

إن الكيفية التي تدير بها إسرائيل عملية الدخول والخروج عبر البوابات المقامة خـــلال الجـــدار الفاصل تظهر بوضوح مدى ما يلحق بالفلسطينيين من أذى نفسي ومادي، وتقييد لحركتهم بشكل يجعل الحياة مستحيلةً في ظل هكذا ظروف، الأمر الذي سينتج عنه انعكاسات تمس كافة نواحي الحياة. لهذا من المتوقع أن يسعى الإنسان للتخلص من تلك الظروف، وقد تكون الهجرة الداخلية أحد وأهم الطرق التي يحاول من خلالها الإنسان تلافي هذا الوضـــع الكـــارثي. هـــذه المســـالة سأتطرق إليها في معرض حديثي عن أهداف الجدار الفاصل خلال الفصل الخامس.

---

[282] بتسيلم. ***الجدار الفاصل: النظام الجديد في منطقة التماس***. مرجع سابق

[283] بنجون. **مجلة أوقفوا الجدار**. ع2. ص 2. مرجع سابق

المبحث الثاني

تأثير الجدار على الاحتياجات الاقتصادية والتعليمية والصحية في الضفة الغربية

اصطلح على أن أخطر ما يصيب المجتمعات من آفات تحد من تطورها، وتقطع الطريق على

مختلف توجهات تنميتها هو الثالوث المتمثل بالفقر والجهل والمرض. لذلك فإن أول ما تواجهه الدول والأنظمة السياسية من تحديات داخل مجتمعاتها هو العمل على محاربة هذا الثالوث. لا يمكن الانطلاق بالمجتمعات تنمويا، والعمل على تطويرها في أي مجال من المجالات طالما بقي هذا الثالوث يستوطن داخلها. من هنا يأتي الربط بين التنمية السياسية وهذه الأنشطة الإنسانية المتعلقة بالأوضاع الاقتصادية والتعليمية والصحية. لهذا فقد ارتأيت أن أُلقي الضوء على ما يحدثه بناء الجدار من أثر على هذه الأنشطة الرئيسة الثلاث. كما أن كافة الدول والأنظمة السياسية تحرص على وضع هذه الأنشطة في رأس سلم أولوياتها، نظرا لأهميتها وتأثيرها المباشر على إمكانية تطوير وتنمية الشعوب.

:2:4/ تأثير بناء الجدار على الأوضاع الاقتصادية في الضفة الغربية

يؤثر الوضع الاقتصادي على مختلف الأوضاع التي تهم الإنسان، فإذا كان الوضع الاقتصادي للإنسان أو الدولة التي يعيش بها قويا، فإنهما يستطيعان تنفيذ أي برامج يريان أنها تؤدي إلى تنميتهما وتطويرهما وتحقيق أهدافهما التي يرسمانها على هذا الطريق في مختلف مجالاتهما واحتياجاتهما. من هنا سأقوم بتوضيح تأثير الجدار الفاصل على الوضع الاقتصادي للمواطنين الفلسطينيين في الضفة الغربية، حيث أرى أن له آثاراً سلبية بشكل كبير جدا على الاقتصاد الفلسطيني. أهم تلك القطاعات الاقتصادية التي يؤثر عليها الجدار الفاصل هو قطاع الزراعة. يعتبر قطاع الزراعة أحد أهم القطاعات الاقتصادية في الضفة الغربية حيث أنه يسهم بنسبة عالية من الدخل في الاقتصاد الوطني. تصل نسبة مشاركته في الاقتصاد الوطني إلى 30%, إضافة إلى أنه يستوعب نفس النسبة من حجم العمالة في الضفة الغربية[284]. في المناطق التي

[284] غانم, محمد: *الوضع الحالي للمياه في فلسطين*. أريج, سنة 2004.

يستهدفها الجدار بالفصل تزداد النسبة التي يستوعبها من حجم العمالة لتصل إلى 43%[285] . كما يقدر إنتاج المناطق التي يفصلها الجدار في مرحلته الأولى بنحو 42% من مجموع الإنتاج الزراعي في الضفة الغربية[286]. في تقرير أعدته وزارة الزراعة الفلسطينية, ذكر أن مجموع الخسائر التي تنجم عن الجدار تقدر بحوالي 37 مليون دولار، نصفها تقريبا ينجم عن التدمير المباشر لمختلف العناصر الإنتاجية في هذا القطاع[287]. تقوم إسرائيل بتجريف وتدمير الأراضي الزراعية واقتلاع الأشجار وتدمير شبكات الري، وقد قدرت العديد من المصادر أن ما تم اقتلاعه من أشجار بسبب بناء الجدار في مرحلته الأولى يصل إلى نحو 103000 شجره، معظمها من أشجار الزيتون التي لها مكانة خاصة في القطاع الزراعي لمساهمتها في دعم اقتصاد المزارع الفلسطيني. كما تم تدمير ما يقرب من 300دونم من الدفيئات والبيوت البلاستيكية[288]. لتوضيح الأضرار التي ألحقتها المرحلة الأولى في القطاع الزراعي ندرج تفاصيل الخسائر التي سببها بناء الجدار في مرحلته الأولى[289]:

- خسائر مباشرة نتيجة تدمير الموارد الاقتصادية(تكاليف رأسمالية وإنتاجية) على الأراضي التي أقيم عليها الجدار 18.877.981 دولار.
- خسائر غير مباشره بقيمة 7.490.244 دولار (خسائر جزئية للإنتاج الزراعي في المناطق المعزولة) نتيجة تدني مستوى الإنتاج أو النوعية أو انخفاض الأسعار أو عدم القدرة على التسويق.
- تقدير تكاليف الطرق الزراعية التي تم إنشائها من قبل المؤسسات الفلسطينية ودمرت أو تضررت في المناطق المتضررة بنحو 3.360.000 دولار.
- تقدير قيمة فرص العمل الزراعية الضائعة في المناطق المتضررة بحوالي 1.770.000 دولار, تنجم عن فقدان 376 فرصة عمل سنوياً.

---

[285] بنجون: **أوقفوا جدار الفصل العنصري في فلسطين**, مرجع سابق. ص 42.
[286] بنجون, **أوقفوا جدار الفصل العنصري في فلسطين**, مرجع سابق. ص42.
[287] العطياني، خالد: **تقرير أضرار الجدار الفاصل على قطاع الزراعة**. وزارة الزراعة الفلسطينية 2004.
[288] السلطة الوطنية الفلسطينية، المركز الصحافي الدولي. **تقرير فلنقاوم الجدار حتى ينهار**، 2004/2/23. ص11.
[289] العطياني، خالد: مرجع سابق.

- تقدير قيمة فرص العمل الزراعي بنحو 10.441.232 دولار والتي تقدر 2563 فرصة عمل سنوية، وقد تم احتساب 50% من هذه الفرص الضائعة 5.220.616 دولار.
- خسائر في خطوط وخزانات المياه في الأراضي الزراعية التي أقيم عليها الجدار قدرت بنحو 179.025 دولار.

بالطبع هذه الأرقام ستزداد بسبب أن ما ذكرته أعلاه ناجم عن الأضرار التي سـببتها المرحلـة الأولى من بناء الجدار.

1:2:4: أ الآثار السلبية التي يحدثها القسم الغربي من الجدار على قطاع الزراعة

بينت أعلاه أهمية الأراضي والعناصر الزراعية الأخرى التي تقع في المنطقة شبه الساحلية التي يفصلها الجدار الفاصل. من الناحية الزراعية تعتبر تلك المناطق من أهم المناطق الزراعية فـي فلسطين، خاصةً تلك التي يفصلها الجزء الشمالي من الجدار الغربي. حيث تقدر نسبة العائد على الدونم الواحد في هذه المنطقة بنحو 442 دولاراً أمريكياً كل سـنة، وإذا عرفنـا أن 334.516 دونم سيتم حصرها, نستطيع أن نقدر مدى الخسارة التي يلحقها الجدار في القطـاع الزراعـي. لأن أن هذا العدد من الدونمات ليس كله زراعيا من الدرجة الأولى, أورد الجدول التالي الـذي يفصل مدى الأضرار التي يحدثها القسم الغربي من الجدار[290]:

جدول رقم (12): الأضرار الزراعية والاقتصادية التي يحدثها القسم الغربي من الجدار

المحصول	المساحة بالدونم			الإنتاج بالطن			القيمة مليون$
	بعلي	مروي	المجموع	بعلي	مروي	المجموع	
أشجار مثمره	185402	2765	188167	39957.8	5544.4	45502.1	10.99
خضروات	4844	11658	16502	2485	47565.3	50050.3	64.85
محاصيل حقليه	128603	1288	129892	33436.9	3655.1	37092	4.77

[290] أريج. **السلام وخطة الفصل الإسرائيلية أحادية الجانب في الاراضي الفلسطينية**. 2003.

مجموع السابقA	318849	15711	334561	75879.7	56764.7	132644.5	80.61
الضفة الغربيةB	1544877	114978	1659855	377446.6	755604.5	1133051	487.24
(B/A)%	20.6	13.7	20.2	20.1	7.5	11.7	16.5

أريج .2003

1:2:4: ب الآثار السلبية التي يحدثها القسم الشرقي من الجدار على قطاع الزراعة

سبق وبينت أهمية المناطق التي يؤدي القسم الشرقي من الجدار إلى فصلها. تبلغ مساحة الأراضي الزراعية التي سيفصلها ذلك القسم من الجدار نحو 129.509 دونم، وتشكل الأراضي المروية منها ما نسبته 16.7%، تساهم بإنتاج زراعي يقدر بنحو 106.615 طن، وهو ما يعادل 9.4% من الإنتاج النباتي في الضفة الغربية، وتقدر قيمته بحوالي 93.000.000 دولار سنوياً.

لإعطاء صورة أكثر تفصيلاً عما يحدثه القسم الشرقي من خسائر أورد الجدول التالي[291]:

جدول رقم (13): الأضرار الزراعية والاقتصادية التي يحدثها القسم الشرقي من الجدار

المحصول	المساحة بالدونم			الإنتاج بالطن			القيمة مليون$
	بعلي	مروي	المجموع	بعلي	مروي	المجموع	
أشجار مثمره	8670	3801	12471	1868.6	7621.7	9490.3	2.23
خضروات	3602	16026	19629	1848.0	65386.7	67234.8	87.11
محاصيل حقليه	95638	1771	97409	24865.9	5024.6	29890.5	3.84

[291] أريج. المرجع السابق.

مجموع السابقA	107911	21599	129509	28582.5	78033.0	106615.5	93.25
الضفةالغربيةB	1544877	114978	1659855	377447	755605	1133051	487.24
(B/A)%	7.0	18.8	7.8	7.6	10.3	9.4	19.1

أريج. السلام وخطة الفصل الإسرائيلية أحادية الجانب في الأراضي الفلسطينية. 2003.

يصل مجموع الأراضي الزراعية المتضررة من بناء قسمي الجدار إلى 464071 دونم وهو ما يعادل 28% من مساحة الأراضي الزراعية في الضفة الغربية. ويقدر مجمــوع مــا سيخســره الاقتصاد الفلسطيني نتيجة انخفاض مساهمة القطاع الزراعي في الاقتصاد الوطني ما يصل إلى 35.7% . الجدول التالي يبين الخسائر التي يحدثها الجدار بقسميه الغربي والشرقي فــي حالــة الانتهاء منه[292]:

جدول رقم (14): جدول يبين كافة الأضرار الزراعية والاقتصادية للجدار في حالة إتمامه

المحصول	**المساحة بالدونم**			**الإنتاج بالطن**			**القيمة مليون$**
	بعلي	**مروي**	**المجموع**	**بعلي**	**مروي**	**المجموع**	
أشجار مثمره	194072	6567	200639	41826.4	13166.0	54992.4	13.28
خضروات	8447	27684	36131	4333.1	112952.0	117285.1	1519.96
محاصيل حقليه	224242	3060	227301	58303	8678	66983	8.61
مجموع السابقA	426761	37310	464071	104462.3	134797.7	239260	178.85
الضفةالغربيةB	1544877	114978	1659855	377477	755605	1133051	487.24
(B/A)%	27.6	32.5	28.0	27.7	17.8	21.1	35.7

أريج. **السلام وخطة الفصل الإسرائيلية أحادية الجانب في الاراضي الفلسطينية.** 2003.

[292] أريج. المرجع السابق.

ستعاني المزروعات الفلسطينية من عدم وجود منافذ للأسواق الفلسطينية، لذا ستنخفض قيمة تلك المنتجات، وترتفع أسعار نقلها ومستلزمات إنتاجها، وبالتالي تصبح فرص الاستثمار في القطـــاع الزراعي غير مجدية. وهذا ما سيلقي بظلال قاتمة على الأمن الغذائي في الضفة الغربية الـــذي يصعب تقدير آثاره الاقتصادية.

لا تقتصر الخسائر في القطاع الزراعي على الخسائر المباشرة والتي يمكن تقديرها كميـــا، بـــل هناك خسائر مرتبطةٍ بالقطاع الزراعي لا يمكن تقديرها. خاصةً أن بعض الأضرار تمتـــد إلـــى سنين كثيرة ولا يمكن إرجاعها إلى وضعها السابق, مثل الأضرار البيئيـــة والتنـــوع الحيـــوي. فالطبقة السطحية من الأراضي التي يتم تجريفها من أجل بناء الجدار, تكونت عبر مئات السنين, وبالتالي لا يمكن إعادتها إلى وضعها الطبيعي الذي كانت عليه قبل التجريـــف. كمـــا أن إزالـــة الكساء الخضري نتيجة التجريف أدى إلى اختفاء بعـــض الأصـــناف النـــادرة مـــن النباتـــات والحيوانات في المناطق المجرفة. تم اقتلاع عشرات الأشجار ويقدر عدد المقتلع على مدى ثلاث سنوات بمليون شجره منها, 300الف شجرة زيتون. عشرات الآلاف من هذه الأشـــجار قلعـــت بسبب بناء الجدار الفاصل. هناك أكثر من 700 ألف شجره مثمره ستفصل إلـــى الغـــرب مـــن الجدار. لهذه الأشجار آثار اقتصادية وبيئية ومناخية. كما أضرت هذه الأعمال بالوضع الزراعي في الضفة, فهي تقلل من خصوبة التربة وإنتاجيتها, وتزيد من احتمالات الانجرافـــات الشـــتوية وجريان مياه الأمطار، مما يسهم في التأثير على المخزون الجوفي من المياه. كل هـــذه الآثـــار يصعب بل يستحيل وضع تقديرات كمية اقتصادية لها، لكن من المؤكد أن لها هكذا تأثير[293].

المساحة التي يقتطعها الجدار من الضفة الغربية تنتج 45% من الإنتاج الزراعـــي الفلســـطيني ضمن تقديرات البنك الدولي. يعمل في هذه الاراضي 25% من سكان الضـــفة الغربيـــة. أحـــد الخبراء الإسرائيليين ويدعى داني روبنشتاين، يرى انه قد تؤدي آثار الجدار الاقتصـــادية علـــى الجانب الفلسطيني إلى تخفيض مستوى المعيشة بنسبة تتراوح ما بين 40-50%[294].

---

[293] وزارة الزراعة الفلسطينية- الإدارة العامة للتخطيط والسياسات- دائرة الإحصاء. **تقرير أضرار قطاع الزراعة.**2003.

39 أبو زاهر، ناديه. مرجع سابق.

الآثار السلبية التي يحدثها الجدار على الوضع الاقتصادي لا تقتصر فقط على الخسائر التي تحدث في القطاع الزراعي, بل إن هناك خسائر أخرى تحدث من جراء عمليات هدم المنازل والمحال التجارية وغيرها من المنشات الاقتصادية التي تنجم بسبب بناء الجدار[295].

هناك خسائر ناجمة عن فقدان سوق العمل داخل فلسطين 1948, وأخرى ناجمة عن فقدان فرص العمل المرتبط بالضعف الذي حصل في القطاع الاقتصادي. لكن هذه الآثار من الصعب تحديدها نتيجة ارتباطها بالوضع الأمني والسياسي بشكل عام, إضافة إلى ارتباطها ببناء الجدار، ولا يمكن تحديد الآثار الاقتصادية التي نجمت عن كل منهما بشكل منفصل, رغم أن هناك بعض المصادر التي ذكرت بيانات اقتصادية حول هذه المسائل[296].

2:2:4 تأثير الجدار على الأنشطة التعليمية في الضفة الغربية

يعتبر التعليم أفضل أسلوب في إعداد الإنسان لمواجهة التحديات المختلفة التي تحيط به، وتحقيق التنمية في كافة مناحي حياته وخاصة السياسة منها. فالتنمية السياسية ترتبط بمدى الوعي الذي يحصل لدى الفرد نتيجة ما يتعلمه أثناء تفاعله في هذه الحياة. وبالطبع تعتبر العملية التعليمية المنظمة التي تتم من خلال المؤسسات التعليمية المختلفة كالمدارس والجامعات وغيرها، أفضل وسيلةً لتحقيق الوعي لدى الإنسان.

لاحظت خلال دراستي للجدار الفاصل أن بنائه يؤثر بشكل مباشر على العملية التعليمية في المناطق التي يسير فيها[297]. حيث قدرت بعض المصادر أن نحو 170 ألف طالب وطالبة موزعين على 320 مدرسة يتضررون نتيجة بناء الجدار في مناطقهم[298]. في نفس الوقت يمتد الضرر ليشمل المعلمين أيضاً ولا يقتصر على الطلبة. وتختلف صور الضرر الواقع على القطاع التعليمي من منطقة إلى أخرى ومن حينٍ إلى آخر. فهناك مدارس تم عزلها عن التجمعات السكانية التي تحتاجها، وهناك مدارس تم تدميرها كلياً لوقوعها على طريق بناء

---

[295] بنجون. **أوقفوا جدار الفصل العنصري في فلسطين** . ص 27. مرجع سابق

[296] بنجون. **أوقفوا جدار الفصل العنصري في فلسطين** . ص 41 . مرجع سابق

[297] بتسيلم. **الجدار الفاصل: انتهاك حقوق الإنسان نتيجةً لإقامة الجدار الفاصل**.2003

[298] السلطة الوطنية الفلسطينية، المركز الصحافي الدولي. **فلنقاوم الجدار حتى ينهار**، 2004/2/23. ص 13.

الجدار[299]. كذلك يوجد تجمعات سكانية تم عزلها نهائياً عن مختلف المرافق المهمة ومنها المرافق التعليمية. هذا يؤدي إلى صعوبة كثيرة في وصول كثيرٍ من الطلبة والمعلمين إلى مدارسهم والعودة إلى بيوتهم بعد انتهاء الدوام. حتى أن العملية التعليمية أصبحت بالنسبة إليهم رحلة عذاب يومية لا تخلو من مخاطر حقيقية على حياتهم[300].

يمتد الضرر بالنسبة للقطاع التعليمي ليشمل كافة المناطق والمحافظات التي يمر منها الجدار. في محافظة جنين أدى الجدار إلى فصل مدرسة برطعه الشرقية "ب" والتي تحوي 345 طالباً ومدرستها الثانوية أيضاً والتي تضم 362 طالباً. كذلك أدى إلى فصل مدرسة قرية أم الريحان الأساسية التي تضم 98 طالبا, كما تم فصل مدرسة الفاروق في منطقة جنين وعدد طلابها 85 طالباً[301]. مصدر آخر أورد بياناتٍ أخرى توضح أثر الجدار على العملية التعليمية كما هو في الجدول التالي[302]:

---

[299] بنجون: **أوقفوا جدار الفصل العنصري في فلسطين**. ص 27 . مرجع سابق

[300] السلطة الوطنية الفلسطينية، المركز الصحافي الدولي. **جدار الفصل العنصري المقام على الاراضي الفلسطينية يحتجز عشرات المدارس خلفه ويعيق المسيرة التعليمية**. 2004/2/29.

[301] السلطة الوطنية الفلسطينية، المركز الصحافي الدولي. **جدار الفصل العنصري المقام على الاراضي الفلسطينية يحتجز عشرات المدارس خلفه ويعيق المسيرة التعليمية**. 2004/2/29، ص1.

[302] **صحيفة القدس**، القدس، 2004/2/25.

جدول رقم (15): أثر الجدار على العملية التعليمية

اسم الجمع	المدرسة	عدد الطلبة	الطلبة القادمون	الطلبة الخارجون	المعلمون القادمون	المعلمون الخارجون
برطعة الشرقية	ذ. برطعة الثانوية	362	0			
برطعة الشرقية	ب. برطعة الثانوية	345	0	15	10	4
أم الريحان	المختلطة الأساسية	98	0	13	5	2
خربة عبد الله اليونس	لا يوجد	0	0	30	0	1
خربة ظهر المالح	لا يوجد	0	0	17	0	0
خربة برطعة	الفاروق الأساسية	85	0	0	3	1

صحيفة القدس. القدس. 2004/2/25

أما المدارس التي حجزت عن المستفيدين منها في محافظة طولكرم, فهي مدارس نزلة عيسى الثانوية للذكور وتحوي 392 طالباً، ونزلة عيسى الثانوية للإناث وتضم 328 طالبة. كما تم فصل مدرسة باقة الشرقية الثانوية وبها 377 طالباً، إضافة إلى أنه فصل طلاب آخرين يدرسون بها، من نزلة أبو نادر وخربة جباره. كما تم احتجاز مدرسة عمر بن الخطاب في منطقة طولكرم خلف الجدار أيضاً[303]. الجدول التالي يوضح أثر الجدار على العملية التعليمية في محافظة طولكرم كما بينه مصدر آخر[304]:

---

[303] السلطة الوطنية الفلسطينية، المركز الصحافي الدولي: **جدار الفصل العنصري المقام على الأراضي الفلسطينية يحتجز عشرات المدارس خلفه ويعيق المسيرة التعليمية**، 2004/2/29، ص1.

[304] صحيفة القدس، القدس، 2004/2/25

جدول رقم (16): أثر الجدار على العملية التعليمية في محافظة طولكرم

اسم التجمع	اسم المدرسة	عدد الطلبة	الطلبة القادمون	الطلبة الخارجون	المعلمون القادمون	المعلمون الخارجون
نزلة عيسى	ذ. نزلة عيسى الثانوية	329	0	0	29	3
نزلة عيسى	ب. نزلة عيسى الثانوية	328				
باقة الشرقية	ذ. باقة الشرقية	389	0	0	54	13
باقة الشرقية	ب. باقة الشرقية الأساسية	244				
باقة الشرقية	ذ. باقة الشرقية الثانوية	208				
باقة الشرقية	ذ. باقة الشرقية	377				
نزلة أبو نادر	لا يوجد	0	0	61	0	0
خربة جبارة	لا يوجد	0	0	61	0	4

صحيفة القدس. القدس. 2004/2/25

أما في محافظة قلقيليه. كان الضرر أكبر، إذ احتجزت 22 مدرسة، منها 12 مدرسة حكومية وثلاث تابعة لوكالة الغوث وخمس مدارس خاصة ومدرستين تتبعان وزارة الأوقاف.

يبلغ عدد طلاب هذه المدارس حوالي 1043 طالبا وطالبة. ويصل عدد المراكز التعليمية فيها إلى 5305 مركزاً. يخرج من مدينة قلقيلية 110 معلما ومعلمة كل يوم إلى المدارس الواقعة في قرى المحافظة، كما يدخل المدينة 16 معلما ومعلمة من الخارج. كما احتجز الجدار حوالي 37 مدرسه في قرى محافظة قلقيلية تتوزع على 16 قرية فلسطينية عزلها الجدار عن محيطها

الفلسطيني. يبلغ عدد الطلبة الذين يدرسون بها 15605 طالباً وطالبة، إضافة الى789 موظفاً[305].البيانات السابقة جاءت على اعتبار أن مدينة قلقيلية محاصرة إضافة إلى محاصرة أجزاء أخرى من المحافظة، لذا جاءت البيانات إجمالية. هناك مصدر آخر أورد بيانات محددة حول الأضرار التي تلحق بالعملية التعليمية في المحافظة والجدول التالي يبين هذه البيانات[306]:

جدول رقم (17): أثر الجدار على العملية التعليمية في محافظة قلقيلية

اسم التجمع	المدرسة	عدد الطلبة	الطلبة القادمون	الطلبة الخارجين	المعلمون القادمون	المعلمون الخارجون
راس طيره	ألضبعه وراس طيره المشتركة	60	لا يوجد	95	لا يوجد	2
خربة ضبعه	ألضبعه وراس طيره المشتركة	73	لا يوجد	90	8	3
عرب الرماضين الجنوبي	لا يوجد	–	لا يوجد	75	لا يوجد	لا يوجد

من أكبر المشاكل التي تواجه القطاع التعليمي في هذه المناطق هو فصل المدارس عن التجمعات التي تخدمها، إضافة إلى عدم وجود هيئات تدريسية مكتملة في المناطق التي تحوي المدارس المحاصرة. هذا يتطلب من الطلبة والمعلمين التنقل يومياً إلى مدارسهم ثم العودة بعد انتهاء الدوام إلى بيوتهم، مما يزيد من تكاليف الدراسة لهؤلاء الطلبة الذين يضطرهم الجدار إلى السفر بوسائل التنقل حتى يتمكنوا من الوصول إلى البوابات التي تنتشر على مسافات متباعدة على الجدار[307]. كما ذكرت وزارة التربية والتعليم أن نحو 2898 طالباً في محافظات جنين وطولكرم وقلقيلية أصبحوا غير قادرين نهائياً على إكمال تعليمهم بسبب عدم تمكنهم من الوصول إلى

[305] السلطة الوطنية الفلسطينية، المركز الصحافي الدولي: **جدار الفصل العنصري المقام على الاراضي الفلسطينية يحتجز عشرات المدارس خلفه ويعيق المسيرة التعليمية**. ص 1 . 2004/2/29
[51] صحيفة القدس. القدس، 2004/2/25

[307] السلطة الوطنية الفلسطينية، المركز الصحافي الدولي: **فلنقاوم الجدار حتى ينهار**، مرجع سابق. ص 13.

المدارس التي عزلها الجدار[308]. في تقرير أعده البنك الدولي بين أن حوالي 650 معلمـا مـن أصل 1964 معلما في محافظة طولكرم أصبحوا يجدون صعوبة كبيرة أثناء تنقلهم إلى مدارسهم بسبب بناء الجدار. في قلقيلية أصبح معظم المعلمين يمرون عبر حاجزين: أحدهما عند خروجهم من المدينة متجهين إلى مدارسهم داخل القرى، والآخر عند عبورهم القرى التي تمت محاصرتها ببناء الجدار. وكثيراً ما يقوم جنود الاحتلال المتواجدين على البوابات والحواجز بتأخير هـؤلاء المعلمين عن الوصول إلى مدارسهم في المواعيد المحددة لبدء التدريس[309].

لم يقتصر الأذى الذي أوقعه الجدار الفاصل بالعملية التعليمية في الضفة الغربية على الأضـرار التي أصابت المدارس والطلاب في مختلف المستويات، وكذلك العاملين فيها فقط، بل امتد هـذا الأذى والضرر ليشمل القطاع التعليمي في الجامعات. إذ يضطر طلبة الجامعات الذين يقطنـون خلف الجدار إلى المعاناة عبر البوابات والحواجز للوصول إلى جامعاتهم. وتمثل الفئة العمريـة لطلبة الجامعات من أكثر فئات الشعب الفلسطيني الذين يعانون على الحواجز والبوابات بسـبب استهدافهم من قبل الجنود الإسرائيليين. كثيراً ما يقوم هؤلاء الجنود بإيقاف العديد مـنهم علـى الحواجز لفترات قد تصل لعدة ساعات، وأحياناً يرفضون إدخالهم عبر الحواجز وهم متـوجهين إلى جامعاتهم أو عائدين إلى بيوتهم. كما أن جنود الاحتلال يرفضون تمرير طلبـة الجامعـات على الحواجز إلا في يومين من الأسبوع، وهما يوم السبت كبداية للأسـبوع الدراسـي ويـوم الأربعاء كنهاية له. وإذا حاول الطالب المرور عبر الحواجز الإسرائيلية خلال الأيام الأخرى من الأسبوع فان الجنود الإسرائيليين يرفضون تمريره.

من المهم ذكره في مجال الأضرار التي يلحقها الجدار بالقطاع التعليمي، أن نذكر ما حصل من أضرار في جامعة القدس. إذ أن الجدار الفاصل يمر من حرم الجامعة ويستهدف فصل 65 دونم من أراضيها. كما يؤدي الجدار إلى إغلاق مدخلها الرئيس، ويعرقل وصول 35% من الطلبـة إلى مقاعدهم الدراسية داخل الجامعة. سيضطر الطلبة الذين يحملون هوية القدس للسير مسـافة 40 كم عبر طريق التفافي حتى يتمكنوا من الوصول إلى الجامعة بعد أن كانت المسافة قبل بناء

[308] المرجع السابق ص 13.
[309] بنجون: **أوقفوا جدار الفصل العنصري في فلسطين.** ص 39. مرجع سابق

الجدار لا تتجاوز 5 كم. نفس الشيء سيحصل مع العاملين في الجامعة، إذ أن أكثر من نصفهم يحملون هوية القدس وخاصة مدرسي كلية الطب. كما يؤدي إلى تدمير الملعبين الوحيدين في حرم الجامعة مما يشلّ عمل الدائرة الرياضية. إضافةً إلى أنه يؤدي إلى تدمير حديقة الجامعة وموقف السيارات الوحيد التابع لها. كما أن الجدار سيفصل الإدارة العامة الواقعة داخل مدينة القدس عن الحرم التدريسي الذي يقع في العيزرية. كما أنه يفصل ين الجامعة وبعض المرافق التابعة لها في رام الله والبيرة داخل مدينة القدس[310].

3:2:4 تأثيرات الجدار على الأوضاع الصحية في الضفة الغربية

يؤثر الجدار سلباً على حرية تلقي الخدمات الصحية لقطاع واسع من الشعب الفلسطيني، أولئك الذين يحصرهم الجدار خلفه أو في معازل محاصرة من كل جانب. هناك مصادر قدرت أن حوالي7.73% من السكان المحاصرين بواسطة الجدار لن يتمكنوا من الحصول على الخدمات الطبية[311]. وفي أحيان كثيرة أدت السياسة الإسرائيلية المتمثلة في تقييد حركة الفلسطينيين حتى لو كانت لأسباب صحية طارئة إلى وفاة الشخص الذي يحتاج إلى تلك الخدمة الطبية وهو ينتظر على بوابات الجدار، أملاً في أن يسمح له الجنود الإسرائيليون الذين يغلقون البوابات بالمرور إلى أقرب مركز طبي. خير مثال على ذلك ما حصل للطفل محمد هاشم من قرية راس عطية بالقرب من قلقيلية، حيث توفي وهو ينتظر على البوابة قبل أن يسمح الجنود لوالده أن ينقله إلى المشفى في مدينة قلقيلية[312]. وفي دراسة أعدها معهد ألإعلام والسياسات الصحية الفلسطينية تبين أن 20% من وفيات الأطفال الفلسطينيين توفوا بسبب الجدار والحواجز المنتشرة في الضفة الغربية وقطاع غزه[313]. كما أن بناء الجدار وسياسة الحواجز التي تمارسها إسرائيل أدت إلى انخفاض حاد في نسبة النساء الحوامل اللاتي يتوجهن إلى المستشفيات للولادة. وهناك عدة حالات ولادة تمت على البوابات بسبب تأخر الجنود الإسرائيليين في السماح لهن بالمرور إلى

---

[310] صب لبن، احمد مصطفى: *الجدار الفاصل يتهدد جامعة القدس*. **مجلة الفصلية**، ع 16 ص 13، أيلول 2003.
[311] **صحيفة دار الحياة**. بيروت. 2004/7/31.
[312] أبو زاهر، ناديه: *الجدار الفاصل.. مخطط الضم والتوسع*. ص 5.
[313] مركز الإعلام والمعلومات.**20% من وفيات الأطفال بفعل الحواجز والجدار الفاصل**, ص 1

المستشفيات[314]. بشكلٍ عام فإن سكان المناطق الريفية في المحافظات التي يمــر بهــا الجــدار، سيجدون أنفسهم غير قادرين على تلقي الخدمات الطبية في الوقت المناسب، خاصةً في منــاطق طولكرم وقلقيلية والقدس. حيث أن الجدار يشكل حاجزاً مادياً يمنعهم من الوصول إلى مراكــز المدن لتلقي العلاج[315]. بهذا سيتسبب الجدار في انهيار الخدمات الصحية التي يقوم بها الجهــاز الصحي الفلسطيني في المناطق المار منها, وهي مناطق واسعة تحوي 16% تقريبا من ســكان الضفة الغربية, بينهم 19260 مسناً وعشرات آلاف الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 15 ســنة, يقيمون في المناطق التي يؤثر عليه الجدار بما فيها القدس وقلقيلية, والبلدات والقرى الأخــرى, منهم آلاف تقل أعمارهم عن 5 سنوات وهم بحاجة إلى أخذ طعومات دورية. كذلك لن يــتمكن نحو 92% من المرضى في تلك المناطق من الوصول إلى المراكز الصحية بسهولة[316]

نفس المعوقات التي توضع أمام المواطن وتحرمه من الوصول إلى المراكز الطبية لتلقي العلاج، توضع أمام الطواقم الطبية التي تحاول الوصول إلى القرى المحاصرة خلف الجدار. كما تلقى سيارات الإسعاف التي تتوجه أحياناً إلى القرى لإحضار حالات صحية مستعجلةً تتعرض للتأخير على الحواجز والبوابات المقامة في الجدار، كذلك في كثير من الأحيان يتم تأخيرها على الحواجز المقامة على طرق الضفة.

---

[314] بنجون. **أوقفوا جدار الفصل العنصري في فلسطين** . ص 37. مرجع سابق

[315] حمدي، رشا . ص 192 . مرجع سابق

[316] مركز الإعلام والمعلومات . ص 1, 2. مرجع سابق

الفصل الخامس

الأهداف الإستراتيجية للجدار واستنتاجات الدراسة وتوصياتها

سأقوم بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة أجزاء. أتناول في الأول الأهداف التي سعت إليها إسرائيل من وراء بنائها الجدار. في البداية سأقوم بمناقشة الهدف المعلن من قبل إسرائيل الذي جعلها تشرع ببناء هذا الشروع الضخم. وسأحول معرفة إذا ما كان بناء الجدار جاء كخطوة آنية وكرد فعل على أحداث طارئة, أم انه جاء في سياق فعل استراتيجي تقوم به إسرائيل لخدمة أهدافها العليا مستغلة المتغيرات السياسية التي حدثت إقليميا ودوليا. الجزء الثاني سأضع به الاستنتاجات التي خلصت إليها خلال دراستي وكتابتي لهذا الموضوع. أما الجزء الثالث فسأتناول خلاله التوصيات التي أرى أنها ضرورية للحد من تأثيراته السلبية وصولا إلى إزالته نهائيا

المبحث الأول

أهداف بناء الجدار الفاصل

سأتناول في هذا المبحث الأهداف الإستراتيجية التي أرى أن الجدار الفاصل جاء من أجل تحقيقها. كذلك سأقوم بمناقشة الهدف الذي أعلنته إسرائيل كمبرر لبنائها الجدار.

1:1:5 الهدف المعلن من قبل إسرائيل لبناء الجدار الفاصل.

عندما بدأت إسرائيل ببناء الجدار الفاصل، حاولت أن تخفف ما أمكنها من انتقـادات المجتمـع الدولي لأن الكثير من الدول سواءً على المستوى الإقليمي أو العالمي رأت في الخطوة تصـرفاً من جانب واحد, مما يؤثر على مجمل العملية السياسية التي تهدف إلى الوصول لتسوية سياسية للصراع العربي الإسرائيلي بين الفلسطينيين والإسرائيليين[317].

لهذا فقد أعلنت إسرائيل أن بناء الجدار يهدف إلى حماية نفسها ومواطنيها من هجمات الفـدائيين الفلسطينيين الذين يشنون هجماتهم في عمق المدن الإسرائيلية, ويوقعون الكثير من الخسائر فـي الأرواح والممتلكات ومختلف البنى الإسرائيلية. بالتالي فهي أقدمت على بناء الجدار من أجل أن يمنع الفلسطينيين من دخول إسرائيل سراً دون رقابة[318]. تعرض هذا الادعاء لانتقـادات مـن أطراف متعددة, سواءً على الصعيد الفلسطيني أو الإسرائيلي أو الدولي، وكلٌ من الزاوية التـي تحقق مصالحه أو رؤيته في المنطقة.

من ناحية منطقية، لو أن إسرائيل أرادت منع الفلسطينيين من الدخول إليها سراً حتى تتمكن مـن حماية أمنها فقط كما تدعي، ولم يكن لديها أهداف أخرى كما يظهر، لأمكنها فعـل ذلـك ببنـاء الجدار على الخط الأخضر الذي يفصل بينها وبين الاراضي الفلسطينية في الضـفة الغربيـة. عندئذٍ ستتجنب إسرائيل حملة الانتقادات الدولية ضدها بما فيها قرار 131 الصادر عن محكمـة العدل الدولية، والذي يعتبر ما تقوم به إسرائيل من بناء الجدار أمراً غير قانوني يستوجب مـن

---

[317] عوده، يونس: **جدار الفصل العنصري يقطع أوصال فلسطين/** صفحه 2-5.

[318] منظمة العفو الدولية. **تأثير القيود المفروضة على التنقل على حق العمل** / صفحه 37. مرجع سابق

دول العالم إخضاع إسرائيل للقانون الدولي، الخ[319]. كما أن بناء الجدار على الخط الأخضر أو في داخل الاراضي التي احتلتها إسرائيل سنة 1948, كان سيقلل التكاليف المالية. وكانت السلطة الفلسطينية قد أعلنت على لسان رئيس وزرائها أنها في هذه الحالة على استعداد للمساهمة في بناء الجدار. إضافةً إلى ذلك كان بإمكان إسرائيل تجنيد دعم دولي مالي وسياسي لبنائه بدل أن تتعرض لضغوط دوليةٍ في محاولة لمنعها ذلك. أكدت محكمة العدل الدولية أن قضية الجدار ليست قضية أمنية، وأن الأمن لا يمكن أن يأتي من خلال اختراق القانون[320].

محللون عسكريون إسرائيليون طرحوا كثيرا من الأفكار التي تؤكد عدم جدوى الجدار من الناحية الأمنية بالنسبة للإسرائيليين, ويمكن تلخيص هذه الأفكار بما يلي:

أ/ إن المستوطنات اليهودية المقامة في الضفة الغربية ستبقى هدفاً جيداً للفدائيين الفلسطينيين، وإن تركيز الحماية عليها من قبل الجيش الإسرائيلي لن يوقف العمليات ضدها وضد الجيش, مما يعني إعادة تجربة لبنان وصولاً إلى ضرورة تفكيك تلك المستوطنات. الفكرة المطروحة تقول، انه عندما سيصعب على الفلسطينيين الوصول إلى عمق المدن الإسرائيلية داخل الاراضي المحتلة سنة 1948، فإنهم سيقومون بتركيز مقاومتهم على الأهداف القريبة إليهم وهي المستوطنات. فكافة مستوطنات الضفة الغربية قريبة من تجمعات سكانية فلسطينية، والعديد منها لم يشملها الجدار، لذا فإنها ستبقى عرضة للهجمات الفلسطينية وتتحمل العبء الكبير من ضربات المقاومين الفلسطينيين, وستزداد الهجمات عليها لأنها ستصبح الهدف الأسهل بالنسبة للمقاومين بعد أن يتعذر عليهم اختراق الجدار للوصول إلى أهداف داخل العمق الإسرائيلي[321].

ب/ إن الجدار لا يمكن أن يشكل حلاً أمنياً في كثير من المناطق، خاصةً في مدينة القدس والمناطق المكتظة بالسكان، لأن من الممكن تجنيد فلسطينيين من سكان مدينة القدس فالمدينة تحتوي عددا كبيرا من المواطنين الفلسطينيين يزيدوا عن 200000 مواطن. سيبقى اغلب هؤلاء داخل الجدار، وهذا يمنحهم فرصة أكبر للحركة داخل المدينة التي تتداخل بها الأحياء العربية مع

---

[319] WWW.STOPTHE WALL.ORG محكمة العدل الدولية تعلن الجدار غير شرعي.
[320] المرجع السابق
[321] *محللون إسرائيليون: إقامة الجدار الفاصل يمثل انتصارا للحركة الوطنية الفلسطينية، موقع على* **الانترنت,WWW.ALJAZEERA.NET 2003/9/29 .**

الأحياء الإسرائيلية التي أقيمت بها، كذلك سيظل بإمكانهم الوصول إلى المدن الإسرائيلية الأخرى مما يمكنهم من تنفيذ هجمات في العمق الإسرائيلي. التجربة السابقة والطويلة على مدى سني الاحتلال ولغاية الآن تؤكد على انخراط المقدسيين بالعمل المسلح المقاوم للاحتلال الإسرائيلي، وبناء الجدار لن يمنعهم من الاستمرار في ذلك. إضافة إلى ذلك، هناك أكثر من مليون فلسطيني يعيشون داخل إسرائيل وسبق أن قام العديد من هؤلاء بأعمال مسلحة وحتى عمليات استشهادية داخل إسرائيل، لذا من الممكن أن يتم تجنيد أشخاص من هؤلاء الفلسطينيين للقيام بعمليات عسكرية داخل إسرائيل حتى بعد الانتهاء من بناء الجدار. بعض المصادر الإسرائيلية ذكرت أن كثيرا من العمليات التي كان يقوم بها أشخاص من الضفة كانت تلقى مساعدات فنية من الفلسطينيين المقيمين في فلسطين المحتلة سنة 1948.

ج/ لن يحول الجدار دون قيام رجال المقاومة الفلسطينيين من تطوير وسائل وأساليب نضالهم ضد إسرائيل. فالجدار لا يمكن أن يمنع دخول القذائف المختلفة داخل إسرائيل ولا يحول دون إمكانية أن يستخدم الفلسطينيون الطائرات الشراعية لاجتياز الجدار.ما شاهدناه مؤخراً من قدرة المقاومة الفلسطينية على تطوير بعض القذائف لتطال المستوطنات الإسرائيلية المقامة داخل الخط الأخضر، يؤكد أن الجدار لن يمنع هذه القذائف من الوصول إلى الأحياء والمدن الإسرائيلية. خاصةً وان المسافات التي تفصل المناطق الفلسطينية التي لم يشملها الجدار ليست بعيدة كثيراً عن المدن الإسرائيلية. كما أن هناك بعض المدن الفلسطينية مثل قلقيلية وطولكرم تعتبر مدن حدودية ظلت قريبة من المناطق المأهولة بالإسرائيليين، مما يعني إمكانية قيام الفلسطينيين بضرب أهداف إسرائيلية انطلاقا منها بواسطة القذائف. كما أن الفلسطينيين قد يعمدون إلى أسلوب حفر الأنفاق أسفل الجدار, أو استخدام الطائرات الشراعية كما تؤكد بعض المصادر الإستخباراتية الإسرائيلية. سبق أن فعل الفلسطينيين ذلك وأوقعوا خسائر في الإسرائيليين، والجدار لن يمنع هكذا احتمالات. كما يمكن للفلسطينيين استخدام وثائق مزورة تمكنهم من الدخول إلى إسرائيل، الخ. ما يشير إلى أن بناء الجدار لا يؤثر كثيراً في الحماية الأمنية هو أن كثيرين من منفذي العمليات الاستشهادية مروا إلى داخل إسرائيل عبر المعابر

التي يتواجد عليها الجيش وليس من خلال الأراضي المفتوحة حسب بعض المصادر[322]. كما أن التجربة العملية تشير إلى أن الفدائيين الفلسطينيين استطاعوا في السابق من اجتياز جدران أكثر إحكاما من الجدار الذي أتحدث عنه. عبر عن ذلك احد الضباط الإسرائيليين الكبار الذي شغل منصب قائد المنطقة الجنوبية, ويدعى " يوم طوفساميا "[323].

بالرغم من الانتقادات الكثيرة التي أثيرت حول مدى جدوى بناء الجدار من الناحية الأمنية، وقدرته على منع الفدائيين الفلسطينيين من شن هجماتهم في عمق الكيان الإسرائيلي، إلا إنه ما من شك أن الجدار قد يلعب دوراً في تصعيب دخول الفلسطينيين من مناطق الضفة الغربية إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948، وأظن أن انخفاض معدل العمليات الاستشهادية في الآونة الأخيرة جاء لهذا السبب, على الرغم مما شهدناه خلال شهر أيلول من عام 2004 من قدرة الفلسطينيين على اختراق الإجراءات الأمنية الإسرائيلية, وتنفيذ عمليات استشهادية داخل مدينة القدس. يؤكد الجانب الإسرائيلي أنه حصل انخفاض على نسبة الهجمات الفلسطينية بدرجة عالية خلال الستة اشهر الأولى من سنة 2004. وتعزوا جهات أمنية إسرائيلية ذلك إلى فاعلية الجدار[324] في نفس الوقت فإني اعتقد أن هذه الصعوبة التي قد يشكلها الجدار أمام الفدائيين الفلسطينيين في تكثيف عملياتهم داخل الكيان الصهيوني لن تطول كثيراً. فالتجربة العملية للصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين تؤكد أن الفلسطينيين لم يتوقفوا قط عن المقاومة وإيقاع الضرر بالإسرائيليين, وأن إرادة الحرية والاستقلال لدى الشعب الفلسطيني لا تحركها حسابات الأرقام في الربح والخسارة, بل أن ما يحركها مدى الإيمان بحتمية النصر مهما كثرت التضحيات وطال الزمن. والتجربة الإنسانية التاريخية بشكل عام تؤكد ذلك. لهذا فإني أعتقد أن الجدار لن يشكل حلاً أمنياً لإسرائيل، وأرى أن لإسرائيل أهدافا أخرى غير الهدف الأمني تقف وراء البناء.

---

[322] نداء القدس. **جدار إسرائيل الفاصل من يحاصر من**. أيلول, 2003.
- من يحاصر من؟. **موقع انترنت WWW.GOOGLE.COM.**

[323] محللون إسرائيليون: **إقامة الجدار الفاصل يمثل انتصارا للحركة الوطنية الاسرائيلية**, مرجع سابق, صفحة 1.

[324] WWW.MIDDE-EST-ONLINE.COM

2:1:5 الأهداف الإستراتيجية لبناء الجدار الفاصل

قمت خلال هذه الدراسة بالبحث عن أثر الجدار الفاصل على التنمية السياسية في الضفة الغربية،

وأقوم في هذا المبحث ببلورة الأهداف الإستراتيجية التي تسعى إسرائيل لتحقيقها من خلال بنائها الجدار الفاصل, تلك التي لها علاقة بالبنية السياسية داخل الضفة الغربية. علماً أن كل هدف استراتيجي يأتي من خلال تراكم العديد من الأهداف الآنية والمرحلية التي وصلت إليها إسرائيل ببنائها الجدار، مثل السيطرة على الموارد كالأرض والمياه وتهيئة ظروف أخرى. أرى أن النقاط التالية تضع تصورا للأهداف الإستراتيجية التي تبعتها إسرائيل:

2:1:5: أ قطع الطريق على إقامة دولة فلسطينية قابلة للحياة والتطور.

عندما بدأت العملية السياسية التي تهدف إلى إيجاد حل للقضية الفلسطينية وإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي, اتفق على أن تشكل قرارات مجلس الأمن الدولي ذات العلاقة وخاصةً 242و338 أساسا لهذه العملية السياسية التي بدأت مسيرتها بمؤتمر مدريد. من ضمن ما تتحدث عنه هذه القرارات عدم جواز احتلال أراض الآخرين بالقوة وضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها سنة1967 حسب ما جاء في القراءة الفرنسية للقرار. هذا يعني بالنسبة للفلسطينيين إقامة دولة فلسطينية مستقلة على أراضيهم التي احتلت سنة 1967. وقد اعتبروا هذا هدفاً استراتيجيا بالنسبة لهم.

بالنسبة للإسرائيليين فإن إقامة دولة فلسطينية على أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة لم يكن واردا، فالقوى الإسرائيلية اليمينية كانت تعارض أي شكل من أشكال التنازل عن أجزاء من الأرض للفلسطينيين وإقامة دولة فلسطينية مستقلة بالرغم من أن بعض الجهات في حزب اليكود وأطراف يمينية أخرى كانت تدرك أن نتيجة العملية السياسية قد تسفر عن إقامة دولة فلسطينية, ولهذا بقيت تعارض المسيرة السياسية[325].أما حزب العمل فقد سبق وأعلن إستراتيجيته بخصوص

---

[325] بوتول، جيفري,ومندلسون، ايفرت: **الأمن الإسرائيلي الفلسطيني قضايا في مفاوضات الوضع الدائم**، نابلس- فلسطين، مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، تشرين أول 1995/ صفحه 36.

أي تسوية سياسية على لسان اسحق رابين أحد أبرز قادته. ذلك أبان الانتفاضة الأولى, وتتلخص هذه الإستراتيجية على عدم العودة إلى حدود حزيران سنة 1967, وعدم الانسحاب من القدس أو من مناطق الأغوار في أية تسوية سياسية[326]. على إثر فشل محادثات كامب ديفيد الثانية، وما تبعها من مصادمات فلسطينية إسرائيلية لا زالت قائمة حتى الآن، طرحت الحكومة الإسرائيلية بقيادة رئيس حزب العمل آنذاك يهودا براك فكرة بناء جدار فاصل لحماية الإسرائيليين دون الحاجة إلى تسوية سياسية في ظل وجود القيادة الفلسطينية الحالية[327]. خلال تلك الفترة, قفزت القوى الإسرائيلية اليمينية إلى الحكم في إسرائيل مرة أخرى. وأخذت الحكومة الإسرائيلية الجديدة تعمل على نسف أسس العملية السياسية، دون أن تعلن مباشرة عن إنهائها، وذلك تمشياً مع متطلبات المستجدات السياسية. إلا أن الإجراءات والسياسات التي أخذت الحكومة اليمينية في إسرائيل بتنفيذها على أرض الواقع, تؤكد مسعى هذه الحكومة لنسف محاولات التسوية في المنطقة, تمشيا مع استراتيجيتها القاضية بعدم إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة[328]. الفكرة كانت لدى رئيس الحكومة أرييل شارون تتمحور حول عدم المس بالمنطلقات والأهداف الأيديولوجية لحزب اليكود واليمين الإسرائيلي التي تركز على استمرار السيطرة على الضفة الغربية. في نفس الوقت أراد شارون أن يظهر وكأنه لا يمس بالمقتضيات السياسية التي أفرزتها العملية السياسية واتفاقات أوسلو الموقعة خلالها[329]. أبرز تلك الإجراءات ما قامت به من الشروع ببناء الجدار الفاصل. فالجدار الفاصل يؤدي إلى تجريد أي كيان سياسي فلسطيني من المقومات التي تمكنه من التطور إلى شكل دولة حديثة مستقلة. وقد رأينا فيما سبق كيف أن بناء الجدار يؤثر سلباً على أهم مقومات إنشاء الدولة والمتمثلة في الأرض والإنسان، حيث لم يتبق أرض يمكن أن تقام عليها دولة تكون قابلة للتطور, وقادرة على استيعاب متطلبات النمو الطبيعي للسكان ومختلف مستلزماتهم. في نفس الوقت تم تقطيع أوصال الأراضي المتبقية التي لم يؤدي الجدار إلى ضمها, و حاصرت

---

[326] فلسطين المسلمة. الملف 3 مرجع سابق, صفحة 12.

[327] فلسطين المسلمة, الملف 3 مرجع سابق, صفحة 12

[328] بوتول، جيفري ومندلسون، ايفرت: **الأمن الإسرائيلي الفلسطيني قضايا في مفاوضات الوضع الدائم**، نابلس- فلسطين. مركز البحوث والدراسات الفلسطينية . تشرين أول 1995/ صفحه 36، 37.

[329] فلسطين المسلمة. **التداعيات السياسية لجدار الفصل: حل قضايا الوضع النهائي وفقا للرؤية الإسرائيلية**/ صفة 3 الجدار والأمن: **www.google .com**

السكان داخلها على شكل معازل جغرافية، وأصبح من الصعب جداً حدوث تواصل بين سكانها. إضافةً إلى أن إسرائيل لم تعر اهتماماً لكيفية ممارسة السيادة على هذه المعـازل بالنسـبة لأي سلطة فلسطينية تتشكل بأي طريقة كانت. من هنا نلاحظ أن الجدار يؤدي إلى التـأثير المباشـر على حقوق وحياة الفلسطينيين حالياً ومستقبلاً[330]. ثم تأتي السيطرة على مصادر المياه في الضفة الغربية, والتي أحكمت ببناء الجدار, لتضيف آلية تحكم وسيطرة إستراتيجية جديدة علـى حيـاة الفلسطينيين. إذ أن إسرائيل ستكون قادرة على التحكم بحجم وكيفية استهلاك الفلسـطينيين مـن المياه في كل لحظة من حياتهم، وقد بينت سابقا الكثير من التفاصيل المتعلقة بهذا الموضوع الهام والحساس.

ولو افترضنا جدلاً أن الفلسطينيين رضخوا للوقائع الجديدة التي أدى إليها بناء الجدار، في ظـل هذا الانحطاط الداخلي والخارجي، ووافقوا على إقامة دولة فلسطينية بالاسم دون المضمون، فإن هذا الكيان سيبقى تحت السيطرة الأمنية والاقتصـادية المباشـرة لإسـرائيل. إذ أن التموضـع الاستيطاني الذي يحيط بالتجمعات السكانية الفلسطينية الكبرى، والقوة العسكرية الهائلة التي بيـد إسرائيل، ستمكنها دوما من السيطرة على المعازل الفلسطينية التي أنشأتها من خلال بناء الجدار، ومن خلال الإجراءات المرافقة له. كما أن تلك المعازل ستكون غيـر قـادرة علـى الاكتفـاء الاقتصادي الذاتي, سواء كانت منفصلة أو مجتمعة، بعد أن تم تجريـدها مـن آفـاق تطورهـا الاقتصادي. فالقطاع الزراعي الذي بينت أنه من أهم القطاعات والمقومـات الاقتصـادية فـي الضفة الغربية، تم تجريده من مقوماته المتمثلة بالأرض الزراعية والمياه وحتى الإنسـان, مـن خلال بناء الجدار الفاصل. لأنه قضم الأرض الزراعية وآبـار الميـاه التـي ترويهـا ومنـع المزارعين الفلسطينيين من القيام بأعمالهم، وهو بهذا يحوّل الآلاف من العمال في هذا القطـاع إلى عاطلين عن العمل، أو عمالة رخيصة الثمن في المـزارع والمصـانع الإسـرائيلية للـذين يحالفهم الحظ بالحصول على تصريح عمل, وهم قلة في هذه الظـروف، أو جنـودا يحرسـون المستوطنات والمدن الإسرائيلية المقامة على الأرض الفلسطينية, وذلك من خلال عمل هـؤلاء

---

[330] داوود، داوود: **الجدار الفاصل والأهداف الإسرائيلية المستقبلية المراد تحقيقها من وراء ذلك**. مركز الإعلام والمعلومات/ صفحه 1-3.

في الأجهزة الأمنية الفلسطينية, إذا ما أرادت السلطة الالتزام بالمتطلبات الأمنية التي تعهدت بها, وحسب متطلبات الأمن الإسرائيلي الذي قيدت السلطة الفلسطينية نفسها به بالاتفاقيات الموقعة مع إسرائيل[331]. حتى لو كانت السيطرة الإسرائيلية الشاملة على الضفة قائمة قبل بناء الجدار يرسخ هذه السيطرة في ظروف سياسية مختلفة كلياً عن ظروف السيطرة الســابقة. فبالســابق كانــت سيطرة احتلال، وهذا يلقي على إسرائيل التزامات الدولة المحتلة. بينما فرض السيطرة بواسطة الجدار وفي ظل الاتفاقات التي حصلت مع الفلسطينيين تعني أن الإسرائيليين سيستأثرون بكل ما يفيدهم من مكتسبات الاحتلال, في حين أنهم القوا التزاماتهم تجاه السكان بصفتهم دولــة محتلــةً على الفلسطينيين أنفسهم من خلال الاتفاقات الموقعة معهم. إسرائيل أرادت من السلطة في هــذه الاتفاقات أن تتحمل المسؤولية الكاملة عن السكان الفلسطينيين دون اشتراط ذلك بتحقيق الســيادة على الأرض أو تامين الحقوق السياسية. في حين أنها احتفظت بالسلطة علــى معظــم الأرض, ونظرت إلى السلطة الفلسطينية باعتبارها صيغة أمنية هدفها ضبط آليات الصراع وحصره فــي إطار المفاوضات. كما أنها حددت الأفق السياسي لتطور السلطة الفلسطينية من خــلال ربطــه بنتائج المفاوضات التي تتم معها. من هنا نلاحظ أن السيطرة ما قبل الجدار ليس بنفس مدلولات السيطرة التي تتم بعده[332].

2:1:5: ب التأثير على التوزيع السكاني في الضفة الغربية

من أهم أهداف الجدار هو العمل على إحداث تغييرات جوهرية في التوزيع السكاني داخل الضفة الغربية على المدى البعيد، إضافة إلى محاولة تغيير طابعه العربي إلى طابع يهودي. كما سنرى لحقا كيف أن ذلك من أهم أهداف السياسات الإسرائيلية في مدينة القدس، وكيف جــاء الجــدار ليسهم بشكل كبير في هذا الهدف.

نعرف مدى الأهمية التي توليها إسرائيل لموضوع تواجد الفلسطينيين في وطنهم, وزيادة معدلات الخصوبة والنمو السكاني في فلسطين الانتدابية ومنها الضفة الغربية، حيث أنهــا مــن النســب

---

[331] المرجع السابق/ صفحه 22، 23.

[332] الصالحي، بسام: **التنمية البشرية المستدامة بين إشكاليات السيادة على السكان دون الأرض**. برنامج دراسات التنمية، جامعة بيرزيت، 2003/8/9/ صفحه 1.

المرتفعة على مستوى العالم[333]. لهذا فإن إسرائيل تنظر إلى هذا الموضوع بخطورة كبيرة جداً, وتعتبره قنبلة سكانية تشكل خطراً إستراتيجياً عليها. لذلك سعت دوما إلى الحد من مخاطر هـذا الواقع من خلال سياسات التهجير التي اتبعتها ضد الفلسطينيين، وفي نفس الوقت زيـادة عـدد المستوطنين اليهود الذين تستقدمهم من مختلف أنحاء العالم وتوطنهم داخل الأراضي الفلسطينية. ونظراً لما يُحدثه الجدار الفاصل من أثر على هذا الموضوع, فإني اعتبر أن من ضمن الأهداف الإستراتيجية التي يحققها الجدار الفاصل لإسرائيل، هو التأثير على التوزيع والطـابع السـكاني داخل الضفة الغربية[334]. يأتي ذلك في أطار خدمة الإستراتيجية الاستيطانية, ويعمل الجدار على ذلك باتجاهين كما يلي:

2:1:5: ب :1 تأثير الجدار الفاصل على هجرة الفلسطينيين داخليا وخارجياً

ندرك مما اطلعنا عليه سابقاً فيما يتعلق بتأثيرات الجدار الفاصل على حياة الإنسان الفلسطيني في مختلف المجالات أن الجدار يخلق أوضاعا غاية في الصعوبة في كافة المناطق التي يحاصـرها أو يمر بها. ولذلك من المتوقع أن يؤدي هذا الوضع إلى دفع المـواطن الفلسـطيني لمحاولـة التخلص من هذه الضغوط القاسية جداً. وقد أدت الظروف القاسية التي فرضها الجدار على حياة المواطنين الفلسطينيين إلى قيام الكثيرين بترك بيوتهم وأماكن سكناهم هربا من الأوضاع الكارثية التي ألحقها الجدار بهم، أو بحثاً عن لقمة العيش التي سلبها الجدار منهم بعد أن أتى على مصادر رزقهم وأعمالهم. في هذا السياق أدى بناء الجدار إلى هجرة حوالي 4000 مواطن مـن سـكان مدينة قلقيلية، وهو ما يعادل أكثر من 10% من سكان المدينة. إضافة إلى أن 2000 رب أسرة غادروا المدينة من أجل أن يجدوا عملا لإعالة أسرهم[335] . يأتي هذا بعد الحالة الكارثيـة التـي وصلتها المدينة بفعل الجدار الفاصل[336]. انظر الملحق الذي يبين خارطة الجدار حول قلقيلية، مجلة حقائق عن الجدار صفحه 11

---

[333] بتسيلم. المؤشرات السكانية. www.google.com

[334] بنجون: **مجلة أوقفوا الجدار**، عدد 1/ صفحه 1. مرجع سابق.

[335] **مجلة المراقب الاقتصادي** : *ملخص خاص عن جدار الفصل العنصري/* صفحه 103. مرجع سابق

- بنجون.**أوقفوا جدار الفصل العنصري العنصري** / صفحه 50. مرجع سابق

[336] بنجون. **أوقفوا جدار الفصل العنصري في فلسطين**. صفحه 175-177، مرجع سابق.

في قرية الشيخ سعد، أدى الجدار إلى هجرة 700–850 شخص من القريـــة نظـــرا للظـــروف القاسية التي أوجدها الجدار. يمثل هؤلاء حوالي 25–30% من مجموع سكان القريـــة[337]. فـــي خربة جلعود ترك أكثر من ثلث سكان القرية منازلهم, وسكنوا في أماكن أخرى بحثاً عن لقمـــة العيش, وهروباً من الظروف القاسية التي يفرضها الجدار عليهم[338]. وفي قرية العقبـــة شـــرقي مدينة طوباس, تخطط إسرائيل لإزالة القرية بشكل كامل كونها تقع داخل المناطق التي يضـــمها الجدار، علما أن هذه القرية كانت دوماً هدفاً لسياسات التهجير الإسرائيلية[339]. وفي قرية عـــرب الرماضين التي تقع داخل المناطق التي يفصلها الجدار، تقوم إسرائيل بمنع أهاليها من بنـــاء أو تطوير أي منشآت داخل القرية، سواءً مدارس أو عيادات صحية أو بيوت, الخ. هذا يأتي أيضـــا ضمن سياسة التهجير التي تتبعها إسرائيل في جميع المنـــاطق التـــي يفصـــلها أو يمـــر منهـــا الجدار[340].

الوضع الذي أنشأه الجدار لن يؤدي إلى حالات هجرة داخلية كما لاحظنا سابقاً فقط، وإنما كمـــا ذكرت سيؤدي إلى هجرة خارجية. إذ أن الوضع الكارثي والتضييق في مختلف نواحي الحيـــاة, ومحاصرة المراكز السكانية وعدم إفساح المجال لها للتوسع الطبيعي, سيؤدي حتما إلى هجـــرة خارجية إذا استمرت الأوضاع والظروف التي أوجدها الجـــدار تلقـــي بظلالهـــا علـــى حيـــاة الفلسطينيين[341].

2:1:5: ب: 2 تأثير الجدار الفاصل على زيادة أعداد اليهود في الضفة الغربية

لا يقتصر تأثير الجدار الفاصل على النواحي السكانية المتعلقة بالفلسطينيين فقط, وإنمـــا يهـــدف الجدار إلى التأثير على التوزيع السكاني لليهود أيضاً، وذلك من خلال تمهيـــد الســـبيل لإقامـــة مستوطنات يهودية في المناطق التي يتم إخلاؤها من سكانها الفلسطينيين, أو في المناطق التـــي

---

[337] لابن, يحزقيل: **الشيخ سعد**. مركز بتسيلم. شباط2004/ صفحه 3.
[338] بنجون. **مجلة أوقفوا الجدار**، عدد 2 / ص 1. مرجع سابق.
- حمدي، رشا: **مجلة السياسة الدولية**/ ص 192. مرجع سابق.
[339] المرجع السابق/ صفحه 14.
[340] د سليمان، نائل، وأبو ردينه، إياد / ص15. مرجع سابق
[341] بنجون. **مجلة أوقفوا الجدار**، عدد 1/ ص 2. مرجع سابق.

فصلها الجدار, سواء بالقرب من الخط الأخضر, أو في محيط المستوطنات المقامة في عمق الضفة الغربية, أو في مدينة القدس أو الأغوار.

من أهم المناطق التي تسعى إسرائيل إلى تغيير طابعها السكاني والجيوسياسي, تلك المنطقة الواقعة إلى الغرب من جنين. حيث تنتشر كتلة أم الريحان الاستيطانية. تسعى إسرائيل بعد الانتهاء من بناء الجدار, العمل على تطوير هذه المنطقة استيطانياً من خلال بناء مدينة يهودية ضخمة تسمى (هاربراخاه). ذلك في إطار خطة شارون الاستيطانية المسماة بالنجوم السبعة[342]. تلك الخطة تقضي بنشر مستوطنات كبيرة على جانبي الخط الأخضر بهدف تغيير الطابع السكاني والسياسي في تلك المناطق. وستؤدي المدينة الاستيطانية التي ستبنى إلى ربط التجمعات الاستيطانية المقامة شرقي الخط الأخضر مع المستوطنات المقامة غربيه. كما سيؤدي التطوير الاستيطاني إلى محاصرة الوجود العربي في هذه المنطقة. كما تهدف إسرائيل من وراء هذا المخطط إلى زيادة أعداد اليهود في المنطقة, ليصبح عددهم أكثر من عدد المواطنين العرب في نفس المنطقة والذي هو الأكثر حاليا[343].

الجدول التالي يبين المستوطنات المقامة في تلك المنطقة والمنوي توسيعها[344]

جدول رقم (18): المستوطنات المنتشرة في شمال غرب الضفة الغربية

اسم المستوطنة	المساحة بالدونم	عدد السكان	رقم المخطط
شاكيد	589	549	102
ريحان	450	90	103
حنانيت	لا يوجد بيانات	لا يوجد بيانات	لا يوجد بيانات
تل منشه	200	لا يوجد بيانات	تحت الإنشاء

مجلة المراقب الاقتصادي.عدد 10. 2003

التجمع الاستيطاني الرئيس الآخر الذي تنوي إسرائيل الاحتفاظ به في عمق الضفة الغربية هو التجمع الذي يقع في وسط الضفة الغربية على أراضي أربع مدن فلسطينية رئيسية هي نابلس

---

[342] مجلة المراقب الاقتصادي. مرجع سابق/ ص 102.
[343] المرجع السابق/ ص 102.
[344] المرجع السابق/ ص 124.

وطولكرم وقلقيلية وسلفيت. يضم هذا التجمع الاستيطاني مستوطنات أريئيل وشـــمرون وألفيـــه منيشيه وقدوميم وعمنوائيل وغيرها. هذه الكتلة تعتبر من أكبر الكتل الاستيطانية المقامة داخـــل أراضي الضفة الغربية, ومن أكثرها تعمقا في أراضيها. رغم ذلك يتعرج الجدار ويـــدخل فـــي الضفة بعمق يصل إلى نحو20 كم تقريباً وذلك من أجل ضمها إلى إسرائيل, وإبقـــاء مســـاحات واسعة من الأراضي الفلسطينية في محيطها لضمان توسيعها فـــي المســـتقبل وزيـــادة أعـــداد المستوطنين. ما يزيد من أهمية هذه المنطقة كمنطقة جذب استيطاني أنها تمتـــاز بقربهـــا مـــن مراكز المدن الإسرائيلية الرئيسة داخل فلسطين المحتلة سنة 1948. وهي تلقى اهتماما خاصـــاً من قبل الحكومة الإسرائيلية الحالية ومختلف الحكومات الإسرائيلية [345]. الجدول التـــالي يبـــين المستوطنات التي يضمها الجدار الفاصل في هذه المنطقة[346].

جدول رقم (19): المستوطنات المستهدفة بالضم بواسطة الجدار في وسط الضفة الغربية

اسم المستعمرة	المساحة بالدونم	عدد السكان	رقم المخطط
اريئيل	1600	16100	130
كفار تبواح	310	298	131
كريات نطافيم	306	159	129
رفافا	230	223	170
الكانا	1000	4900	125
بيت ابا	642	1014	128
عيتص افرايم	500	352	126
شعار تكفاه	1200	2512	123
اورانيت	1100	4800	121
ايلي زهاف	890	352	132
بدوائيل	642	1004	16
ايلي ذهاب غرب	1000	–	–
عمانوئيل	3100	10000	120
قدوميم	3000		113
نفي اورانيم	–	–	–
كرني شمرون	6000	4726	117
معاليه شمرون	–	–	–

[345] بنجون، **مجلة أوقفوا جدار الفصل العنصري**. مرجع سابق/ ص 46- 47.
- مجلة المراقب الاقتصادي. مرجع سابق ص 102.
[346] مجلة المراقب الاقتصادي. مرجع سابق / ص 124.

جينات شمرون	–	–	–
تصوفيم	606	500	149
ألفي منشيه	4465	–	115

مجلة المراقب الاقتصادي.عدد 10. 2003

كما يوجد منطقة أخرى تعتبر في غاية الأهمية بالنسبة إلى المخططات التي تهدف إلى إضعاف التواجد الفلسطيني داخلها وزيادة أعداد المستوطنين اليهود وهي منطقة الأغوار. بقيت هذه المنطقة عرضةً لتغييرات سكانية جوهرية, حتى وصل الأمر إلى احتوائها على أعداد قليلة نسبياً من المواطنين الفلسطينيين, وهم يتركزون في مدينة أريحا, وبعض القرى الصغيرة المنتشرة على مساحة صغيرة من الأرض. في حين أن المستوطنين اليهود ورغم قلة عددهم أيضاً. ينتشرون على مساحات واسعة من الأغوار تمهيداً لتطوير الواقع الاستيطاني, وزيادة أعداد المستوطنين اليهود في أوقات لاحقة داخل هذه المنطقة المهمة من وجهة نظر إسرائيلية[347]. وقد سبق وأن تحدثت عن أهمية هذه المنطقة بشكل عام وبينت مساحتها. الجدول التالي يبين مدى السيطرة الإسرائيلية على هذه المنطقة ويبين التوزيع السكاني واليهودي فيها[348].

جدول رقم (20): واقع السيطرة الإسرائيلية على منطقة الأغوار

طبيعة استخدام الأرض	المساحة بالدونم	النسبة المئوية من المجموع
مناطق العمران الفلسطيني	10.758	%1.3
مناطق المستعمرات السكنية الإسرائيلية	25.412	%3.0
القواعد العسكرية الإسرائيلية	23.000	%2.7
مناطق عسكرية إسرائيلية مغلقة	400.000	%47.1

أريج. أسرلة وادي الأردن. تشرين ثاني 2001

بالنسبة إلى التأثيرات السكانية التي يحدثها الجدار في منطقة القدس, فإني سأتناولها لاحقا في سياق حديثي عن تأثير الجدار على قضايا الحل النهائي وتحديدا على موضوع القدس.

---

347 د. غنايم، محمد: **أسرلة وادي الأردن**. أريج / ص 1-9.
348 المرجع السابق/ ص 4.

ما أوردته فيما يخص تأثير الجدار على الوضع السكاني يعطي صورة واضـــحة عــن الآثـــار السلبية التي تلحق بالشعب الفلسطيني على أرضه في هذا المجال, والذي يشكل هدفاً من الأهداف الإسرائيلية الإستراتيجية لبناء الجدار الفاصل, خدمة للتوجهـــات الاســـتيطانية فـــي الأراضـــي الفلسطينية حسب ما أرى.

3:1:5 حسم قضايا المفاوضات النهائية من طرف واحد وتدمير العملية السياسية.

لاحظنا كيف أن اليمين الإسرائيلي لم يكن على قناعة للدخول في تسوية سياسية علـــى أســـاس قرارات الشرعية الدولية، بسبب أن المأمول من تلك التسوية بالنسبة للفلسطينيين هو إقامة دولـــة فلسطينية على الاراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1967. لم يكن هذا الخيار وارداً فـــي العقليـــة الإسرائيلية، سواءً على صعيد المعطيات الفكرية والأيديولوجية، أو علـــى صـــعيد المعطيـــات السياسية الإقليمية والدولية, أو على صعيد موازين القوى بين أطراف الصراع. لذا فـــإن دافـــع إسرائيل في دخول العملية السياسية جاء تلبيةً لمخططات إستراتيجية لحليفتها أمريكيا ً. من هنـــا يمكنني أن اعتبر أن الموقف الإسرائيلي تجاه العملية السياسية جاء في إطـــار موقـــف تكتيكـــي لخدمة مرحلة معينة بحدودها وظروفها. وهذا يعني بالنسبة لليمين الإسرائيلي أن هـــذا الموقـــف التكتيكي يجب أن لا يؤثر على الموقف الاستراتيجي الذي يعمل على نسف أي فـــرص لإقامـــة دولة فلسطينية داخل حدود فلسطين الانتدابية. ونعرف أن القضايا الرئيسية التي تتعلـــق بحســـم إمكانية حصول تسوية من عدمها تم تأجيلها للمرحلة النهائية من المفاوضات لكن ما تـــم علـــى أرض الواقع أن الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي لم يستطيعا حسم القضايا المرحلية, ولم يقومـــا بتنفيذ الاتفاقيات المرحلية التي وُقعت بينهما في تلك المرحلة.

بالنسبة للقضايا التي أُجِّلت للمرحلة النهائية فقد تمحورت حول قضـــايا الحـــدود والمســـتوطنات والقدس واللاجئين والمياه. فالبند 1 من الفقرة 40 لاتفاقية اوسلو ينص على ما يلي: " تعتـــرف إسرائيل بالحقوق المائية للفلسطينيين، وسوف يتم التفاوض حول تلك الحقـــوق والتوصـــل إلـــى تسوية بشأنها خلال مفاوضات الوضع النهائي والتي تتعلق بمختلف مصادر المياه"[349] . ســـوف

[349] السلطة الوطنية الفلسطينية، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني. **المياه في المفاوضات النهائية**، ص 2.

أقوم بتتبع أثر الجدار الفاصل على هذه القضايا, علماً بأنني قمت فيما سبق بتوضيح أثر الجدار على عدد منها بشكل مفصل. لذلك لن أقوم بتكرار ما يتعلق بها، لكنني سأشير إليها فقط.

3:1:5: أ الجدار الفاصل وقضية الحدود.

بالنسبة إلى تأثير الجدار الفاصل على الحدود، فإنه من الواضح جداً أن القسم الغربي من الجدار يتم بناؤه إلى الشرق من خط الهدنة سنة 1949، ويؤدي إلى ضم فعلي لمساحات واسعة من أراضي الضفة الغربية. وهذا ما يعتبره كثير من الفلسطينيين والإسرائيليين وغيرهم, إعادة لترسيم جديد لحدود الضفة الغربية, الأمر الذي يشكل تجاوزاً للقانون الدولي والقرارات الدولية التي تعتبر أراضي الضفة أرض محتلة[350]. وفي حالة الاستمرار بالمخططات الإسرائيلية بشأن بناء الجدار, وإتمام الجزء الشرقي منه، فإن ذلك يعني تغيير كامل لحدود الضفة الغربية. ويعني تضييقاً كبيراً في حدود أي كيان فلسطيني يقام فوق الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة1967، الأمر الذي ينعكس سلباً على مجمل أنشطة الإنسان في تلك الدولة, ويقطع الطريق على إمكانية تطورها, مما يلقي ظلالاً قاتمة على إمكانية بقائها، هذا إذا تم تشكيلها أصلاً[351]. وما يؤكد أن إسرائيل تخطط لجعل الجدار الفاصل حدوداً جديدةً لكيانها، وليس إجراءً وقائياً كما تحاول أن تظهره للعالم, لتلافي الضغوط التي قد تواجها بسبب بنائها الجدار، هو البنية المعقدة التي يتصف بها الجدار وما يترتب على ذلك من مستلزمات، وقد بينت ذلك من خلال توصيفي للجدار في مكان سابق من هذه الدراسة[352].

تم تصميم الحدود الجديدة التي ترسمها إسرائيل للضفة الغربية بالشكل والكيفية التي تجعلها حدودا عمليةً وغير واضحة المعالم من اجل أن تبقى مرنةً حسب رؤية ومتطلبات إسرائيل المختلفة أمنياً وسياسياً وديموغرافياً واقتصاديا، الخ. هذا ما لا يمكن اعتباره حدوداً لدولة, بل أنه لن يكون إلا سوراً لسجنٍ كبير يتكون من عدة أقسام. كما أن تلك الحدود لن تكون قابلةً للدفاع

---

[350] **مجلة المراقب الاقتصادي**، *ملحق خاص بجدار الفصل العنصري*، عدد10/ ص104. 2003. مرجع سابق
- السيد غانم، محمد، محللون إسرائيليون: *الجدار الفاصل يمثل انتصار للحركة الوطنية الفلسطينية*. الجزيرة نت، **WWW. ALJAZEERA.NET, 2003/9/29.**
[351] الشيخ محمد، سامي: **الأبعاد السياسية والأيديولوجية لجدار العزل العنصري**، مركز الإعلام والمعلومات، 2004/2/29.
[352] حمدي، رشا / ص 191. مصدر سابق

عنها، بل إن المواطنين الذين تحتويهم تلك الحدود لن يكون لهم الحق في الدفاع عنها. كما أن تضييق حدود دولة فلسطين المنشودة, يؤدي في المقابل إلى توسيع حدود إسرائيل وهي الدولة المحتلة, مما سيهيئها للتزايد السكاني الطبيعي, ويمكنها من استيعاب الهجرات اليهودية وغير اليهودية التي تستقدمها إليها لمواجهة ما تسميه القنبلة الديموغرافية العربية[353]. إضافةً إلى ذلك فإن حدود الضفة الغربية المعول عليها بأن تشكل أفق الدولة الفلسطينية المنشودة محاطةً بإسرائيل من كل جانب, ولن يكون لها تواصل مع أي دولة عربية, مما يؤدي إلى زيادة إحكام السيطرة عليها من قبل إسرائيل [354] .

3:1:5: ب تأثير الجدار في حسم مشكلة وجود المستوطنات على أراضي الضفة الغربية

بالنسبة لتأثير بناء الجدار على المفاوضات التي كان يفترض أن تجري بشأن المستوطنات، فإن المتتبع لمسار الجدار يدرك بما لا يدع مجالاً للشك أن بناء الجدار مرتبط ارتباطا وثيقاً بموضوع المستوطنات. جاء مسار الجدار في معظم المناطق من أجل ضم المستوطنات اليهودية المقامة إلى إسرائيل عملياً، والتي تحتوي على الغالبية العظمى من المستوطنين. تقدر بعض المصادر أن الجدار سيؤدي إلى ضمان ضم وتواصل 88% من المستوطنين مع إسرائيل[355] . كما يبلغ عدد المستوطنات التي ستضم إلى إسرائيل وتكون على تواصل معها حوالي 66 مستوطنة منها 12 مستوطنة في محيط منطقة القدس و54 مستوطنة في باقي أراضي الضفة الغربية[356]. وهنا لا بد أن أبين أن هذه الأرقام ليست دقيقةً مئة بالمئة، بسبب التفاوت في إحصائيات المصادر المختلفة.

بالنسبة إلى ربط الاستيطان بالتصورات السياسية الإستراتيجية, نلاحظ أن ما ذهبت إليه سابقاً من أن إسرائيل دخلت العملية السياسية تكتيكاً, وليس بحثاً حقيقياً عن إيجاد حل للصراع من

---

[353] د الشيخ محمد، سامي. مرجع سابق.
[354] د البرغوثي، مصطفى. مقابلة حول الجدار الفاصل. الجزيرة نت. www.aljazeera.net
[355] دائرة شؤون المفاوضات، م.ت.ف. **حقائق عن الجدار**، آذار- نيسان 2004/ ص 13.
[356] الدجاني، فاتنة، وحمد، سائدة. مرجع سابق.

خلال التسوية السياسية، كان دقيقا. ما يؤكد ذلك, أن إسرائيل سارعت من وتيرة الاستيطان في الفترة التي أعقبت البدء بمحادثات السلام وتوقيع الاتفاقيات مع الفلسطينيين.

الجدول التالي يبين مدى التوسع الاستيطاني الذي جرى بعد سنة 1993, وهي السنة التي تم توقيع اتفاق المبادئ خلالها في واشنطن:

جدول رقم (21): التوسع الاستيطاني في الضفة الغربية منذ عام 1993

السنة	مساحة المستوطنات (كم^2)	النسبة المئوية من مساحة الضفة الغربية
1993	76.6	%1.35
1997	108.9	%1.92
1999	147.8	%2.61
2000	149.6	%2.64
2002	154.7	%2.73
المجموع	637.6	%11.25

نائل سليمان وإياد أبو ردينه: السياسات والمخططات الإسرائيلية للعزل والاستيطان في الأراضي الفلسطينية. أريج 2004.

بالنسبة لأعداد المستوطنين فقد أشارت البيانات التي أوردتها وزارة الداخلية الإسرائيلية أن عدد المستوطنين زاد خلال سنة 2003 بنسبة 5.8% ومعظم هذه الزيادة كانت في المراكز الاستيطانية الرئيسية في الضفة الغربية[357].

وبالنظر إلى ما يعنيه ذلك, نرى أن إسرائيل استمرت في سياستها الإستراتيجية تجاه المستوطنات رغم دخولها عملية التسوية، وما كان لها أن تتنازل عنها في أي تسويه سياسية لأنها تعتبر إحدى سياساتها الإستراتيجية. ويمكنني اعتبار أن الجدار الفاصل جاء ليخدم هذه التوجيه كخطوة تكميلية في سياسات المشاريع الاستيطانية. حيث أن بناء الجدار أضاف بعداً جديداً إلى المشروع الاستيطاني, يتمثل في إفساح المجال الواسع لتطوير هذه المستوطنات وزيادة أعداد قاطنيها في مراحل لاحقة[358]. هذا يعطينا مؤشراً بأن إسرائيل كانت من البدء

---

[357] دراغمه، محمد: *الجدار الفاصل هل يتم تقسيم الضفة بين الفلسطينيين وإسرائيل*. **مجلة الفصلية**. عدد 14/ ص 12. آذار 2003.

[358] بنجون . *جدار الفصل العنصري الإسرائيلي الجزء الأخطر في المخطط الاستيطاني التوسعي للاحتلال الإسرائيلي*. **مجلة أوقفوا الجدار**. عدد 1/ ص1. آب- أيلول 2003.

تخطط لتوجيه العملية السياسية وفق رؤيتها, حتى لا تصل إلى مرحلة تحتم عليها ضرورة حسم قضايا المفاوضات النهائية بما لا يتماشى ورؤيتها للحل, ومن ضمنها موضوع الاستيطان. لذلك عملت على تهيئة الظروف التي تخدم التوجه الذي يعزز الاستيطان, وقد ساهمت الضبابية التي برزت في مواقف حكومة العمل إبان حكم رابين في إبراز مواقف الفئات المناهضة للمفاوضات المستقبلية حول مصير المستوطنات[359].

3:1:5: ج تأثير الجدار على قضية القدس

حازت مدينة القدس على الاهتمام الإسرائيلي منذ اليوم الأول لاحتلالها. بل أنها كانت ضمن الاهتمامات اليهودية والإسرائيلية قبل ذلك بكثير. لذلك اتبعت إسرائيل سياسات تمييزية مختلفة تجاه سكانها العرب, بهدف دفعهم إلى الهجرة منها, في حين أنها منحت امتيازات مختلفة لليهود الذين يرغبون في السكن فيها, وذلك بهدف زيادة أعداد اليهود الذين يسكنون هذه المدينة, وشرعت ببناء أحياء سكنية داخلها, وإنشاء مستوطنات تحيط بها من كل جانب[360]. ونظراً لوقوع القدس في دائرة الاهتمامات الأولى بالنسبة للجانبين الفلسطيني والإسرائيلي, فقد تم تأجيل البحث في مصيرها في إطار العملية السياسية الجارية بين الجانبين. حيث جاء في المادة الخامسة الفقرة(أ) من اتفاق إعلان المبادئ الموقع بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي في أيلول سنة 1993, أن القدس تقع ضمن القضايا المتبقية لمفاوضات الوضع النهائي الخاصة بالقضية الفلسطينية[361] . رغم ذلك فقد استمرت إسرائيل بتنفيذ السياسات التي تؤدي إلى سيطرة محكمة على كامل منطقة القدس ومستوطناتها، والتي تبلغ مساحتها ضمن ما حددتها إسرائيل, أكثر من 320 كم وهو ما يوازي 5.6% من مساحة الضفة الغربية تقريباً[362].

جاء بناء الجدار في مدينة القدس كأحد أهم الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل لإحكام السيطرة على المدينة المقدسة وحسم مصيرها. وذلك بوضع حاجز مادي يفصلها عن إطارها الفلسطيني,

---

[359] ألفر، يوسي: *المستوطنات والحدود, المفاوضات الفلسطينية الاسرائيلية*. **مواقف إسرائيل من قضايا الحل النهائي** . نابلس. مركز البحوث والدراسات الفلسطينية 1995/ ص55 .

[360] م.ت.ف، دائرة شؤون المفاوضات. **جدار الفصل العنصري – القدس**/ ص1.

[361] الأزعر، محمد خالد: *أي قدس ستكون موضوع التفاوض؟*. **صامد الاقتصادي**.عدد 108/ ص 17. نيسان- حزيران 1997.

[362] المرجع السابق/ ص 4.

وبالتالي فانه لن يعد هناك ما يمكن التفاوض عليه في المدينة. يتراوح طول الجدار الذي يحـيط بمدينة القدس ما بين 40-50 كم، ويحيط بها من ثلاث جهات هي الجنوبية والشرقية والشمالية, أما الجهة الغربية فليس هناك لزوم لبنائه حيث يقع الجزء الغربي من المدينة الذي احتل سنة 48 ويقطنه اليهود[363]. الملحق رقم (19) يبين خارطة المخطط الإسرائيلي لتطويق القدس.

الجدار الذي يحيط بمدينة القدس جاء ليخدم الإستراتيجية الإسرائيلية القائمة على محورين همـا: تغيير الطابع الحضاري للمدينة من خلال عزلها عن محيطهـا الفلسـطيني, وتغييـر طابعهـا الديموغرافي. هذا من أجل خلق أمر واقع جديد, يستحيل معه تقسيم المدينة في أي مفاوضـات تتم في إطار التسوية السياسية. وأهم ما يمكن ملاحظته في تأثير الجدار على مدينة القـدس مـا يلي:

3:1:5:ج:1 عزل مدينة القدس عن محيطها الفلسطيني واستمرار العمل على تهويدها

من الواضح أن الجدار الفاصل يؤدي إلى عزل كامل لمدينة القدس عن محيطها الفلسطيني فـي الضفة الغربية. هذا يؤدي إلى الحد بشكل كبير جدا من الأنشطة الفلسطينية داخلها, في حين أنه يفتح المجال واسعاً أمام إسرائيل لان تسـتمر بـإجراءات تهويـد المدينـة وتغييـر طابعهـا الحضاري[364]. وقد تعاملت إسرائيل على أساس أن مصير القدس يُحسم من خلال ما تفرضه من تعديلات ووقائع على الأرض, وطبقاً للحقائق العمرانية والمؤسساتية للمدينة المقدسة. مـن هنـا سعت إسرائيل دوما إلى تغيير الحقائق القائمة, وإبدال صورة القدس العربيـة بصـورة أخـرى تقيمها عبر أعمال الهدم والبناء. هدم الطابع العربي والإسلامي للمدينة, وبناء طـابع إسـرائيلي يترسخ في ذهنية الإنسان مع الزمن [365].

يأتي الجدار ليعزز الإجراءات الإسرائيلية التي تقوم بها إسرائيل, لكونه حاجز مـادي سـيؤدي إلى تقييد النشاط الفلسطيني في مدينة القدس, حيث لا يعود بإمكان فلسطينيي الاراضي المحتلـة

---

[363] حمدي، رشا / ص 190. مرجع سابق
[364] حمدي، رشا. / ص 190. مرجع سابق
[365] الأزعر، محمد خالد / ص 12. مرجع سابق

سنة1967, دخول المدينة لممارسة أنشطتهم المختلفة داخل المؤسسات الفلسطينية المتواجدة فيها, أو أي ميدان آخر موجود في مدينة القدس, بصفتها مركز حيوي وحضاري بالنسبة للفلسطينيين.

3:2:5:ج:2 تغيير طابع المدينة السكاني

لقد حرص الإسرائيليون على أن يؤدي الجدار إلى عزل بعض الأحياء العربية التابعة إلى مدينة القدس, ووضعها في معازل مفصولة عن القدس وعن باقي مناطق الضفة الغربية، مثل ضاحية البريد التي يقيم بها نحو 24 ألف فلسطيني، ويُخشى من سحب بطاقات الهوية المقدسية من المواطنين المقيمين في تلك الأحياء. كما تم فصل حوالي 15 ألف مواطن فلسطيني من سكان مدينة القدس القاطنين في ضواحي المدينة التي تم فصلها نهائيا عن المدينة وأصبحت خارج الجدار المحيط بالمدينة، مثل كفر عقب وقلنديا. وهؤلاء يُخشى من أن يضافوا إلى الآلاف الأخرى التي سُحبت منهم ألهويات المقدسية[366]. بعض المصادر ذهبت إلى تأكيد أن إسرائيل تخطط لخفض نسبة السكان العرب ليصل إلى 12% من سكان القدس, حيث سيتم سحب الهويات الإسرائيلية من الفلسطينيين ا لمقيمين في الأحياء العربية, التي سبق وان تم ضمها إلى حدود بلدية القدس مثل بيت حنينا و كفر عقب وقلنديا الخ[367]

وفي نفس الوقت عمل الجدار على ضم كافة الأحياء اليهودية في المدينة، وكذلك أبقى مجالا لتواصل جغرافي ما بين القدس والمستوطنات المقامة حولها، إضافة إلى انه يتم ربط تلك المستوطنات مع بعضها بعضاً, ومع المدينة نفسها من خلال شبكة الطرق الدائرية[368]. وضمن المخططات الإسرائيلية لما يسمى منطقة القدس الكبرى، سيؤدي بناء الجدار إلى ارتفاع معدلات زيادة السكان اليهود على السكان الفلسطينيين. حيث يخطط أن يكون عدد سكان القدس الكبرى حوالي 650 ألف نسمه معظمهم يهود، في حين لا تزيد نسبة العرب منهم عن 25% من مجموع

---

[366] م.ت.ف، دائرة شؤون المفاوضات. مرجع سابق/ ص 4.

[367] **مجلة المراقب الاقتصادي**. *ملخص خاص بجدار الفصل العنصري* / ص 101. مرجع سابق

[368] حمدي، رشا / ص 190. مرجع سابق

القاطنين في المنطقة [369]. مصادر ذكرت أن نسبة الفلسطينيين ستنخفض بعد بناء الجدار حول مدينة القدس إلى 22% بعد أن كانت 35% من السكان. حيث أن الجدار سيفصل 70 ألف مواطن فلسطيني ويجعلهم خارج إطار المدينة التي حددت جغرافيا بالجدار في حين يبقى داخلها 150 ألف مواطن[370]. ما يزيد من قناعتنا أن إسرائيل سعت لتغيير الطابع الديموغرافي في مدينة القدس, كخطوة عملية تتبلور على أرض الواقع, لتمنع أي احتمال لتقسيم المدينة خلال مفاوضات المرحلة النهائية، أن نائب رئيس بلدية القدس كان قد أعلن, أن هدف إسرائيل هو زيادة عدد اليهود في مدينة القدس بنحو 70 ألف شخص, خلال الفترة الممتدة من سنة 1994-1996، وهو موعد المفاوضات على قضايا الحل النهائي. الهدف من هذه الزيادة هو جعل نسبة اليهود تصل إلى 80% من سكان المدينة[371] . وقد جاء الجدار ليعمل بنفس الاتجاه لكن بأسلوب آخر وهو إخراج الفلسطينيين من المدينة كما بينت ذلك.

3:1:5: د تأثير الجدار على عودة اللاجئين

لقد اعتبرت قضية اللاجئين الفلسطينيين من القضايا التي اتفق على تأجيل البحث فيها لمرحلة المفاوضات النهائية. حدد ذلك في اتفاق إعلان المبادئ الموقع في واشنطن في أيلول سنة 1993.

قد لا يكون هناك صلة مباشرة ما بين الجدار وبين قضية اللاجئين وحقهم في العودة إلى وطنهم وبيوتهم وأراضيهم. لكن من المحتم أن هناك صلة غير مباشرة. ويتأتى ذلك من خلال ما نلحظه من مدى الانعكاسات والآثار التي يتركها الجدار على الفلسطينيين المقيمين في بيوتهم وفوق أرضهم. فقد رأينا كيف أن الجدار يضيق على الفلسطينيين كافة مناحي حياتهم. كما أن الإجراءات المرافقة له تعني انه لم يعد للفلسطينيين المقيمين خلفه حق أصيل في وجودهم في بيوتهم وأراضيهم، فكيف إذاً ستكون نظرة إسرائيل للآلاف الذين هُجِّروا من بيوتهم ووطنهم منذ عشرات السنين، أو الذين ولدوا في المنافي والمهاجر ولم يروا فلسطين قط. إن إدراكنا ومعرفتنا

---

[369] إسحاق، جاد. *مقابلة خاصة مع قناة الجزيرة*. موقع الجزيرة نت . **www.aljazeera.net**

[370] الرجوب، عوض: *غلاف القدس يهدف إلى عزلها وتهويدها*. الجزيرة نت 10/3 /2004. **www.aljazeera.net**

[371] الأزعر، محمد خالد / ص 17. مرجع سابق

بقيام إسرائيل بالضغط على الفلسطينيين المقيمين خلف الجدار ليرحلوا، يجعلنا ندرك أن إسرائيل لن تقبل بعودة الفلسطينيين ليسكنوا في بيوتهم وأراضيهم التي هُجَّروا منها سنة 1948.

من ناحية أخرى فإن التضييق الجغرافي الذي أحدثه الجدار على التجمعات السكانية الفلسطينية في الضفة الغربية، لم يترك مجالاً لتلك التجمعات لاستيعاب التطور والزيادة الطبيعية في حجم للسكان[372]، فكيف يمكن لهذه المناطق أن تستوعب عشرات الآلاف بل الملايين من الفلسطينيين المقيمين في المهاجر. من هنا نلحظ اثر ضمني واضح للجدار على موضوع اللاجئين, والسعي نحو حقهم بالعودة إلى بيوتهم التي هُجَّروا منها سواء سنة1967أو سنة 1948[373].

بالنسبة إلى تأثير الجدار على قضية المياه وهي من قضايا المفاوضات النهائية, فقد سبق وأن قمت بتفصيل آثار الجدار على المياه الفلسطينية في الضفة الغربية, ولا داعي لإعادة كتابة ذلك أيضا.

---

[372] بنجون. **مجلة أوقفوا الجدار**. عدد 1. ص 2. مرجع سابق.
[373] الشيخ محمد، سامي. مرجع سابق.

استنتاجات الدراسة

سأتناول في هذا المبحث الاستنتاجات التي خلصت إليها من خلال دراستي لهذا الموضوع. سيتضمن ذلك استنتاجات تتعلق مباشرة بمضمون ما كتبت خلالها, حيث خلصت إليها من خلال إطلاعي على قراءات مختلفة تتناول أجزاء كثيرة من مواضيع دراستي.

أولا: لاحظنا من خلال إطلاعنا على حجم التأثيرات التي يحدثها الجدار في الضفة الغربية، ومدى شمولها واتساع نطاقها الذي يطال أكثر من مجال، أنه يؤثر سلباً وبشكل كبير على إمكانية إحداث تنمية سياسية في الضفة الغربية. فالجدار يؤدي عمليا إلى قطع الطريق عن إقامة دولة فلسطينية على حدود حزيران 1967، وبالتالي ستتراجع فرص العملية السياسية بإحداث أي نوع من أنواع السلام ما بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وستستمر حالة الصراع على أشدها ضمن فترات تصاعد وهدوء نسبي، لكن يستمر الصراع. كما يؤدي الجدار إلى تقطيع أوصال الضفة ويجعلها أجزاء متناثرة، محاطة بالجدران والأسلاك الشائكة والبنى الأمنية والعسكرية. هذا الوضع يجعلها أشبه بالسجون والمعتقلات الجماعية، مما يعني استحالة إحداث أي نوع من أنواع التنمية فيها. فالضفة لن تعود وهي بهذه الحال, منطقة ذات وحدة جغرافية إقليمية، وبالتالي لن يكون الفلسطينيين المقيمين فيها على تواصل سكاني، وهذا بحد ذاته يعني مساً صريحا ومؤثرا بشكل سلبي على أسس التنمية السياسية.

كما أن الجدار يؤدي إلى فصل أجزاء واسعة من أراضي الضفة، ويعمل من الناحية العملية على ضمها إلى إسرائيل، لتجعلها ميدانا لمخططاتها الاستيطانية. كذلك فإن الجدار يؤثر سلبا على أهم متطلبات حياة الفلسطينيين ومعيشتهم. فهو يؤثر على مواردهم المائية ويبقيها عمليا بيد أعدائهم. كما يؤثر على أهم قطاعاتهم الاقتصادية, ومختلف مجالات عملهم التي تشكل أرضية نمائهم وتطويرهم. كذلك يؤثر على أوضاعهم الصحية والتعليمية ويشل من قدرتهم على الحركة والتنقل لممارسة أنشطتهم المختلفة. كما نرى أن الجدار يؤثر حتى على حقوق المواطنة للإنسان الفلسطيني وتحديداً لأولئك المقيمين في مدينة القدس. فقد رأينا كيف أدى الجدار إلى عزل الكثيرين منهم عنها، ومن المتوقع أن يتبع ذلك إجراءات إسرائيلية لسحب حق الإقامة والمواطنة

من الفلسطينيين المقيمين داخل المدينة الذين فصلهم الجدار عنها. كل ذلك يعني حتمـــا اســـتحالة إحداث تنمية.

ثانيا: مما سبق وبينته خلال الدراسة، فإني اعتقد أن بناء الجدار بالشكل والكيفية التي تـــم بهـــا، جاء ليحقق أهدافاً كثيرة ومهمة غير الهدف الأمني. أقول هذا, نظرا لما يحدثه الجدار من آثـــار سلبية كثيرة على الشعب الفلسطيني التي تقول إسرائيل أنها على استعداد لصنع الســـلام معـــه. ونظراً لما يحققه الجدار من ميزات وفوائد كثيرة غير أمنية لإسرائيل. في نفس الوقـــت أرى أن من جملة الفوائد التي تعود على إسرائيل من وراء بنائها الجدار، تأتي الفائدة الأمنية في ســـياق هذه الفوائد, وبالتالي أرى أن الجدار يحقق هدفا أمنيا. لكن بناءه بالشكل الذي تم فيه يؤكد أنه لم يُبنى من أجل أهداف أمنية كما تقول إسرائيل، لأنه لو كان الهدف أمنياً فقط لاستطاعت إسرائيل بنائه على خط الهدنة " الخط الأخضر" الذي يفصل ما بين الضفة الغربية وإسرائيل. وكانت بهذا ستتجنب الكثير من المواقف المعارضة لبنائها الجدار، ومن ضمنها القرار 131 الصـــادر عـــن محكمة العدل الدولية. وربما كانت ستستطيع أن تجند دعما سياسياً ومالياً لبنائه لو فعلت ذلـــك. لكن أهدافها غير المعلنة جعلتها تبنيه بالشكل والكيفية التي تم بها.

ثالثا: نظرا لعدم قيام إسرائيل لغاية الآن بالشروع في بناء القسم الشرقي من الجدار، فإني أرجح أن إسرائيل لن تقوم ببنائه بالشكل الذي عليه القسم الغربي, وســـتكتفي بـــالإجراءات العســـكرية والأمنية التي قامت بها خلال هذه المرحلة, لإحكام السيطرة على منطقة الأغوار. تـــؤدي هـــذه الإجراءات في تلك المنطقة إلى نفس ما يؤدي إليه القسم الغربي في المنطقة التي يفصلها، مـــن حيث التضييق على الفلسطينيين والحد من حركتهم ووضع العراقيل أمام تطورهم وتفاعلهم فـــي تلك المنطقة. لذا لا داعي من بنائه في هذه المرحلة طالما أن إسرائيل تستطيع أن تحقق أهـــدافها ومبتغاها داخل المنطقة, بالإجراءات العسكرية والأمنية التي أقامتها. وإذا استجدت أية ظـــروف تؤثر على قدرتها في تحقيق ذلك، فإنها قد تبدأ عندئذ بوضع الحواجز المادية التي مـــن شـــأنها ترسيخ الوضع القائم حالياً. ولو أن إسرائيل أرادت فعلاً الشروع ببناء القسم الشرقي من الجدار في هذه المرحلة, بالشكل والكيفية التي تم بها القسم الغربي, لكانت بدأت العمل في وقت ســـابق

حتى ينسجم ذلك مع الموعد الذي أعلنته للانتهاء من عملية بناء الجدار وهو نهاية سنة 2005م. ونظراً لعدم حصول هذا لغاية الآن, كان استنتاجي بان إسرائيل لن تستكمل بناء الجدار في قسمه الشرقي خلال هذه المرحلة على الأقل. هنا لابد أن أؤكد أن توقعاتي بعدم شروع إسرائيل ببنـــاء القسم الشرقي من الجدار, لا تؤثر على استنتاجاتي الأخرى ولا تؤثر كثيراً على حجم الأضرار الواقعة على الفلسطينيين بفعل بناء الجدار, لأن ذلك حاصل بواسطة الإجراءات العسكرية ودون بناء الجدار كما بينت هذا سابقاً.

رابعا: يؤدي الجدار إلى تأثيرات سلبية طويلة المدى على كثير من مقومات التنمية في مختلــف المجالات, الاقتصادية والاجتماعية والسكانية والصحية والتعليمية، الخ. هذا يعني تضييق شـــامل على حياة الناس، مما قد يدفع الكثيرين منهم للهجرة خارج الضفة الغربية على المدى الطويــل، هرباً من هذه الظروف القاسية. كل ذلك يتطلب إجراءات تعمل باتجاه معاكس للحد من تأثيرات الجدار. أقول هذا رغم قناعتي أن السلطة الفلسطينية وهي الجهة المطالبة بهذه الإجــراءات لـــن تقوم بأي شيء عملي بهذا الخصوص, طالما بقيت مظاهر الفساد قائمة في هذه السلطة, والتـــي تتجلى بحجم الترهل الداخلي وروح اللامسئولية التي يتصف بها كثير من المسئولين فـــي هـــذه السلطة, في ظل عدم وجود نظام سياسي أو اجتماعي أو قضائي يستطيع محاسبة المقصرين في عملهم ومسؤولياتهم. إضافة إلى أن هناك أسباب أخرى موضوعية تعيق إمكانية قيام السلطة بما هو فاعل وعملي للحد من تأثيرات الجدار, تتعلق تلك الأسباب بعدم وجود قـــدرات وإمكانيـــات كافية تستطيع السلطة من خلالها تنفيذ برامج من شأنها الحد من تأثيرات الجدار السلبية. وحتـــى لو وجد ذلك فإنه سيجد له طريقا فيما يسمى ملفات الفساد التي تندرج في إطار الأسباب الذاتية.

خامساً: أرى أن بناء الجدار, هو إجراء استراتيجي أحادي الجانب من قبل إسرائيل. وقـــد نجـــم عنه وقائع سياسية وجغرافية من أهمها إلغاء ما كان يسمى بالخط الأخضر. فالكثيرون يعتبرون أن ما تم, هو ترسيم لحدود سياسية واقعية جديدة بين الإسرائيليين والفلسطينيين. لهذا أرى أنه لن يكون بالإمكان تجاوز هذه الوقائع على المدى القريب, وبالتالي يمكن اعتبار بناء الجدار أنه جاء كخطوة حاسمة من جانب إسرائيل, بحيث تفرض من خلالها رؤيتها للحـــل مـــع الفلســـطينيين.

ستبقى الأوضاع السياسية تراوح حالتها كما هو الوضع الراهن, ولن يحصل تقدم يذكر لسنين قادمة. هذا يعني انهيار العملية السياسية التي بدأت في مؤتمر مدريد, وأرى أنه أحكمت حلقات انتهائها ببناء الجدار الفاصل, وليس مما شهدناه من صدامات دامية خلال هذه المرحلة. هذا يعني أن الصراع العربي الإسرائيلي, أو الأحرى أن نقول الصراع الفلسطيني الإسرائيلي, سيستمر لفترات طويلة قادمة.

سادسا: لاحظت من خلال إطلاعي على الدراسات والتقارير والمصادر المختلفة التي تناولت الجزئيات التي كتبت عنها بما يتعلق بتأثير الجدار, أن هناك مصادر مختلفة عديدة أوردت بيانات وأرقام إحصائية بخصوص بعض الجزئيات, وكانت الكثير منها متباينة, رغم أنها تكون عن نفس الجزئية. رغم ذلك هناك العديد من تلك المصادر كانت قريبة من بعضها بعضا فيما أوردته. هذا التفاوت له أسبابه التي بينتها في مكان آخر. إضافة إلى أنه يشير إلى عدم وجود دقة كبيرة عند العديد من المصادر فيما تكتب عن موضوع الجدار. لتجاوز هذه الإشكالية في الدراسة التي قمت بها, فقد أوردت البيانات المختلفة ونسبتها إلى مصادرها. كما أوردت البيانات المتقاربة التي ذكرتها مصادر مختلفة عن الجدار, وقمت بترجيح ما ذكرته بعض المصادر في هذا الشأن لأسباب أشرت إليها في حينه. عموما يمكن للدارس استبعاد البيانات الشاذة من خلال إطلاعه على الكثير من المصادر التي تناولت الموضوع, وهكذا فعلت عند ترجيحي لما رأيت أنه أكثر دقة من غيره.

سابعا: بنفس السياق السابق, فقد لاحظت تعدد للجهات الرسمية الفلسطينية التي تكتب عن الجدار, لكن في أحيان عديدة تتضارب البيانات فيما بينها. كما لاحظت أن بعض الجهات الرسمية التي أنيط بها موضوع الجدار, لا يوجد لديها الكثير عن هذا الموضوع الهام. بل أن كثير من المؤسسات الأهلية يوجد لديها معلومات أكثر بكثير مما لدى الجهات الرسمية التي أنيط بها هذا الموضوع. كما لاحظت أن الجهات الرسمية تستند في تقاريرها ومصادرها على تقارير تصدرها مؤسسات أهلية أو دولية. وأعتقد أن من المفروض أن يكون لدى الجهات الرسمية اهتماماً أكثر بهذا الموضوع كونها هي المسئولة عن الشأن الفلسطيني العام وهذه مسؤوليتها. هذا

له أهمية كبيرة جداً على أكثر من صعيد. كما أن الجهات الرسمية واقصد هنا الحكومة الفلسطينية يفترض أن تكون أكثر جهة تتوفر لها الإمكانيات والقدرات الفنية والمادية التي تستطيع من خلالها رصد كافة تفاصيل تأثيرات الجدار وماهيته.

توصيات الدراسة

بعد إطلاعي على كثير من التقارير والمقالات والدراسات التي تتعلق بجزئيــات هــذه الدراسة وموضوع الجدار وتأثيراته المختلفة يمكنني أن أقدم التوصيات التالية:

أولا: أرى أن تقوم الحكومة الفلسطينية بتشكيل فريق عمــل واســع ومتكامــل مــن البــاحثين والمختصين, وتقسيمهم إلى لجان عمل لمتابعة موضوع بناء الجدار وتأثيراته المختلفة في شــتى المجالات. ذلك من أجل عمل دراسة شاملة تتعلق بكافة الجزئيات والعناصر التي يمكن بلورتهــا في هذا الموضوع، بحيث يتشكل لدينا قاعدة بيانات واسعة ودقيقة، يمكن الاستناد إليها, وإلى مــا نشر من دراسات دقيقة حول كافة ما يتعلق بالجدار. ذلك في حالة أردنا إجــراء أي خطــط أو خطوات في مختلف المجالات من شأنها الحد من تأثيرات الجدار السلبية وصولا إلــى مرحلــة إزالته نهائيا. وتزداد أهمية إنشاء هذا الفريق والدراسة التي يجب أن يقوم بهــا بســبب ظهــور الكثير من التباينات في المعلومات التي تناولت العديد من جزئياته ومجالات تأثيره، لأسباب قــد تكون موضوعية ناجمة عن تغييرات تجريها إسرائيل أثناء بنائها الجدار على أرض الواقع، في حين تكون هذه التغييرات تختلف عما جاء في مخططاتها التي سبق وأعلنت عنها، وقــد تكــون بعض الدراسات تناولت ما أعلن عنه وقامت بنشره قبل التنفيذ الذي جاء مخالفــا للمخططــات المعلن عنها. كما يمكن أن يكون هذا التباين عائد أيضا لأسباب غير موضوعية, تتعلق بعدم دقة المصدر الذي تناول هذا الموضوع. . كذلك فإن بناء الجدار لم يكتمل لغاية الآن، بــالرغم مــن اكتمال أجزاء مهمة وكبيرة منه, وبالتالي يبقى المجال مفتوحا لظهور آثار وبيانات جديدة.

ثانياً: أرى ضرورة أن يتعامل الفلسطينيون من خلال مختلف المؤسسات الرسمية وغير الرسمية مع حالة الجدار على أنه يشكل أمرا واقعا فُرض عليهم بمنطق القوة من قبل كيــان الاحــتلال. وعليه فإن عليهم التعاطي مع إزالة الجدار والحد من تأثيراته بشكل استراتيجي يرتبط بصــورة مباشرة في مسعاهم لاجتثاث الاحتلال نفسه. هذا يقتضي تجنيد كافة الإمكانيات والعمــل بكافــة السبل لإزالة هذا الجدار, كما هو الحال بالنسبة لمسعى إزالة الاحتلال. وقد يكــون مــن أهــم الخطوات الواجب اتخاذها في هذه المرحلة ربط العملية السياسية أو أي محاولات للتسوية بإزالة

هذا الجدار الطارئ الذي أنشأه الاحتلال الإسرائيلي. هذا الأمر يقتضي تعبئة كافة الإمكانيات على المستوى الوطني ماديا ونفسيا ومعنويا. حتى لو تطلب الأمر إعادة خلط الأوراق بالمنطقة جميعها من خلال إعادة النظر بمجمل العملية السياسية ومحاولات البحث عن تسوية. أثبتت التجربة العملية وأكدت أن إسرائيل التي قامت على أنقاض الشعب الفلسطيني عملت بوحي من استراتيجياتها فيما يتعلق بالسيطرة والتوسع، ولم تبد أي استعداد لتقديم تنازلات في إطار التسوية السياسية. أهم دليل على ما أقول ويتعلق بموضوع هذه الدراسة، هو ما قامت به من بناء الجدار الذي بينت أنه يرتبط بشكل وثيق بالمشروع الاستيطاني الاستراتيجي، والذي ظل يشكل أحد الثوابت في السياسات الإسرائيلية على مدى وجودها, وقبل ذلك على مدى وجود الحركة الصهيونية التي أنشأتها.

ثالثا: أرى ضرورة قيام السلطة الفلسطينية باستغلال ما جاءت به محكمة العدل الدولية في قرارها رقم 131. الذي قضى بان الجدار إجراء غير قانوني، وله آثار تدميرية على الشعب الفلسطيني. وطالبت المجتمع الدولي للضغط على إسرائيل لإزالته وتعويض المتضررين منه. هذا يتم من خلال العمل على تفعيل لجان إعلامية وسياسية وقانونية لمتابعة وإثارة هذا الموضوع وإبقائه حيا على المستويات الدولية والإقليمية والشعبية، ومختلف المحافل والميادين. وأرى من المهم أن تكون هذه اللجان جزء من فريق العمل المتكامل الذي أشرت إليه سابقاً.

رابعا: الإعلان عن المناطق الأكثر تضررا من بناء الجدار والإجراءات المصاحبة له، بأنها مناطق تطوير"أ". وهي المناطق التي يستهدفها الجدار بالضم سواءً القسم الغربي أو الشرقي. إضافة إلى المناطق التي يحاصرها الجدار من كافة الجهات ويعزلها عن محيطها. هذا يقتضي تنفيذ مستلزمات هذا الإعلان, وتنفيذ البرامج التطويرية والتنموية في مختلفة المجالات لتلك المناطق، وتقديم التسهيلات والخدمات التي تلزم المواطنين المقيمين فيها. مثل إنشاء البنى التحتية من طرق ومدارس ومشافي، الخ. وكذلك إقامة مناطق صناعية لجذب المواطنين من خارج المناطق المستهدفة للقدوم إليها للعمل، وكذلك إنشاء مرافق للترويح والمرح. هذا يجعل تلك المناطق مناطق جذب للنشاط الإنساني, ويزيد من قدرة ساكنيها على الصمود والبقاء في

بيوتهم وقراهم ومناطقهم المعزولة. وأرى ضرورة العمل على زيادة أعداد المواطنين في هـذه المناطق المستهدفة, من خلال إنشاء مشاريع إسكانية فيها.لأن الأهمية للأرض والنـاس والميـاه كما يقول شارون. في هذا المجال أرى أن تقدم الوحدات السكنية التي تُبنى في تلك المناطق إلى المواطنين الفلسطينيين بأسعار منافسة وأقل بشكل ملحوظ من أسعار الوحدات السكنية المماثلـة في المناطق الأخرى. كما يمكن من خلال هذه الآلية تحقيق هدفين في آن واحـد، الأول يتعلـق بزيادة أعداد الفلسطينيين في المناطق المستهدفة بالفصل بواسطة الجدار. والثاني يتعلـق بحـل مشاكل كثير من الأسر الفلسطينية الجديدة التي لا تمتلك بيوت للسكن، أو تشكل تكلفـة السـكن بالنسبة إليها عاملا يحد من قدرتها على تنمية مستوى معيشتها. في نفس التوجه يمكن للحكومـة الفلسطينية أن تشكل صندوق خاص للإسكان في المناطق المستهدفة بالفصل، بحيث يرتكز هـذا المشروع على إسكان الراغبين بملكية سكن من المواطنين ومحدودي الدخل مع خصـم أثمـان الوحدات السكنية من رواتبهم الشهرية على مدى طويل، وفي نفس الوقت بأسعار مناسـبة لهـم يرونها فرصة تمكنهم من تملك بيوت سكنية.

خامسا: ضرورة البدء بالتفكير جديا في إعادة هيكلة القطاعات الاقتصادية الفلسطينية لمواجهـة الآثار السلبية التي يتركها الجدار على الاقتصاد الفلسطيني, والتي تتجلى بضـرب أهـم قطـاع اقتصادي, المتمثل بالقطاع الزراعي. إضافة إلى ما ينجم عن ذلك من تفشٍ للبطالة بشكل واسـع في صفوف القوى العاملة الفلسطينية. يمكن الاستفادة في هذا المجال من خلال بعض الامتيازات الممنوحة للسلطة الفلسطينية من قبل بعض الدول العربية والأجنبية التي منحت فلسطين وضعية الرعاية. هذا يعني السماح للفلسطينيين بتسويق منتجاتهم في أسواق تلك البلـدان دون معوقـات حماية المنتجات الداخلية ودون رسوم جمركية. لهذا يمكن أن يتجه الفلسطينيين للتركيـز علـى بعض الصناعات أو المنتجات التي يمكن تسويقها لتلك الدول. بهذا يمكن استيعاب أعداد العمـال الذين أصبحوا عاطلين عن العمل بفعل الجدار، وكذلك يمكن التخفيف مـن الآثـار الاقتصـادية السلبية للجدار من خلال زيادة الدخل القومي للفلسطينيين الناجم عن زيادة التصدير وفق الرؤية التي تحدثت عنها. في نفس الوقت فإني أرى ضرورة عدم التخلي عن القطاع الزراعـي، وأرى ضرورة العمل على دعمه وتطوير العناصر الأخرى التي لم تتأثر فيه بالجدار، مثل دعم الثروة

الحيوانية، واستصلاح الأراضي الجبلية وغرسها بالأشجار المثمرة، الخ. كذلك التركيز على المنتجات القابلة للتصدير مثل الزهور والنباتات العطرية التي تستخدم للأدوية ومستحضرات التجميل. سيكون لهذا آثاراً ايجابية على أكثر من عنصر اقتصادي لمواجهة الآثار السلبية التي يحدثها الجدار في هذا المجال. كما أرى ضرورة الاهتمام بالتصنيع الزراعي لزيادة جدوى الإنتاج الزراعي بالنسبة للمزارعين الفلسطينيين, وبالتالي يبقى اهتمامهم بهذا القطاع قائما. وارى بالقانون الفلسطيني الذي سُن مؤخرا والقاضي بإعفاء الدخل الناتج عن المشاريع الزراعية من ضريبة الدخل خطوة بالاتجاه الصحيح. وأرى ضرورة القيام بخطوات أخرى في نفس الاتجاه، بحيث تكون موجهة لدعم الأنشطة الاقتصادية المختلفة التي يكون منشأها المناطق المستهدفة بالفصل. في نفس الوقت أرى ضرورة العمل على دعم المزارعين الذين تقع أراضيهم داخل المناطق التي يفصلها الجدار من خلال العمل على مساعدتهم في السكن بها إذا كانوا يقطنون خارجها في مناطق لم يفصلها الجدار، وذلك حتى يتمكنوا من الاستمرار بزراعتها والعيش من محاصيلها.

سادسا: بالنظر إلى أن إسرائيل مارست استراتيجياتها التي خططت لها فيما يتعلق بالصراع, ونفذت برامجها وسياساتها التي تنسجم مع تلك الاستراتيجيات, وأهمها السيطرة والاستيطان ولم تعر اهتماما باستعداد العرب للتنازل مقابل حصول تسوية سياسية. فإني أرى ضرورة أن يعيد الفلسطينيون صياغة خياراتهم, مستندين لهذه التجربة التي أكدت مسعى إسرائيل في فرض حل صاغته حسب أهدافها ومصالحها. وذلك بأن يعمل الفلسطينيون على بث ثقافة المقاومة من جديد, وعدم إضاعة الوقت والحقوق في متاهات سماسرة السياسة. وأرى أن الشعب الفلسطيني الذي أثبت بأنه على استعداد للتضحية من أجل نيل حقوقه, يستطيع أن يؤثر على مجرى الأحداث في هذه المنطقة المهمة للعالم، مما يهيئه لاسترداد حقوقه في وطنه.

سابعا: بالنظر إلى السبب الذي قدمته إسرائيل كمبرر لبنائها الجدار والذي يتمثل بمنع الفلسطينيين من الدخول سراً إلى إسرائيل وتنفيذ هجمات فدائية في عمق المدن الإسرائيلية، فإن القيام بالأنشطة التي تجعل الجدار غير ذي جدوى وفائدة من الناحية الأمنية, سيجعل إسرائيل

تعيد حساباتها في التعاطي مع الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية. وقد يؤدي هــذا إلــى حــث إسرائيل على إعادة ولو جزء من الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، وتغيير نظرتها إلى مدخل التعاطي مع القضية الفلسطينية من اعتبارها شأنا أمنيا إلى اعتبارها شأنا سياسيا. كما أن تهاوي الطرح الإسرائيلي الذي قدمته إسرائيل كمبرر لبناء الجدار سيقلل مــن مصــداقيتها فــي هــذا الموضوع أمام العالم، ويجعله يلتفت إلى الأهداف والأسباب الحقيقية التي جعلت إسرائيل تقــوم ببناء الجدار, الأمر الذي قد يجعل العالم يقف إلى جانب الشعب الفلسطيني في مواجهــة الآثــار السلبية لهذا الجدار وصولاً لإزالته، لأن في ذلك نزع لفتيل توتر جديد في هذه المنطقة المهمــة للعالم.

قائمة المراجع

i. www. Aljazeera.net المعرفة, استهلاك المياه في فلسطين. تحديث 2004/10/3

2. www.google.com: *استهلاك المياه في فلسطين*. المعرفة- ملفات خاصة. 200/11/7

3. WWW.MIDDE-EST-ONLINE.COM

4. أبو زاهر، ناديا: جدار الفصل.مخطط الضم والتوسع . 2004/2/26. **WWW.ALJAZZERA.NET**

5. أبو عرفه، عبد الرحمن: **الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية**، القدس، وكالة أبو عرفه للصحافة والنشر 1981.

6. أبو عمرو, أكرم: *المياه في الصراع العربي الإسرائيلي*. السلطة الوطنية الفلسطينية, الهيئة العامة للاستعلامات.

7. اتفاقية اوسلو. البند 40. سنة 1994

8. أرونسون، جيفري: *خطة الفصل الإسرائيلية، ترسم الحدود المؤقتة لفلسطين*، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، ع 55. صيف 2003.

9. أرونسون، جيفري: مستقبل **المستعمرات الإسرائيلي في الضفة والقطاع**. ط1 ، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية . حزيران 1996.

10. أريج. **السلام وخطة الفصل الإسرائيلية أحادية الجانب في الأراضي الفلسطينية**. 2003.

11. إسحاق، جاد. *مقابلة خاصة مع قناة الجزيرة*. موقع الجزيرة نت . **www.aljazeera.net**

12. إسماعيل, محمد أحمد: **دور المثقفين في التنمية السياسية**. ج 1 .

13. الأزعر، محمد خالد: *أي قدس ستكون موضوع التفاوض؟*. **صامد الاقتصادي**.عدد 108. نيسان- حزيران 1997.

14. ألأسدي, عبده: *الاستيطان بين اليكود والعمل*. **مجلة صامد الاقتصادي**. ع 90 . تشرين أول – كانون أول 1992

15. البابا، جمال: *خط الهدنة بين الضفة الغربية وقطاع غزة وإسرائيل*. ص 5-7 **www. Google.net**

16. *الجدار الفاصل* **WWW.PLOSM.COM**

17. الجدار والأمن: **www.google .com**

18. الجهاز المركزي الفلسطيني للإحصاء. **المعلومات الجغرافية . رام الله** سنة 2000.

19. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. المعلومات الجغرافية سنة 2003.

20. الحسيني، مصطفى: *الاستيطان والقوى السياسية الإسرائيلية*. **صامد الاقتصادي**.ع 12. نيسان-حزيران 1998.

21. الدجاني، فاتنة, وحمد, سائدة . **صحيفة الحياة**. لندن. *الجدار الفاصل: النكبة الثالثة للفلسطينيين*. 2004/2/23

22. الرجوب، عوض: *غلاف القدس يهدف إلى عزلها وتهويدها*. الجزيرة نت 10/3/ 2004. **www.aljazeera.net**

23. الرجوب، عوض: لقاء مع احمد أبو الوفا: *بناء إسرائيل للجدار* **www.aljazzeera. net**

24. الرجوب، عوض، لقاء مع خليل التفكجي حول الجدار الفاصل 2004/6/24 **www.aljazzera. net**

25. الرواس, عثمان وبركات, نظام. **مبادئ العلوم السياسية.** ط3 . الرياض 1989

26. السردي, حسن: *الاستنزاف الإسرائيلي للمياه في فلسطين*, **ورشة عمل حول الاعتداءات الإسرائيلية على قطاع المياه الفلسطيني**,200/10/8.

27. السلطة الوطنية الفلسطينية– المركز الوطني للمعلومات. **المؤشرات السكانية.** رام الله

28. السلطة الوطنية الفلسطينية, مركز المعلومات الوطني. **استهلاك المياه في فلسطين** www.Google.com

29. السلطة الوطنية الفلسطينية, مركز المعلومات الوطني. **الأمطار.**

30. السلطة الوطنية الفلسطينية, مركز المعلومات الوطني. **المياه– الجريان السطحي.**

31. السلطة الوطنية الفلسطينية، المركز الصحافي الدولي. **تقرير فلنقاوم الجدار حتى ينهار**، 2004/2/23.

32. السلطة الوطنية الفلسطينية، المركز الصحافي الدولي. **جدار الفصل العنصري المقام على الأراضي الفلسطينية يحتجز عشرات المدارس خلفه ويعيق المسيرة التعليمية.** 2004/2/29.. صحيفة القدس، القدس، 2004/2/25

33. السلطةAs الوطنية الفلسطينية، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني. **المياه في المفاوضات النهائية.**

34. السيد غانم، محمد، محللون إسرائيليون: *الجدار الفاصل يمثل انتصار للحركة الوطنية الفلسطينية*. الجزيرة نت، **WWW. ALJAZEERA.NET, 2003/9/29.**

35. الشيخ محمد، سامي: **الأبعاد السياسية والأيديولوجية لجدار العزل العنصري،** مركز الإعلام والمعلومات، 2004/2/29.

36. الصالح, نبيل: **ما هي المواطنة.** مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

37. الصالحي، بسام: **التنمية البشرية المستدامة بين إشكاليات السيادة على السكان دون الأرض.** برنامج دراسات التنمية، جامعة بيرزيت، 2003/8/9.

38. العروي، عبد الله: **مفهوم الدولة.** الطبعة الخامسة . المركز الثقافي العربي، 1993.

39. العطياني، خالد: **تقرير أضرار الجدار الفاصل على قطاع الزراعة.** وزارة الزراعة الفلسطينية 2004.

40. العيله, رياض ، مباديء علم السياسة، الطبعة الثالثة سنة 2000.

41. الغزو اليهودي،1992.

42. ألفر، يوسي: *المستوطنات والحدود, المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية.* **مواقف إسرائيل من قضايا الحل النهائي** . نابلس. مركز البحوث والدراسات الفلسطينية 1995.

43. القران الكريم.

44. المشايخ، محمد: *خطة النجوم السبع للاستيطان على جانبي الخط الأخضر.* **صامد الاقتصادي.** ع 111. شباط– آذار 1998

45. المصري, جورج : **الأطماع الإسرائيلية في المياه العربية.** الطبعة الأولى. مركز الدراسات العربي الأوروبي 1996

46. الموعد، حمد: *الاستيطان واليوتوبيا الصهيونية*، **مجلة صامد الاقتصادي**، ع 111، كانون ثاني– آذار سنة 1998.

47. الهيئة الفلسطينية لحقوق المواطن. **المواطنة.** 1998.

48. ايفرات، اليشع: **الاستيطان الإسرائيلي جغرافيا وسياسيا**، عمان، دار الجليل للنشر 1990.

49. باروت، محمد جمال: إعادة بناء أفكار اليسار بقفاز اليمين، موقع على الانترنت WWW.HEM.BREDBAND.NET

50. بانفيلد، ادوارد سي: **السلوك الحضاري والمواطنة**، دار النسر للنشر والتوزيع 1994.

51. بتسيلم. **الجدار الفاصل: انتهاك حقوق الإنسان نتيجةً لإقامة الجدار الفاصل**.2003

52. بتسيلم. **الجدار الفاصل: انتهاك حقوق الإنسان نتيجة لإقامة الجدار الفاصل.** نيسان 2004.

53. بتسيلم. المؤشرات السكانية. www.google.com

54. بدوان، علي: *أخطبوط الاستيطان- معضلة التسوية*. **صامد الاقتصادي**. ع 112. نيسان- حزيران سنة 1998.

55. بركات، نظام محمود: **الاستيطان في فلسطين بين النظرية والتطبيق**. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية .1988.

56. برو، فيليب: **علم الاجتماع السياسي**، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1998.

57. بنجون . *جدار الفصل العنصري الإسرائيلي الجزء الأخطر في المخطط الاستيطاني التوسعي للاحتلال الإسرائيلي*. **مجلة أوقفوا الجدار**. عدد 1. آب- أيلول 2003.

58. بنفيستي، ميرون: **الضفة الغربية وقطاع غزه بيانات وحقائق أساسية**. ط 1. عمان .1987 دار الشروق للنشر.

59. بوتول، جيفري,ومندلسون، ايفرت: **الأمن الإسرائيلي الفلسطيني قضايا في مفاوضات الوضع الدائم**، نابلس- فلسطين، مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، تشرين أول 1995.

60. جازيت، شلومو: **العصا والجزرة: الحكم الإسرائيلي في الضفة الغربية.** ملحق1. مؤسسة بيسان. نيقوسيا- قبرص.

61. **جريدة الأيام. رام الله.** 2003/12/28 *تقرير خاص ومقابله مع خليل التفكجي حول جدار الفصل.*

62. جيزون، أروت: **حقوق المواطن والديمقراطية.** جمعية حقوق المواطن في "إسرائيل" 1985.

63. حبيب، هاني. *خطة الفصل: جدار من الأوهام الشائكة*. ص 2. WWW.SIS.GOV.PS

64. حمدي، رشا : *الدولة الفلسطينية القادمة بين الجدار الأمني والمستوطنات*. **مجلة السياسة الدولية.** ع153 . تموز 2003

65. حملة مقاومة جدار الفصل العنصري, بنجون. **نظام الفصل العنصري يخلقه الجدار لا مساره** . 2004/7/4.

66. د البرغوثي،.مصطفى. مقابلة حول الجدار الفاصل. الجزيرة نت. www.aljazeera.net

67. د فهمي, مصطفى أبو زيد: الطبعة الأولى، منشاة المعارف بالإسكندرية. 1985.

68. د. إبراهيم,.يوسف كامل: **التحول الديموغرافي ألقسري في فلسطين.** www.google.com

69. د. غنايم، محمد: **أسرلة وادي الأردن.** أريج.

70. د.أبو جابر، إبراهيم، مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم 2003.

71. د.غانم،السيد عبد المطلب: **دراسة في التنمية السياسية.** القاهرة. مكتبه نهضة الشرق بحرم جامعة ألقاهرة 1981.

72. د، غانم، محمد. *الوضع الحالي للمياه في فلسطين*. معهد الأبحاث التطبيقية (أريج). القدس نيسان2001.

73. دائرة شؤون المفاوضات- منظمة التحرير الفلسطينية . **النشاطات الإسرائيلية المتعلقة بالجدار الفاصل منذ أن تقدمت الجمعية العامة بطلب المشورة من محكمة العدل الدولية بشان الجدار**. تقرير 2004/2/19.

74. دائرة شؤون المفاوضات، م.ت.ف. **حقائق عن الجدار**، آذار- نيسان 2004.

75. دائرة شؤون المفاوضات، مجموعة الرقابة الفلسطينية. **النشاطات الإسرائيلية المرتبطة بالجدار العازل**.2003/11/21.

76. داوود، داوود: **الجدار الفاصل والأهداف الإسرائيلية المستقبلية المراد تحقيقها من وراء ذلك**. مركز الإعلام والمعلومات.

77. دراغمه، محمد: *الجدار الفاصل هل يتم تقسيم الضفة بين الفلسطينيين وإسرائيل*. **مجلة الفصلية**. عدد 14. آذار 2003.

78. دوائرة شؤون المفاوضات - م. ت. ف. **حقائق عن الجدار . رام الله .** آذار - نيسان2004.

79. س. ه . دود: **التنمية السياسية**. القاهرة. مكتبه نهضة الشرق. جامعه القاهرة.

80. سلطة المياه الفلسطينية. **جدار الضم والتوسع للسيطرة على الموارد المائية الفلسطينية**. شباط 2004 .

81. سليمان, نائل وأبو ردينة, إياد: السياسات **والمخططات الإسرائيلية للعزل والاستيطان في الاراضي الفلسطينية**, أريج.

82. شبكة المنظمات البيئية الفلسطينية غير الحكومية (بنجون). **الجدار في فلسطين.** رام الله سنة 2003

83. شبكة المنظمات البيئية الفلسطينية(بنجون). جدار *الفصل العنصري الإسرائيلي الجزء الأخطر في المخطط الاستيطاني التوسعي للاحتلال الإسرائيلي*. **مجلة أوقفوا الجدار**. عدد 1. آب- أيلول 2003.

84. شبكه المنظمات البيئية الفلسطينية(بنجون). **أوقفوا جدار الفصل العنصري في فلسطين**. حزيران2003.

85. صب لبن، احمد مصطفى: *الجدار الفاصل يتهدد جامعة القدس*. **مجلة الفصلية**، العدد 16 ، أيلول 2003.

86. **صحيفة القدس**، القدس، 2004/2/25.

87. **صحيفة دار الحياة**. بيروت. 2004/7/31.

88. طالب، محمد سعيد: **الدولة الحديثة والبحث عن الهوية**. الطبعة الأولى. عمان الأردن. دار الشروق للنشر والتوزيع. أيلول 1999.

89. عابد، خالد: **سياسة إسرائيل في المناطق الفلسطينية المحتلة**. بير وت لبنان، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

90. عبد الله. عبد الغني بسيوني: **النظم السياسية والقانون الدستوري**، الدار الجامعية للطباعة والنشر 1993.

91. عوده، يونس: *جدار الفصل العنصري يقطع أوصال فلسطين*, **موقع www.google.net**، حزيران 2004

92. عيد، جلال، *الجغرافيا السياسية للمستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة*، **مجلة صامد الاقتصادي**، ع 111، كانون ثاني- آذار سنة 1998.

93. غانم, محمد: *الوضع الحالي للمياه في فلسطين*. أريج, سنة 2004.

94. فلسطين المسلمة. **التداعيات السياسية لجدار الفصل: حل قضايا الوضع النهائي وفقا للرؤية الإسرائيلية** .

95. لابن, يحزقيل: **الشيخ سعد**. مركز بتسيلم. شباط2004.

96. م. ت.ف- دائرة شؤون المفاوضات. **جدار الفصل العنصري- القدس** . رام الله . أيلول 2003.

97. م.ت.ف– دائرة شؤون المفاوضات. **تقرير فلسطين المقدم إلى محكمة العدل الدولية.** لاهاي2004.

98. م.ت.ف. دائرة شؤون المفاوضات. **النشاطات الإسرائيلية المتعلقة بالجدار الفاصل.** 2004/2/19.

99. مجلس الوزراء الفلسطيني. **القرار رقم(09/01/م.و/ ا. ق) لسنة 2004.** رام الله 2004

100. مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين فرع الشمال: **السياسات الإسرائيلية وموضوع المياه.**

101. مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين. **معلومات عن جدار الفصل العنصري.** 2004/3/16.

102. مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين: *السياسات الإسرائيلية وموضوع المياه.*

103. محكمة العدل الدولية تعلن الجدار غير شرعي. WW.STOPTHE WALL.ORG

104. محللون إسرائيليون: إقامة الجدار الفاصل يمثل انتصارا للحركة الوطنية الفلسطينية، موقع على **الانترنت,WWW.ALJAZEERA.NET 2003/9/29** .

105. مركز أبحاث الأرض. **جدار العزل العنصري حول شمال غرب القدس عدوان توسعي استعماري جديد.** كانون أول/2003.

106. مركز أبحاث الأرض. **خطه جدار العزل العنصري في محافظة الخليل.** آذار 2004 .

107. مركز أبحاث الأرض، حملة مقاومة جدار الفصل العنصري. **الجدار: حقائق وأرقام .**

108. مركز الإعلام والمعلومات.**20% من وفيات الأطفال بفعل الحواجز والجدار الفاصل.**

109. مركز المعلومات الإسرائيلي " بتسيلم" . **الجدار الفاصل– خارطة الجدار الجديدة وأبعادها.**

110. مركز المعلومات الإسرائيلي " بتسيلم" . **الجدار الفاصل: ملخص المعلومات حول الجدار الفاصل.**

111. مركز المعلومات الإسرائيلي " بتسيلم" : **ملخص المعطيات حول الجدار الفاصل .** موقعهم على الانترنت .www.btselem.org

112. مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة" بتسيلم" . **الجدار الفاصل: خارطة الطريق وتقدم التنفيذ.**

113. مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة. **الجدار الفاصل: النظام الجديد في منطقة التماس.** . www.aljazeera.net

114. مركز المعلومات الإسرائيلي" بتسيلم" . **تغييرات على مسار الجدار الفاصل.**

115. مروشك، أوكي: **معاً مرشد لتعليم الديمقراطية،** كينيرت" تل أبيب" 1993.

116. معهد الدراسات التطبيقية أريج. 2003.

117. مكتب رئيس الوزراء الفلسطيني احمد قريع، الأمم المتحدة تدين استمرار إسرائيل في بناء جدار الفصل العنصري، 2003/10/23

118. *ملحق جدار الفصل العنصري* . **مجلة المراقب الاقتصادي** عدد 11 / سنة 2003.

119. ملحيس، غانية : *جدار الفصل العنصري*. **مجلة المراقب الاقتصادي** . رام الله . ع 10 سنة 2003.

120. من يحاصر من؟ جدار الفصل العنصري لن يقف عائقا أمام عمليات المقاومة البطلةWWW.Google.COM

121. منظمة التحرير الفلسطينية– دائرة شؤون المفاوضات. **تقرير فلسطين لمحكمة العدل الدولية.** لاهاي 2004.

122. منظمة العفو الدولية . **إسرائيل والأراضي المحتلة – وضع السياج/ السور في القانون الدولي.** وثيقة رقم

123. منظمة العفو الدولية. **إسرائيل والأراضي المحتلة: تقطيع الأوصال وتشتيت شمل العائلات الفلسطينية نتيجة السياسات القائمة على التمييز**. وثيقة رقمMDE/15/063/2004. تموز 2004.

124. منظمة العفو الدولية. **تأثير القيود المفروضة على التنقل على حق العمل**. وثيقة رقمMDEIO/001/2003 أيلول 2003.

125. منظمة العفو الدولية.**إسرائيل والأراضي المحتلة- العيش تحت الحصار- تأثير القيود المفروضة على التنقل على حق العمل**. وثيقة رقم MDE 15 /001/2003. أيلول 2003.

126. نافع, بشير وآخرون: **المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية**، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، 2001.

127. نداء القدس. **جدار إسرائيل الفاصل من يحاصر من**. أيلول, 2003.

128. هر كابي, يهوشفاط: **موقف إسرائيل في النزاع الإسرائيلي العربي** . دار النشر العربي 1968.

129. وزارة التخطيط الفلسطينية. إدارة نظم المعلومات الجغرافية. 2004

130. وزارة الزراعة الفلسطينية- الإدارة العامة للتخطيط والسياسات- دائرة الإحصاء. **تقرير أضرار قطاع الزراعة**.2003.

131. وزارة الزراعة الفلسطينية. *السياسية الزراعية الفلسطينية*. 1999.

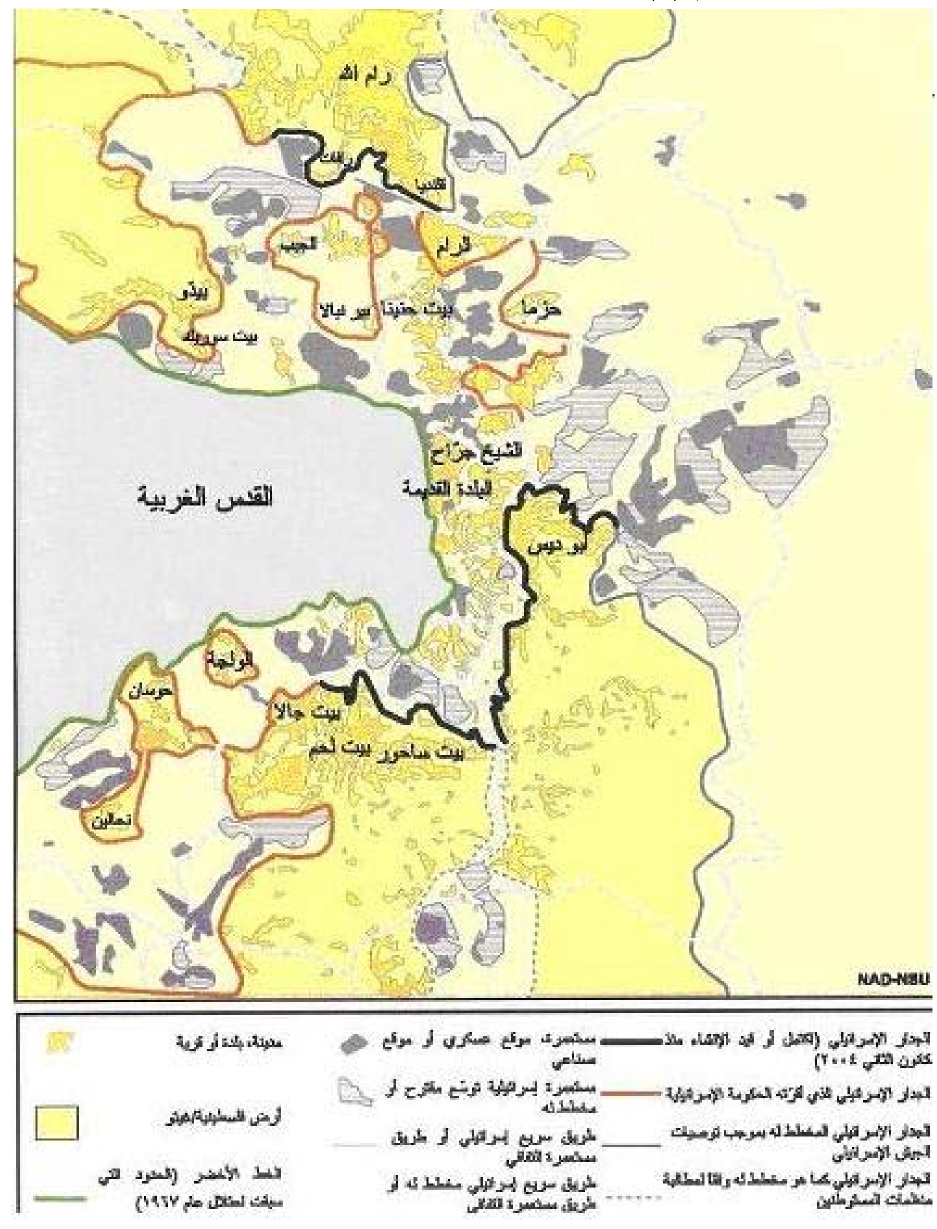
132. وزارة الزراعة الفلسطينية. **إستراتيجية وزارة الزراعة- المصادر الطبيعية**. رام الله 1999.

133. وزارة الزراعة الفلسطينية. **جدار الضم والتوسع والفصل العنصري**.

134. وهبان، احمد: **التخلف السياسي وغايات التنمية السياسية**. مصر سنة 2000. دار الجامعة الجديدة للنشر 38 شارع سوتير الاسكندريه.

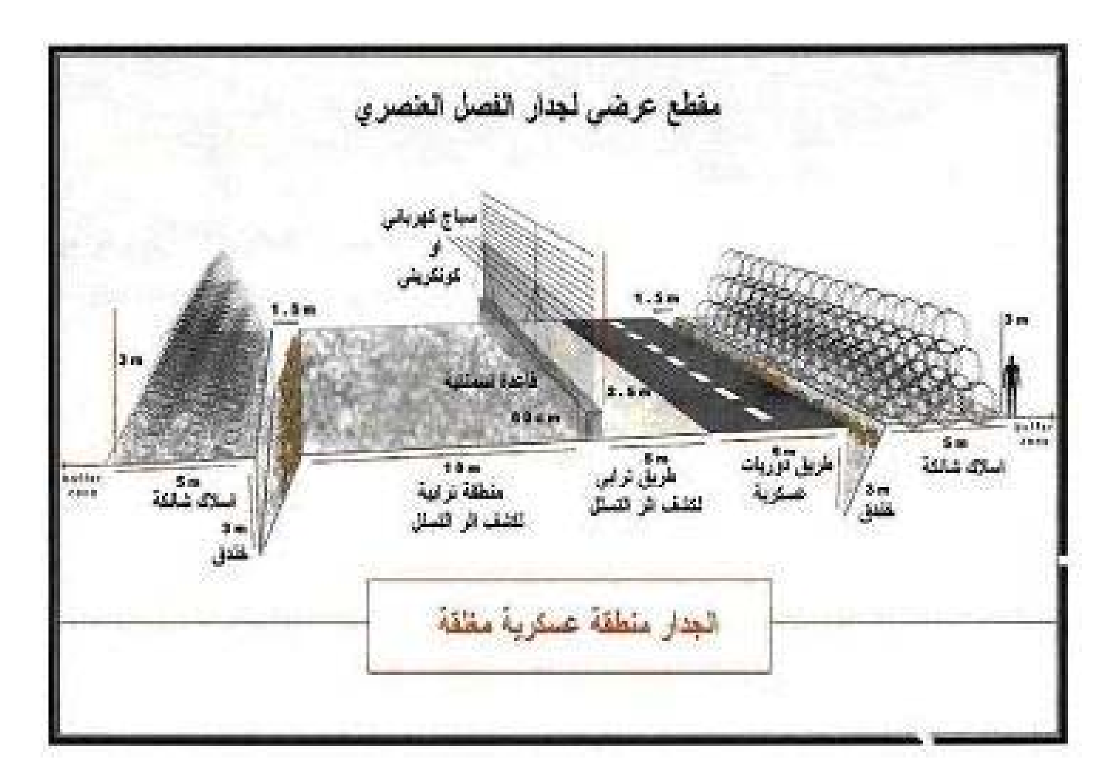
ملاحق الرسالة

الملحق رقم (1): خارطة الجدار حول القدس



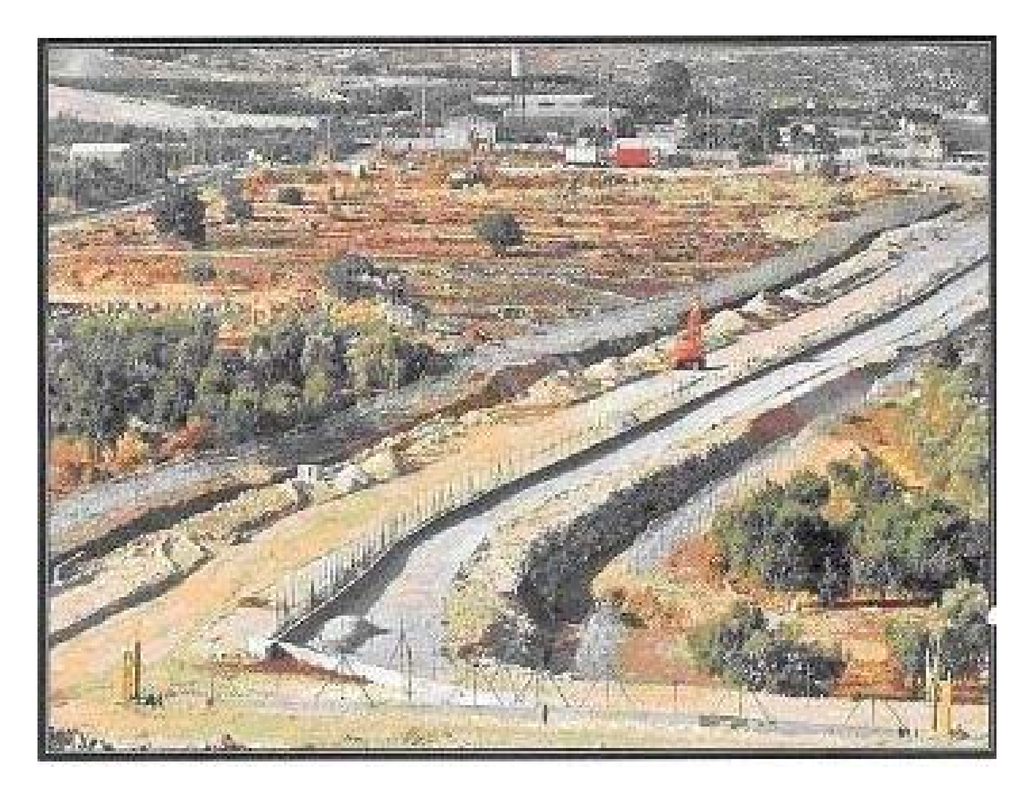
دائرة شؤون المفاوضات م.ت.ف. حقائق عن الجدار– آذار– نيسان 2004 ص24

ملحق رقم(2): رسم يبين مقطع عرضي من الجدار



وزارة الزراعة الفلسطينية,جدار الضم والتوسع والفصل العنصري

الملحق رقم (3): صورة تبين احد أشكال الجدار وتظهر عرضه وبعض مكوناته

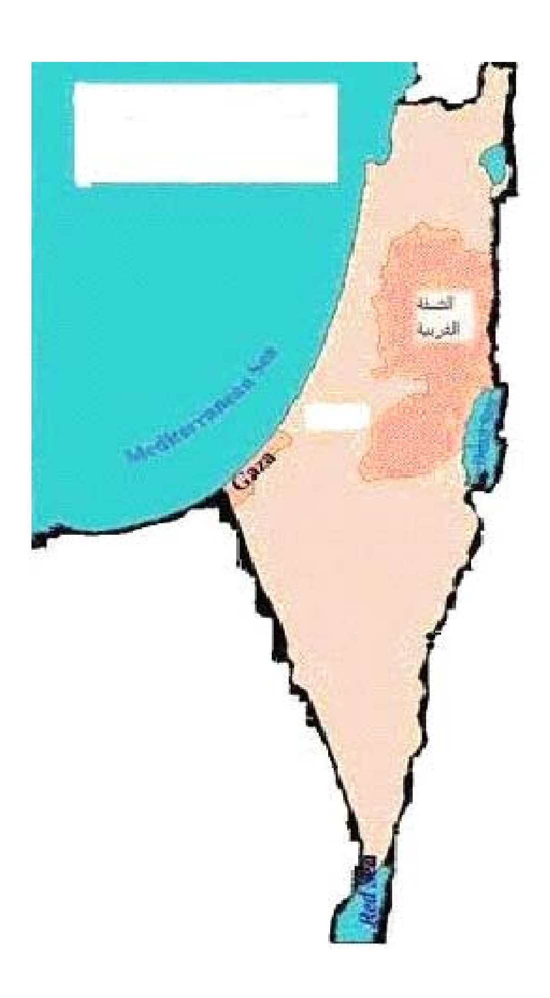


وزارة الزراعة الفلسطينية, مصدر سابق

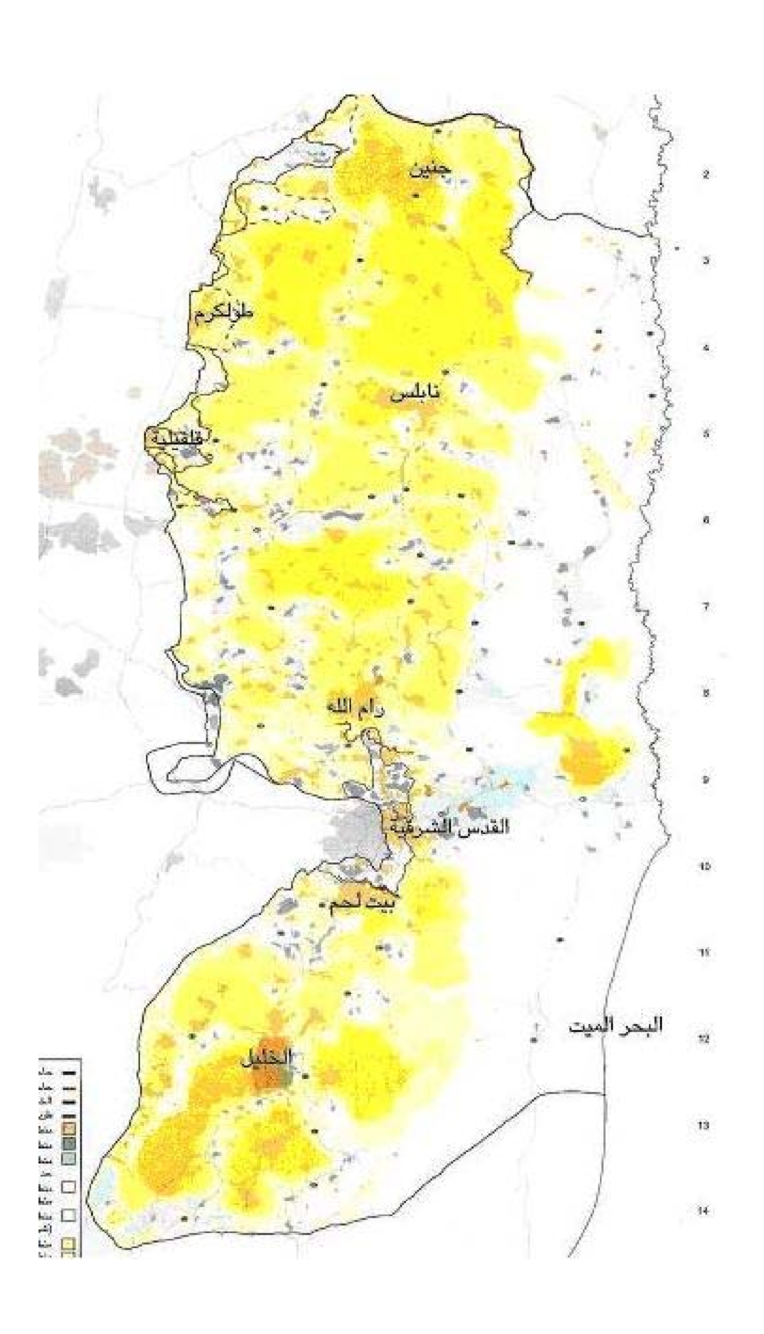
ملحق رقم(4):الشكل الإسمنتي للجدار



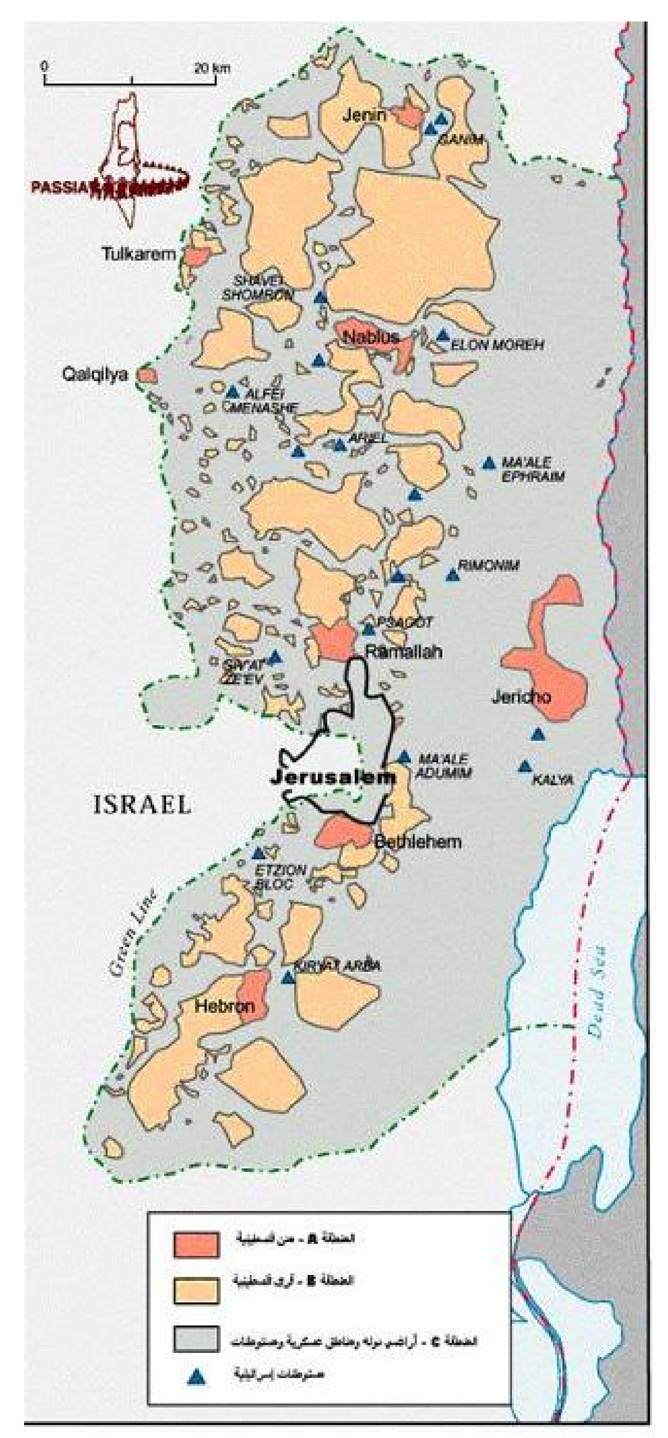
ملحق رقم(5): خارطة الضفة الغربية



ملحق رقم(6):خارطة تظهر امتداد الخط الأخضر المحيط بالضفة الغربية

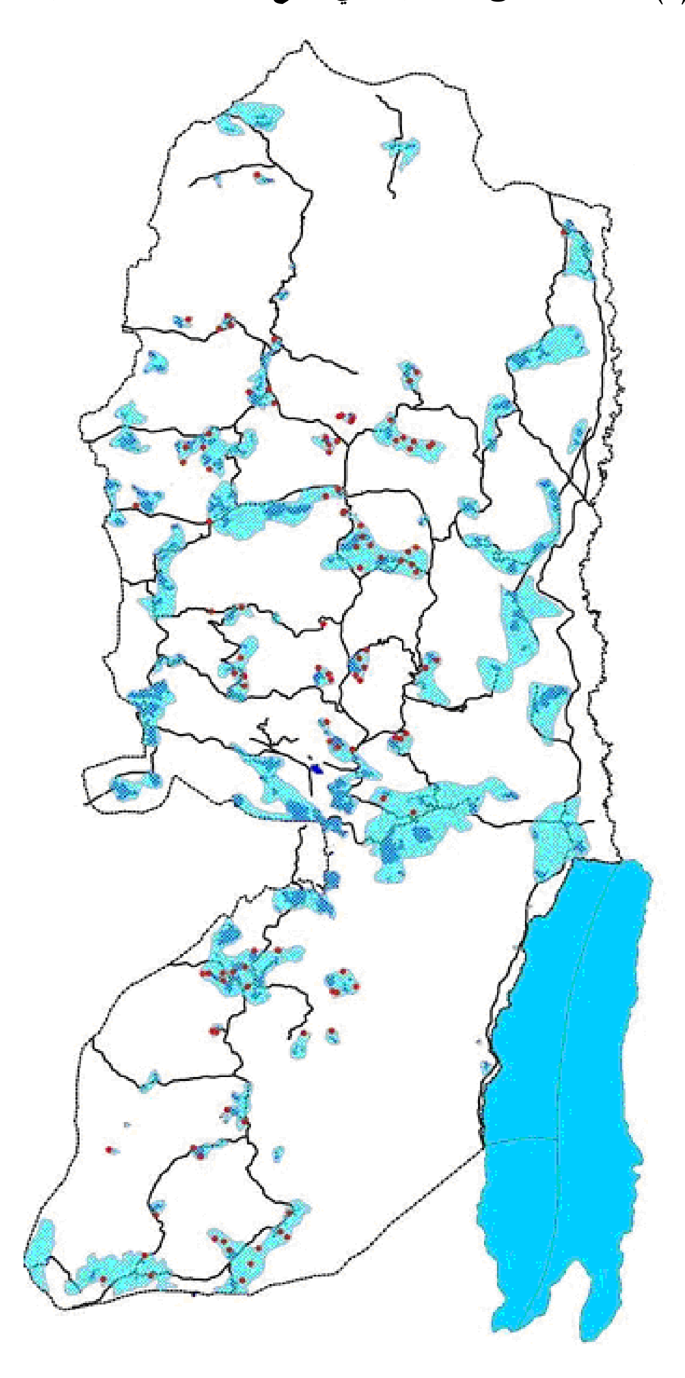


الملحق رقم(7): خارطة اتفاقية طابا " اوسلو2 "

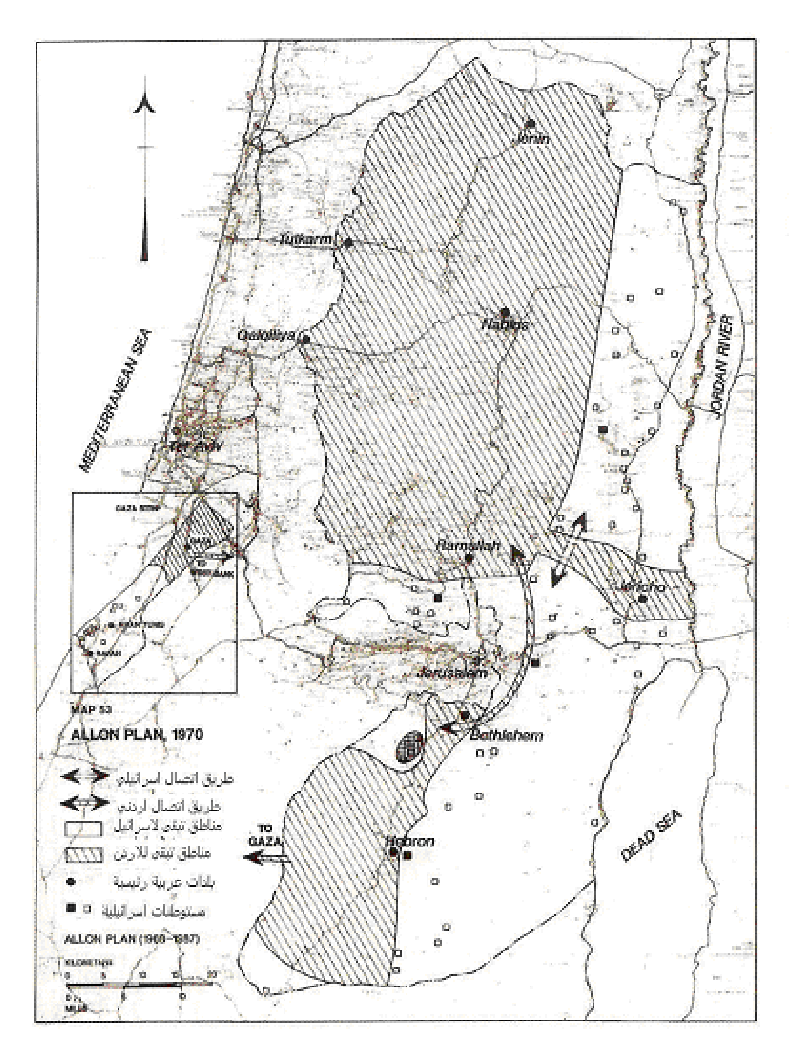


Palestinian Academic Society for the Study of International Affairs
(PASSIA)

ملحق رقم (8): خارطة الطرق الالتفافية التي تقطّع أوصال الضفة الغربية لتصل المستوطنات معا



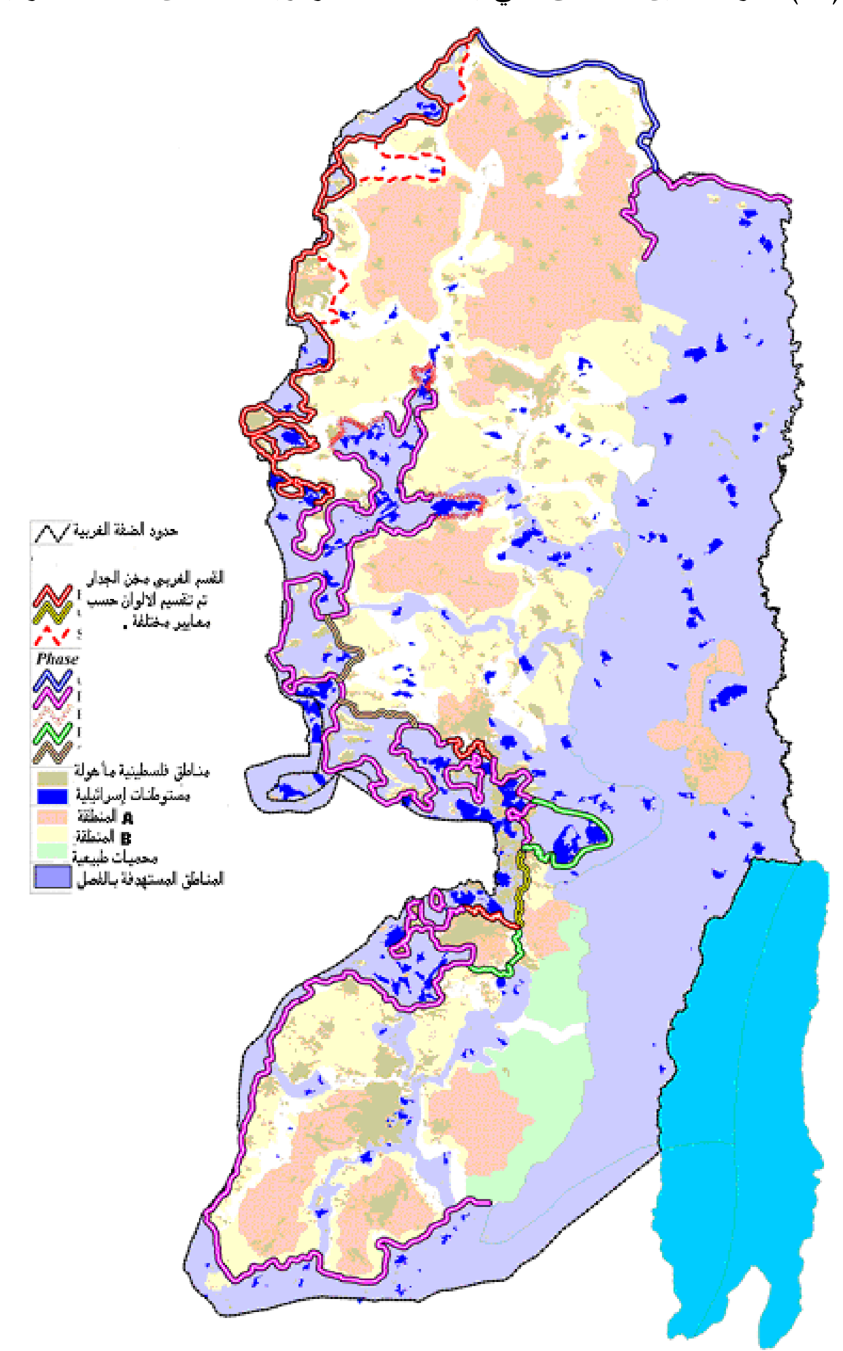
ملحق رقم(9): خارطة مشروع آلون الاستيطاني في الضفة الغربية



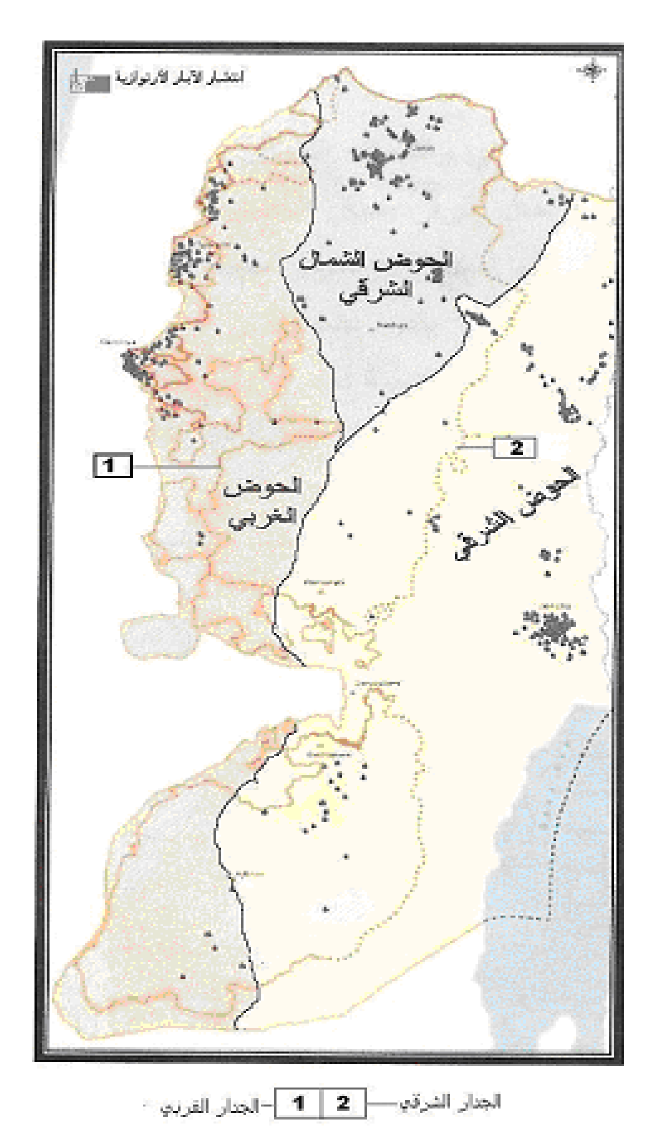
خطة آلون تنادي بخلق حدود أمنية سياسية وذلك عن طريق اقامة مستوطنات مدنية على طول حدود نهر الأردن، ثم تقطع القدس لتصل لمنطقة بيت لحم.

المصدر: أطلس الضفة الغربية وقطاع غزة، 1988. مشروع الضفة الغربية لقاعدة البيانات.

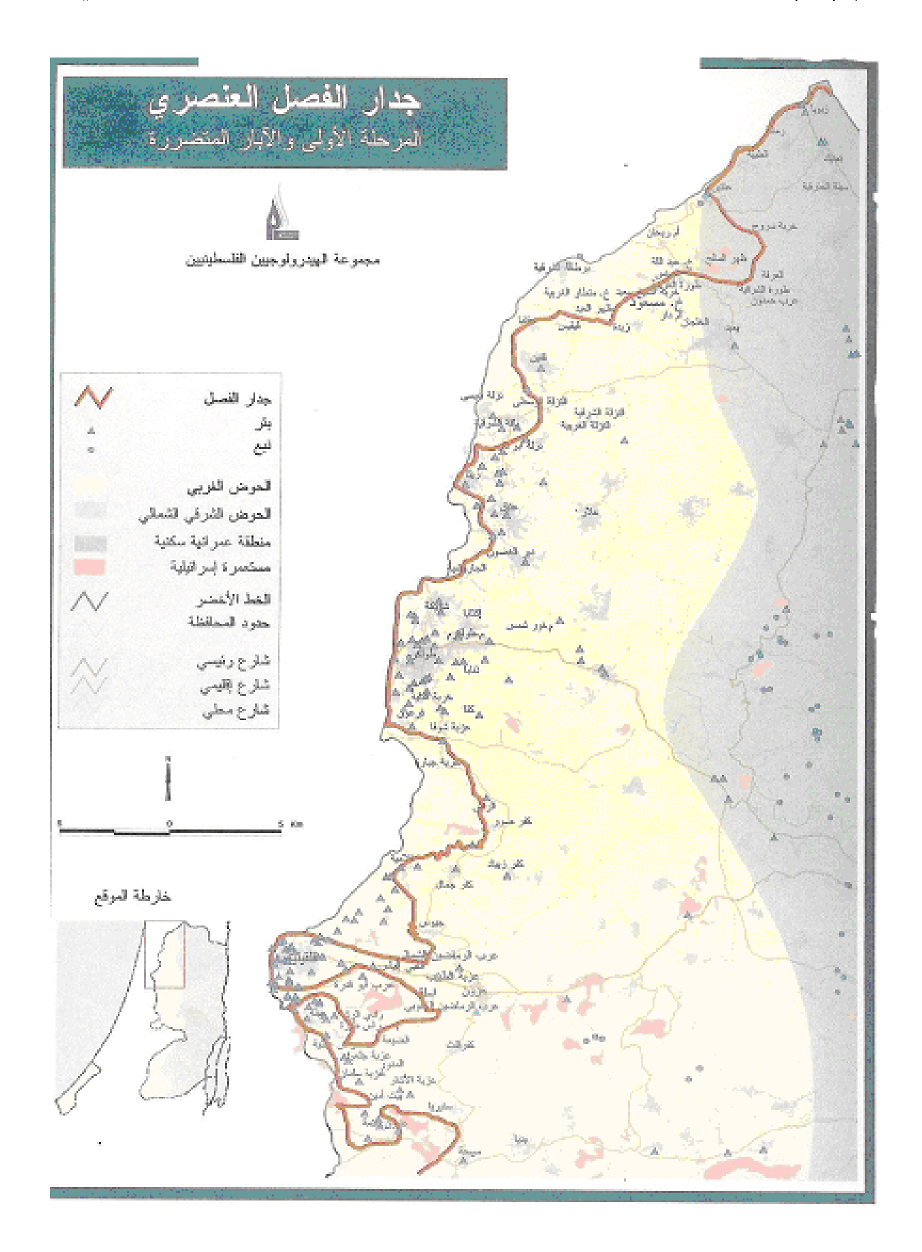
ملحق رقم(10):خارطة تبين المناطق التي يستهدفها الجدار ويفصلها عن الضفة الغربية



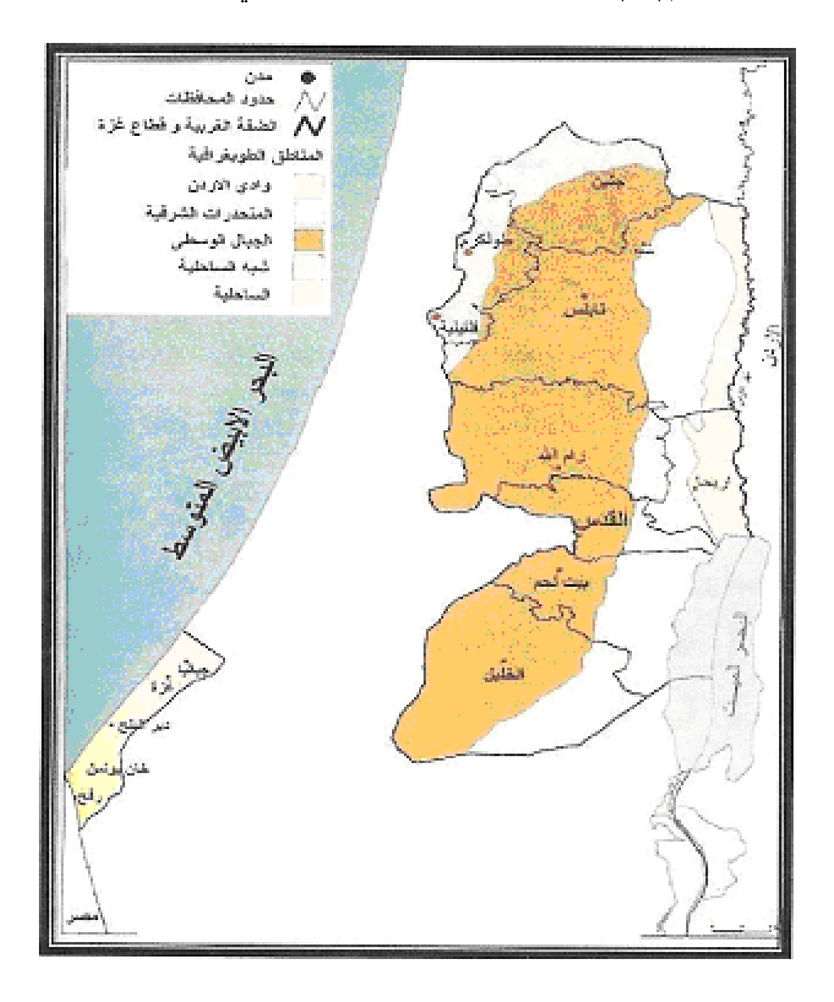
ملحق رقم (11): خارطة تبين أحواض المياه الجوفية وتوزيع الآبار الارتوازية في الضفة



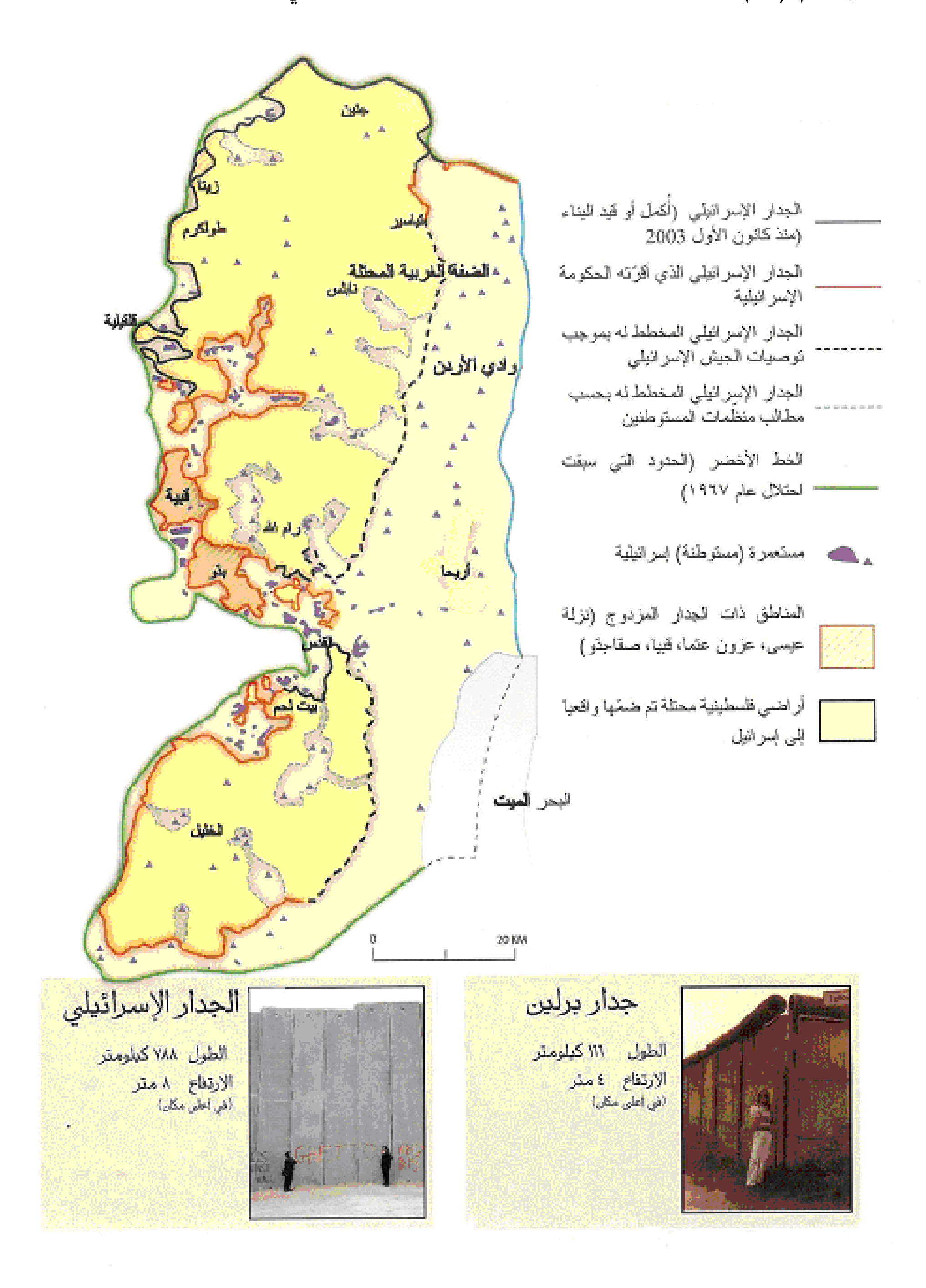
الملحق رقم (12): خارطة تبين أثر المرحلة الأولى من بناء الجدار على المياه في الضفة الغربية



ملحق رقم(13): خارطة المناطق الطبوغرافية في الضفة الغربية



ملحق رقم (14): خارطة تبين مراحل بناء الجدار وتأثيره في تجزئة الضفة الغربية



An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

The Effect of Wall Discrimination on Political Development in the West Bank

By
Bilal Abdel Raheem Othman Jabr

Supervisor
Prof. Abdel Sattar Qasim

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Planning and Political Development, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2005

The Effect of Wall Discrimination on Political Development in the West Bank
By
Bilal Abdel Raheem Othman Jabr
Supervisor
Prof. Abdel Sattar Qasim

Abstract

This study consists of a preface and five chapters. The preface illustrates the problem of study which is represented in the influence of the Wall on the political development in the West Bank throughout its impact on the entry of this development with the existence of a state and strong, cohesive society. This is in addition to the effect of the Wall on the constituents supporting that entry; such as, the land and water ...etc.

The first chapter of the paper consists 0f five sections, the first of which tackles the concept of the paper; such as, the wall of Separation where I pinpoint the various nominations of the Wall as well as the track, sections, dimensions, construction and components. The second section of this chapter handles the concept of political development where I wrote down different ideas concerning this concept. In the third section, I illustrated the borders of the West Bank through the pursuance of what is called 'Green Line'. In addition to that, I showed the primal terminals that the West Bank has sunnounted until the reaching of the status quo. Besides to that, I handled the geographical elements as well as the most important effectives on the demographic situations. The fourth section of part one is about the concept of the state. I took it up at different stages of time as well as various schools of intellect. The last section in chapter one talks about the concept of citizenship. This concept is looked upon as one of the basics of modern democratic state.

The second chapter of the paper approaches the backgrounds of building the wall of separation; and it Consists of three sections, the first of which deals with the relates of the Wall with the Israeli settlement inside the West Bank here I concentrate on the targeted part in building the Wall. Then, I pursue the reality of settlement over these areas. and the second section. of chapter two tackles the intellectual background of Israeli settlement which has been established to construct the wall of separation simply. The third section of chapter two deals with the settling plans and projects which have been established just for the construction of the separation wall.

The third chapter deals with the impact of the Wall on the most important constituents supporting the entry to political development and the extent of its effect on the land, the water and population. And this comes in two sections. The first of which deals with the influence of the Wall on the land in the West Bank. And it tackles the areas which the Wall intends to sever. In the same section, the paper talks about the impact of the Wall on the regional and demographic continuation in the West Bank. The second section discusses the status of water and its age in the West Bank. This section talks as well about the Israeli greediness in the Palestinian water throughout the series of Israeli procedures in the West Bank The fourth section deals with the effect of the Wall on the human activities in the West Bank due to the relevance of development with the whole aspects gathered together. This chapter consists of two sections; the first of which deals with the impact of the Wall on the freedom of movement in the West Bank simply because that freedom is of great importance to the whole activities of people there. I've tackled as well the procedures imposed by Israel against the Palestinians in the face of performing their life activities in the

regions influenced directly by the construction of the Wall; especially, the system of permits. The second section in this chapter discusses the effect of the separation wall on the economic, educational and health needs in the West Bank. I've pointed out the influence in the economical dimension throughout my tackling of the Wall influence on the most important Palestinian, economical sectors; such as, agriculture. Yet, pertaining to the effect of the Wall on education, I've discussed the manner throughout talking about schools which the Wall has separated from the population as well as the suffering of students and staffs of teaching during their going to schools or universities that were affected by the Wall. Pertaining to the effect of the Wall on the health conditions in the West Bank, I've pointed out the effect of it against the Palestinians' ability to get the medical services at the time of their need for that.

The fifth chapter which is the last one in the study consists of three sections; tile first of which deals with the strategic aims of the Wall; such as, preventing the establishing of a viable, developing, Palestinian state as well as the influence of the Wall on the demographic distribution in the West Bank between the Arabs & Jews. Then, I've discussed the target of the Wall in determining the final issues of negotiations; such as, the borders, water, settlements, refugees and Jerusalem. The second section in the fifth chapter consists of the study conclusions. And the third section of the same chapter consists of the study recommendations.